الشيخ عبد القادر الجيلاني

وآراؤه الاعتقادية والصوفية

عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

الدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني

ⓒ سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن مسفر بن مفرح

الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية ـ الرياض.

...ص ؛ ..سم

ردمك ٤-٣٠١-٣٤-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٣١٩-٣٤-٩٩٦٠ (ج ٢)

١ - الجيلاني ، عبدالقادر بن موسى ٢ - العقيدة الاسلامية ٣ - الصوفية

أ - العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٨/١٧٢٦

رقم الإيداع : ١٨/١٧٢٦

ردمك : ٤-٣٠١-٣٤-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٣١٩-٣٤-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

أصل هذا الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرىٰ ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة. قُدِّم مخططها للجامعة في ١٥/٧/١٤١٥هـ وقبل تسجيلها في ٦/٨/١٤١٥ وتمت الموافقة على مناقشتها في ٢٢/١٢/١٤١٧هـ، ونوقشت في ٦/٢/١٤١٨ فأُجيزت بتقدير ممتاز مع التوصية بطباعتها ولله الحمد المنة.

فهرس الموضوعات

الصف التصويري والإخراج الفرقان
مكة المكرمة: ٩٨ شارع العزيزية العام مقابل مكتبة ابن زيدون ت: ٥٥٦٤٨٦٠
الرياض: ت ٤٠٤٣٧٣٢ فاكس ٤٠٤٣٧٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وبعد.

فإن دراسة آراء عظماء الرجال وأكابر علماء الأمة مهمة صعبة ووظيفة شاقة تحتاج إلى من يرتقي بمستوى تفكيره ليتعمق في فهم أفكارهم ومعرفة مقاصدهم وعرض آرائهم، والظروف التي أحاطت بهم وأثّرت فيهم وبالتالي الوصول إلى معرفة النتائج وفهمها فهماً واعياً لا يتوقف على سطحيات الأمور وهوامش الفكر.

ولقد أكرمني الله بالعمل خلال الثلاثين عاماً الماضية في مجال الدعوة بحيث أمكنني الاطلاع على العديد من الكتب والتعرف على العديد من العلماء من أعلام الأمة، ومنهم الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ والذي يعد من أبرز الشخصيات الإسلامية التي عاشت في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري لما اشتهر به من العلم والصلاح وقد ارتبط اسمه بإحدى الطرق الصوفية الواسعة الانتشار في العديد من دول شمال أفريقيا ومصر والشام والعراق وبعض البلدان الأخرى.

وعندما أشار علي الأستاذ الدكتور محمود خفاجي ـ حفظه الله ـ باختيار شخصية الشيخ عبدالقادر الجيلاني للحديث عن آرائه الاعتقادية عادت بي الذاكرة إلى ما سبق أن سمعته من شيخي في القراءات فضيلة الشيخ عبيدالله بن عطا الأفغاني أستاذ القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين بالمدينة المنورة والذي ذكر أنه دخل إلى بغداد قبل أكثر من ثلاثين

عاماً، وأنه زار المدرسة القادرية وشاهد ضريح الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وقد كُتب على جدار قبته بعض الأبيات الشركية باللغة الفارسية وهي:

بادو شاهي هاردو عالم — شيخ عبدالقادر هست
سروري أولاد آدم — شيخ عبدالقادر هست
آف تابو باه تابو — عرش وكرسي وقلم
زير بائي شيخ — عبدالقادر هست

وترجمتها باللغة العربية كالتالي:

ملك الدارين — الشيخ عبدالقادر
سيد ولد آدم — الشيخ عبدالقادر
الشمس والقمر — والعرش والكرسي والقلم
تحت قدم — الشيخ عبدالقادر

فتأكد لي أهمية دراسة آرائه الاعتقادية، ولكنني ترددت وقلت في نفسي ما هي الفائدة العلمية التي ستعود عليَّ من وراء ذلك حيث كنت أود أن أبحث موضوعاً يتيح لي فرصة دراسة العديد من قضايا العقيدة ومسائل الدين، للاستفادة منها في حياتي العملية والدعوية.

لكني عندما شرعت في وضع خطة البحث أيقنت أن هذا الأسلوب أعني دراسة الآراء الاعتقادية للأعلام من أعظم الوسائل لإثراء الباحث علمياً، فقد أتاح لي هذا البحث دراسة أكثر القضايا والمسائل العقدية، ومعرفة عقيدة السلف فيها وأدلتهم.

وبالنسبة للشيخ عبدالقادر الجيلاني فلست أول من حاول هذه المحاولة فقد ترجم له المؤرخون وتحدث عنه الباحثون غير أن الجانب الاعتقادي من حياة وفكر الشيخ عبدالقادر لم ينل حظه من الدراسة

والتحقيق سواءاً من الكُتّاب القدامىٰ أو المعاصرين. إذ ربما يأتي ذكره أو عرض بعض آرائه دون تحقيق في صحة الأقوال التي نسبت إليه مما لا يعطي الصورة الصحيحة عنه.

عندها قررت أن أقوم بهذه الدراسة لبيان آرائه الاعتقادية وعرضها على عقيدة أهل السنة والجماعة على قدر الوسع وتوافر المراجع وقمت بوضع خطة البحث وتقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ـ قسم العقيدة.

وقد كنت أظن أن هذا الموضوع كافٍ غير أن مجلس قسم العقيدة بالكلية رأى أن يُضاف إلى البحث دراسة آرائه الصوفية باعتبار أن أبرز ما هو معروف عنه لدى الخاصة والعامة هو التصوف ودراسة آرائه دون التعرض للتصوف خلل لابدَّ من تلافيه فجرى إلزامي بإجراء الدراسة الأخرى أعني آراءه الصوفية إلى جانب آرائه الاعتقادية فرضخت للأمر الواقع رغم علمي بصعوبة ذلك ولكن لم يكن بوسعي أن أعمل شيئاً سوى الاستعانة بالله ثم الشروع في البحث وفق المنهج التالي:

١ـ الاعتماد على مؤلفات الشيخ عبدالقادر الجيلاني في عرض عقيدته وآرائه الصوفية.
٢ـ الاستفادة من تراجم الشيخ عبدالقادر المثبتة في كتب التاريخ والسير.
٣ـ عرض عقيدة السلف من خلال المصادر الأصيلة.
٤ـ الاعتماد على الأحاديث المخرجة في الصحيحين في الاستدلال إذا وجد الدليل فيهما أو في أحدهما.
٥ـ العودة إلى كتب السنة الأخرى إذا لم أجد بغيتي في الصحيحين أو في أحدهما. مع بيان درجة الحديث وأقوال المحدثين فيه.
٦ـ تقديم تمهيد موجز في بداية كل مسألة للتعريف بها.

٧ـ عرض آراء الشيخ عبدالقادر الجيلاني الاعتقادية أو الصوفية.
٨ـ إيراد أقوال علماء السلف وآرائهم لمقارنة كلام الشيخ عبدالقادر بها، وبيان أوجه الخلاف أو التوافق مع التعليق والترجيح والتدليل بعيداً عن التعصب في مناقشة الآراء.
٩ـ إيراد الأدلة التي اعتمد عليها أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من الكتاب والسنة.
١٠ـ حرصت على عدم الإكثار من الحواشي والإحالات واكتفيت بذكر رقم الآية واسم السورة بالنسبة للآيات القرآنية ورقم الحديث بالنسبة للأحاديث النبوية التي في الصحيحين حسب الترقيم المثبت في فتح الباري وشرح مسلم للنووي.
١١ـ ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة عدا كبار الصحابة والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة، فقد اكتفيت بشهرتهم وتتم الترجمة عند ذكر المترجم له للمرة الأولى وعندما يتكرر ذكره لا أشير إلى سبق الترجمة تفادياً لكثرة الحواشي ولوجود الأسماء في فهرس التراجم.
١٢ـ قمت بتعريف الفرق التي ورد ذكرها في الرسالة بشكل موجز.
١٣ـ شرحت المفردات الغريبة الواردة في ثنايا الرسالة من كتب المعاجم اللغوية.
١٤ـ كتبت خاتمة موجزة تضمنت أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث.
١٥ـ وضعت الفهارس العلمية التي توضح مضمون الرسالة بيسر وسهولة وتشمل:
أ ـ فهرس الآيات القرآنية مرتباً حسب ترتيب سور القرآن.

ب - فهرس الأحاديث النبوية مرتباً حسب الحروف الهجائية في طرف الحديث.

جـ - فهرس الأعلام المترجم لهم مرتباً حسب الحروف الهجائية.

د - فهرس الفرق والطوائف مرتباً حسب الحروف الهجائية.

هـ - فهرس المصادر والمراجع مرتباً حسب الحروف الهجائية لاسم الكتاب.

و - فهرس الموضوعات.

أما الخطة التي وضعتها للبحث فقد اشتملت على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهجي في البحث والخطة التي سرت عليها.

وخصصت الباب الأول للتعريف بحياة الشيخ عبدالقادر الجيلاني في خمسة فصول تحت كل فصل عدة مباحث.

وفي الباب الثاني عرضت آراءه الاعتقادية في ستة فصول وفي كل فصل عدة مباحث.

وفي الباب الثالث والأخير عرضت آراءه الصوفية في ستة فصول، تحت كل فصل عدة مباحث.

وأخيراً ختمت البحث بخاتمة موجزة أوضحت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

هذا هو جهدي المتواضع الذي لا أدعي فيه الكمال بل هو جهد بشري ينتابه النقص ويعتريه الخلل خصوصاً وأن الوصول إلى هامات الأعلام الشامخة لأخذ القياسات الدقيقة لتفصيل اللباس المناسب الذي يسع هذه العظمةدون ضيق خانق أو سعة مخلة ليس أمراً سهلاً ولا هيناً.

ولكن حسبي أنني بذلت جهدي وأضنيت نفسي وأمضيت الساعات الطوال في الليل والنهار بين أكداس الكتب ورفوف المكتبات.

وقبل أن أختم مقدمتي هذه أرى لزاماً عليَّ أن أعترف بالفضل الكبير لله ثم للرعاية العظيمة التي لقيتها من الشيخ الدكتور/ محمود خفاجي الذي كان له الفضل في إعانتي على اختيار الموضوع ووضع خطته والدلالة على مراجعه والتوجيه لمتطلباته.

كما أشكر شيخي والمشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي، الذي غمرني بلطفه ومحضني خالص نصحه حتى استفدت كثيراً من علمه الغزير وتواضعه الجمّ فأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء وأن يبارك له في عمره وعلمه، وأن يمتع بحياته في الدنيا وأن يكرم مثواه في الآخره.

كما أشكر صاحبي الفضيلة الدكتور/ علي بن حسن الألمعي، والدكتور/ محمود أحمد خفاجي لتكرمهما بالموافقة على مناقشتي في هذه الرسالة.

كما أشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين لما تقدمه من تسهيلات للدارسين بها على إداء رسالتهم وتحقيق طموحاتهم.

وختاماً أسأل الله عز وجل أن يرزقنا جميعاً الإخلاص وأن يوفقنا للإصابة وأن يحسن لنا الخواتيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول
عصره وحياته

وتحته خمسة فصول:

الفصـــل الأول : **عصــره**

الفصـــل الثاني : **نشأته وحياته**

الفصـــل الثالث : **شيوخه وتلاميذه**

الفصـــل الرابـع : **مؤلفاته ومكانته العلمية**

الفصـــل الخامس: **منهجه في توضيح العقيدة**

الفصل الأول

عصـــره

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحـــث الأول: **الحالة السياسية**

المبحـــث الثاني: **الحالة الاجتماعية**

المبحـــث الثالث: **الحالة العلمية**

تمهيد

اعتاد بعض الباحثين أن يتحدثوا عن العصر الذي عاش فيه العالم أو الشيخ الذي يقصدون الحديث عن شخصيته وذلك للوقوف على الظروف التي عاشها وعاصرها لما لها من تأثير على نشأته وتكوينه وأفكاره وسلوكه.

وحديثنا عن عصر الشيخ عبدالقادر الجيلاني لن يكون اتباعاً لذلك العرف أو تقليداً لهذه العادة وإنما سيكون استجابة للحاجة الملحة والضرورة المقتضية التي تحتم بيان مدى تأثير الشيخ عبدالقادر وتأثره في العصر الذي عاشه والذي سبق ظهور صلاح الدين الأيوبي[(١)] وقيامه بالجهاد لاسترداد القدس ودحر الصليبيين وإعلاء دين الله عز وجل وذلك لإيضاح مدى تأثير العلماء والمصلحين وقدرتهم على التغيير وتهيئة الأمة للقيام بدورها في الإصلاح والوقوف في وجه الأخطار التي تحدق بها.

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه هذا العصر بالعصر الذي سبق عصر الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى علماء ربانيين يعالجون أمراضها ويصلحون أخطاءها ويوجهون خطاها. ويردونها إلى الجادة الصحيحة بعد أن زلت بها الأقدام إلاّ ما رحم الله

---

(١) أبوالمظفر يوسف بن أيوب التكريتي صلاح الدين الأيوبي المجاهد العظيم والملك الشجاع، تملك بعد نور الدين زنكي واتسعت بلاده وكان خليقاً بالإمارة مهيباً حازماً ورعاً زاهداً ذا همة كبيرة في إقامة الجهاد حتى فتح الله عليه ونصر به دينه وقمع به أعداءه توفي رحمه الله سنة ٥٨٩هـ.
سير أعلام النبلاء (١٢/٢٧٨).

ولم تأخذ العبرة من الدروس القاسية والمحن المؤلمة التي تعرضت لها عبر تاريخها الطويل كلما انحرفت عن منهج الله وحادت عن طريقه.

إن صلاح الدين الذي أنقذ الله به القدس من يد الصليبيين الحاقدين، لم يكن شخصية معجزة تملك عصاً سحرية تستطيع قلب الموازين وإحداث المعجزات وإنما كان قائداً مؤمناً شجاعاً محنكاً نادى بصوته القوي فاستجابت له الأمة الحية والتفَّت حوله ولبَّت ندائه وهبَّت وراءه طالبة إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة.

وهذه الحياة التي توافرت في تلك الأمة قد عملت على إذكائها عدة عوامل لعل من أبرزها وجود العلماء والدعاة الذين جمعوا كلمتها ولموا شعثها وأعادوا بناء ثقتها بنفسها، وبيان دورها في هذه الحياة وأنها إنما كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله فإذا تخلت عن هذا الدور وتقاعست عن هذه المهمة سلبت هذه الخيرية وسقطت من عين الله وهانت على الناس كهوانها على الله.

المبحث الأول

الحالة السياسية

عاش الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ في الفترة الواقعة ما بين عامي ٤٧٠هـ و٥٦١هـ وقد تميزت هذه الفترة بالاضطراب السياسي وكثرة الأحداث والتقلبات السياسية وعندما انتقل الشيخ إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ كان ذلك بعد سقوط دولة بني بويه الشيعية ووصول سلاطين السلاجقة إلى الحكم في بغداد وقيام دولتهم السنية وذلك في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله والذي لم يكن يملك من الخلافة إلاَّ اسمها لأن السلطة كانت بيد أمراء الجند ورؤساء القبائل وترتب على هذا قيام الفتنة والتنافس بين سلاطين السلاجقة فعاث الجند فساداً في بغداد وصادروا الأموال ونهبت المتاجر وذاق الناس آلام الجوع والخوف(١).

وقد عاصر الشيخ عبدالقادر خمسة من خلفاء بني العباس هم:

١ـ المستظهر بالله الذي ينتهي نسبه إلى هارون الرشيد، ولد سنة ٤٧٠هـ وبويع له بالخلافة سنة ٤٨٧هـ، ومات سنة ٥١٢هـ، ومدة خلافته ٢٤ عاماً، وكان كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً وقد وقعت في أول عهده فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة وقتل ناس كثير(٢).

---

(١) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٤١).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٥٦).

٢ـ المسترشد بن المستظهر، ولي الخلافة بعد والده سنة ٥١٢هـ وكان رجلاً قوياً شجاعاً مقداماً بعيد الهمة عذب الكلام كثير العبادة محبوباً لدى العامة والخاصة قتله الباطنيون سنة ٥٢٩هـ، وقطعوه قطعاً بعد أن دامت خلافته سبعة عشر عاماً[١].

٣ـ بعده تولى الخلافة الراشد بالله سنة ٥٢٩هـ وفي عهده ظهر الرفض قليلاً، وكانت مدة خلافته قصيرة جدًّا دامت أحد عشر شهراً، بعدها جرى خلعه بفتيا الفقهاء، ثم قُتل غيلة على أيدي بعض الباطنيين.[٢]

٤ـ المقتفي لأمر الله، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد وكان شهماً مقداماً مات سنة ٥٥٥هـ.[٣]

٥ـ المستنجد بالله الذي بويع بالخلافة بعد موت والده وكان رجلاً صالحاً، توفي سنة ٥٦٦هـ[٤].

وبالجملة فقد اتسمت تلك الفترة بالاضطراب السياسي لوجود النزاعات الحادة بين الخلفاء في بغداد والباطنيين في مصر مما أتاح لبعض الأمراء الاستقلال بإماراتهم كما حدث في الشام ثم حصل التنافس والنزاع بين هؤلاء الأمراء[٥].

وقد كان لهذا الحال أثره في نفس الشيخ عبدالقادر وشخصيته حيث فضَّل أن يبقى جهده محصوراً في حلقات العلم والتربية الروحية وتزهيد الناس في أمور الدنيا إلى جانب قيامه أحياناً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الجو المضطرب الذي يعتبر القيام فيه بذلك

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٢٢٣).
(٢) المصدر السابق (١٢/ ٢٢٤).
(٣) المصدر السابق (١٢/ ٢٥٩).
(٤) المصدر السابق (١٢/ ٢٨١).
(٥) المصدر السابق (١٣/ ٦).

ضرباً من ضروب الجهاد[١].

ولعل من المناسب وأنا أتحدث عن الناحية السياسية في ذلك العصر إبان قيام الخلافة العباسية أن أُشير إلى بعض المخالفات التي وقعت من معظم الخلفاء ومنها:

١ـ الإسراف في الأموال العامة وتبديد مقدرات وثروات الأمة وصرفها في غير المصارف الشرعية وإنفاقها على الشعراء والمداحين الذين كان الأولى بهم أن يحثى في وجوههم التراب بالإضافة إلى المبالغة في ترف العيش وبناء القصور.

٢ـ توليتهم لمن ليس أهلاً للولاية ممن رقَّ دينه وقلت كفاءته واعتمادهم في الغالب على الأعاجم ممن لا يوثق بدينهم وتوليتهم أهم الولايات ووضعهم في المناصب القيادية الحساسة التي كان الأجدر بها أهل الصلاح والتقوى لأن في إسناد الأمانات إلى غير أهلها خيانة للأمة وإضاعة لأمنها وأمانها وتعريضها للضعف والانهيار.

٣ـ تقريبهم لأهل الفسق والمجون في مجالسهم ونواديهم والابتعاد عن مجالسة الصالحين وعقلاء الأمة من أهل العلم والفضل ممن يحمل هموم الأمة ويرعى مصالحها.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٧٠).

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

من الغالب أن ترتبط الحالة الاجتماعية في أي عصر بالوضع السياسي السائد ولما كانت هذه الفترة قد تميزت بكثرة التقلبات السياسية وكثرة الخلفاء وضخامة الأحداث واختلاط المسلمين بغيرهم من الأعاجم. فقد أدى ذلك إلى تنوع الحياة الاجتماعية، وعدم استقرارها على وتيرة واحدة.

ففي عهد المستنجد بالله تذكر كتب التاريخ أنه كان حسن السيرة مع الرعية وأن الناس كانوا في عهده في رغد من العيش للعدل الذي كان يسوس الناس به كما أنه ألغى كثيراً من المكوس والضرائب[١].

أما في العهود الأخرى للخلفاء فقد ساءت الأحوال وفشا الجوع وارتفعت الأسعار وهلك كثير من الناس[٢].

وباستقراء أحوال الناس في تلك الفترة يمكن تقسيمهم إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: طبقة الحكام وهم العباسيون في بغداد والفاطميون في مصر، وبعض الأمراء في بلاد الشام، فهؤلاء كانوا يعيشون في غاية التمتع بالشهوات والاستغراق في الملذات وتحصيل أكبر قدر ممكن من

---

(١) الكامل لابن الأثير (٩/١٠٩).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢٦).

أسباب الرفاهية ومن أمثلة ذلك ما نقله المؤرخون إذ يصف ابن كثير[١] جهاز ابنة السلطان ملك شاه سنة ٤٨٠هـ فيقول:

«في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملك شاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجلَّلة بالديباج الرومي غالبها أواني الذهب والفضة، وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقاً من الفضة فيها أنواع من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرساً عليها مراكب الذهب ومرصعة بالجواهر ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجوهر[٢]».

ويتحدث عن حياة أبي نصر أحمد بن مروان الكردي والي بلاد بكر وميا فارقين المتوفى سنة ٤٥٣هـ فيقول:

«كان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمهن وعنده خمسمائة خادم وكان عنده من المغنيات شيء كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار وأكثر وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأواني مايساوي مائتي ألف دينار»[٣].

الطبقة الثانية: طبقة العلماء وهؤلاء كان لهم دور في تربية الأمة

---

(١) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير. ولد سنة ٧٠٠هـ، وقدم دمشق وله سبع سنوات، وحفظ مختصر ابن الحاجب، ثم صاهر المزي، وصحب ابن تيمية، وكان كثير الاستحضار، وقليل النسيان جيد الفهم، وقد انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير له مصنفات كثيرة منها «البداية والنهاية» و«تفسير القرآن العظيم» توفي سنة ٧٧٤هـ.
شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٣١).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٤١).

(٣) المرجع السابق (١٢/ ٨٧).

ودعوتها إلى الحق وإعادة ثقتها بنفسها وهو ماستتحدث عنه بإذن الله عند الكلام على الحالة العلمية.

الطبقة الثالثة: عامة الناس وهؤلاء عانوا كثيراً بسبب الحروب وسوء الأحوال المعيشية وكثرة الفساد مما حملهم إلى الانصراف والاهتمام بمتطلبات حياتهم الضرورية التي تدورحول الغذاء والكساء والمأوى.

وقد أدى هذا إلى انتشار النفاق وسقوط الأخلاق وانهيار القيم وأصبح الحديث عن المثل العليا إما وسيلة يتكسب بها بعض الوعاظ والخطباء أو مثاليات وخيالات ليس لها رصيد في الواقع سوى الاستخفاف بها وعدم الانتباه لها وتزامن هذا الفساد مع شيوع ألوان من اللهو كمصارعة الحمام وانتشار الملاهي والجواري والمغنيات.[١]

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/١٠٥).

المبحث الثالث

الحالة العلمية

كانت فترة حياة الشيخ عبدالقادر الجيلاني من أفضل الفترات الزمنية التي كثر فيها العلماء الأجلاء، ليس في بغداد وحدها، بل في جميع مدن العالم الإسلامي وقد كان لهؤلاء العلماء دور كبير في إثراء الفكر الإسلامي والمكتبة الإسلامية بكثير من المؤلفات النافعة التي لا يزال العلماء عالة عليها حتى يومنا هذا، ومن يستقرىء كتب التراجم والسير يلاحظ كثرة العلماء وكثرة المؤلفات ومن أبرزهم الشيخ عبدالقادر الجيلاني والذي سندرسه في هذه الرسالة.

وكذلك الإمام ابن الجوزي الحافظ المفسر مفخرة العراق، وعلاَّمة عصره، والذي كان رأساً في التذكير والوعظ وبحراً في كثير من العلوم، وكان حسن السيرةصنَّف الكثيرمن الكتب في التفسيروالحديث والتاريخ[١]

والشيخ عبدالله بن أحمد بن قدامة المولود سنة ٥٤١هـ، والذي كان إماماً في القرآن وتفسيره، إماماً في علم الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه بل أوحد زمانه فيه إماماً في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماماً في أصول الفقه والنحو والحساب[٢].

والشيخ أبوالفتح عمر بن محمد بن الحاجب المحدث البارع صاحب المعجم الكبير كان فيه دين وخير وله حفظ وذكاء وهمة عالية

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٩).

(٢) انظر: سيرأعلام النبلاء للذهبي(٢٢/ ١٦٩)وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ١٣٦)

في طلب الحديث[١].

والشيخ أبوعمر بن الصلاح الإمام الحافظ مفتي الشام ومحدثها، كان عابداً زاهداً ورعاً[٢].

والشيخ المنذري الحافظ الكبير صاحب المؤلفات الكثيرة المشهورة، طلب العلم حتى برع فيه وأصبح عديم النظير في فنونه وكان حجة ثبتاً ورعاً[٣].

والشيخ أبوشامة الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ صاحب التصانيف العديدة كان ديِّناً أميناً[٤].

كما شهد هذا العصر حركة ثقافية واسعة ساعدت على قيامها الظروف السياسية والفكرية السائدة في تلك الفترة حيث كان الصراع السياسي والعقائدي بين المسلمين والنصارى وكذا النزاع بين أهل السنة الممثلين سياسياً بالخلافة العباسية وبين الشيعة الممثلين سياسياً بالحكم الفاطمي في مصر بالإضافة إلى ما اتسم به هذا العصر من الخلافات المذهبية الفقهية، وقيام علماء كل مذهب ببذل الجهد في نشر مذهبهم من خلال التأليف والدخول في صراعات مذهبية قسَّمت الأمة إلى فرق متناحرة متنافرة أشبه ما تكون بالأحزاب والجماعات في زماننا.

وقد أفرز هذا المفهوم المذهبي للإسلام، أو المفهوم الحزبي بالمصطلح المعاصر آثاراً خطيرة في ميادين الفكر والتربية والاجتماع والسياسة أجملها الدكتور ماجد عرسان الكيلاني فيما يلي:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٧٠).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٦٨).
(٣) المصدر السابق (١٣/ ٢١٢).
(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٥٠).

١ـ الآثار الفكرية: حيث تحددت أطر الإنتاج الفكري في حدود المذهب فصارت المؤلفات إما اجتراراً وتكراراً لأفكار من سبقوا من رجال المذاهب، أو إطراءاً وإشادةً بتضحياتهم وجهادهم. وظهرت كتب الطبقات المذهبية مثل طبقات الحنابلة، وطبقات الشافعية، كما ظهرت الشروح والحواشي والمختصرات في حين لم تنل المشكلات المعاصرة والحاجات القائمة التي تتعلق بالأمة آنذاك إلاَّ إشارات هامشية محدودة.

كما أفرز هذا التعصب المذهبي نوعاً من الإرهاب الفكري ضد المستنيرين من أصحاب المذاهب نفسها وإلزامهم بعدم التفاعل الفكري مع غيرهم من خارج المذهب، إلاَّ أن أخطر هذه الآثار الفكرية هو انقطاع أتباع المذاهب عن الاتصال المباشر بالقرآن الكريم والسنة المطهرة والتوجه إلى مؤلفات رجال المذاهب باعتبارها تمثل الفهم الصحيح للكتاب والسنة.

٢ـ الآثار التربوية: لقد تسرَّب شيوخ المذاهب إلى المدارس وأثروا فيها وفي مناهجها وأهدافها وأدى هذا إلى فساد أهداف التعليم وغاياته وأصبحت تدور حول تأهيل الدارسين لشغل مناصب الإفتاء والقضاء والهيمنة عليها. وبذلك ضاق مفهوم العلم واقتصر على فقه العبادات والمعاملات في حدود الأطر المذهبية.

٣ـ الآثار الاجتماعية: لقد شكلت المذاهب طوائف اجتماعية أشبه ما تكون بالأحزاب المتناحرة وأصبح المذهب الواحديضم أخلاطاً من الناس منهم المشايخ والتجار والطلبة والعوام وكانت تربط هؤلاء رابطة هشة تقوم على الشكلية والمظهر أكثر من المضمون والجوهر إذ كان يكفي للانتماء المذهبي أن يحضر الاجتماعات وأن يكدس كتب

المذهب وأن يتزيا بزي أهله.

٤ـ الآثار السياسية: حين تحولت أهداف العمل الإسلامي على يد المذاهب عن السعي لتمكين الشريعة وهيمنة الإسلام إلى تمكين رجال المذاهب أصبحت السمة البارزة للنشاط السياسي هي مشاركة زعماء المذاهب في إدارات الدولة وتنافسهم في التقرب إلى السلاطين وقيام أصحاب المطامع الشخصية بالانتساب إلى المذاهب لتحقيق مطامعهم، فإذا تولى أحد قادة المذاهب منصباً ركَّز همه على تمكين أهل مذهبه والنيل من أتباع المذاهب الأخرى.(١)

وهكذا نلاحظ مدى ما ألحقته الصراعات المذهبية من أضرار بالغة بالنشاط العلمي والحالة العلمية في ذلك العصر إلاَّ أن ذلك لا يعني عدم وجود نخبة من العلماء والمربين الذين ركَّزوا على الجوانب التربوية والتعليمية وتأسيس المدارس ويعتبر الشيخ عبدالقادر الجيلاني نموذجاً لهؤلاء العلماء، فقد أفنى جزءاً كبيراً من حياته في العلم والتعليم والتربية والتوجيه والدعوة والوعظ مما كان له أكبر الأثر في صياغة المجتمع وتهيئته وإعداده للقيام بالمهمات الجسام التي قام بها بعد إعلان الجهاد ورفع رايته لدحر العدوان الصليبي حيث قاد هو والعلماء في عصره انتفاضة روحية إيمانية أوقفت التيارات الفلسفية الوافدة وخففت من هيمنة الصراع المذهبي والتي كانت سبباً في انتقال الدين من القلوب إلى العقول وحولته من عقيدة يقينية إلى مسائل منطقية ومجادلات فقهية فحمل الشيخ عبدالقادر راية التغيير ودعم حملته بوعظه المؤثر والمعتمد على الكتاب والسنة وعمل على إحياء وتقوية العاطفة الدينية وتحويل الأمة إلى ميادين العمل والإعراض عن المناقشات والجدل.

---

(١) «هكذا ظهر جيل صلاح الدين» للدكتور ماجد عرسان الكيلاني (١٩ـ٣١) بتصرف.

الفصل الثاني
نشأتـه وحياتـه

وتحته مبحثان:

المبحـث الأول: اسمه وكنيته ولقبه وولادته ووفاته

المبحـث الثاني: طلبه للعلم ورحلاته

المبحث الأول

اسمه وكنيته ولقبه وولادته ووفاته

١ـ اسمه: هو عبدالقادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض.

ويلقب أيضاً بالمجل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ[(١)].

وبالرغم من ورود ما يوحي بعدم صحة نسبته إلى علي بن أبي طالب كما في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب[(٢)] حيث يقول ما نصه: «وبعض الناس ينكر نسبته إلى علي بن أبي طالب»[(٣)]. إلاَّ أننا لن نطيل الحديث حول هذه القضية التي لا طائل من ورائها إذ المهم في حياة الإنسان عمله وكسبه لا أصله ونسبه؛ ولأن الشيخ الجيلاني نفسه لم يكن يهتمّ بهذا الأمر ولم تكن لديه الرغبة في الظهور بل يغلب عليه التواضع والزهد حتى في الأنساب والألقاب. ولذا كان يقول عندما

---

(١) انظر: بهجة الأسرار للشطنوفي ٨٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٩/٢٠). والأعلام للزركلي (٤٧/٤).

(٢) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب أبوالفرج حافظ للحديث ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق له مصنفات كثيرة منها: جامع العلوم والحكم، والقواعد الفقهية، ولطائف المعارف، وذيل طبقات الحنابلة وغيرها.
الأعلام للزركلي (٢٩٥/٣).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٩٠/١).

يُعرِّف عن نفسه «متفقه من جيلان»[(١)] ثم لما أصبح شيخاً مشهوراً أغنته شهرته وشيوع ذكره عن نسبه مع احتمال صحة انتسابه إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لضعف أدلة الطاعنين وندرتهم وقوة أدلت المثبتين وكثرتهم[(٢)].

٢ـ كنيته ولقبه: تكاد تجمع كتب السير والتراجم على أن كنيته أبومحمد ونسبته الجيلاني أو الجيلي فمثلاً عندما يترجم له ابن الأثير[(٣)] في الكامل فيقول: هو عبدالقادر بن أبي صالح أبومحمد الجيلي[(٤)].

ويوافقه ابن كثير في البداية والنهاية حيث يقول: هو الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح أبومحمد الجيلي[(٥)].

أما الذهبي في سير أعلام النبلاء فيقول عند ترجمته له: «عبدالقادر بن أبي عبدالله بن جنكي دوست الجيلي»[(٦)].

ويزيد الزركلي في الأعلام فيقول عنه: «عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني أبومحمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي»[(٧)].

أما الألقاب التي أطلقت عليه فهي كثيرة توحي بدلالات متعددة،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٤٤).
(٢) انظر: بهجة الأسرار للشطنوفي (٨٨) وما بعدها.
(٣) الشيخ الإمام العلامة علي بن محمد بن الأثير. مؤلف كتاب الكامل في التاريخ ولد سنة ٥٥٠هـ كان إماماً علامة إخبارياً أديباً، أقبل في آخر عمره على دراسة الحديث. وكان منزله مأوى لطلبة العلم يجتمع فيه الفضلاء. توفي سنة ٦٣٠هـ.
سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٥٣.
(٤) الكامل لابن الأثير (١١/ ٩٢٣).
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٧٠).
(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٣٩).
(٧) الأعلام للزركلي (٤/ ٤٧).

وهي تشبه في عصرنا الإجازات العلمية أو الميداليات والأوسمة التي تمنح للعلماء والعظماء إقراراً بفضلهم وبياناً لعلو منزلتهم.

فمن الألقاب التي أُطلقت عليه لقب الإمام، أطلقه عليه السمعاني[١] فقال: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره. نقله عنه ابن رجب[٢].

ومنها لقب شيخ الإسلام أطلقه عليه الذهبي[٣] حين ترجم له في سير أعلام النبلاء[٤].

كما أطلق عليه المتصوفة ألقاباً كثيرة من ألقابهم مثل القطب والغوث[٥] والباز الأشهب وغيرها مما سنذكره في ثنايا هذه الرسالة عند

---

(١) محمد بن منصور بن محمد السمعاني حافظ محدث فقيه أديب توفي بمرو سنة ٥١٠. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧٢.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩١).

(٣) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي. ولد سنة ٦٧٣هـ قال عنه التاج السبكي: شيخنا وأستاذنا محدث العصر، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها. له مصنفات عديدة منها تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ وغيرها. مات سنة ٧٤٨هـ.
شذرات الذهب ٦/ ١٥٣.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٣٩).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف. وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلاَّ الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين =

الحديث عن آرائه الصوفية.

٣ـ ولادته ووفاته: ولد الشيخ عبدالقادر في بلدة جيلان وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها: كيل وكيلان، والنسبة إليها جيلي وجيلاني وكيلاني وذلك سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة[١].

وقيل: إنه ولد سنة سبعين وأربعمائة هجرية وقد أخذت هذه الرواية من قوله لما سئل عن مولده: لا أعلمه حقيقة لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي وعمري إذ ذاك ثماني عشر سنة[٢].

والتميمي هو أبومحمد رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن الحرث بن أسد المتوفى سنة ٤٨٨هـ[٣].

أما وفاة الشيخ عبدالقادر فقد كانت ليلة السبت الثامن من ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بعد المغرب، ودفن بمدرسته بعد أن شيعه خلقٌ لا يحصون[٤].

= والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك.

الفتاوى (١١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٨). بتصرف.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٣٩).

(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي (٨٨).

(٣) المصدر السابق، ٨٨.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٥٠).

المبحث الثاني

طلبه للعلم ورحلاته

كانت بغداد في ذلك الوقت من أعظم مراكز العلم في العالم الإسلامي. وكانت تزخر بكوكبة عظيمة من العلماء في مختلف الفنون.

ولما كانت الرحلة في طلب العلم عادة متبعة مارسها طلبة العلم في مراحل طلبهم للعلم وانتقلوا من بلادهم وأهليهم وهجروا مصالحهم ومنافعهم رغبة في التزود من معين العلم والمعرفة والذي كانت وسائله في ذلك الوقت غير متاحة بالمقدار الذي توفرت لطلاب العلم في عهدنا الحاضر. فقد رحل الشيخ عبدالقادر الجيلاني من بلده ومسقط رأسه جيلان إلى بغداد حيث دخلها سنة ٤٨٨هـ وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة كما تقدم والتقى في بغداد بمجموعة من مشاهير العلماء الذين نهل من مناهلهم واستفاد من معارفهم حتى أصبح عالماً في مختلف العلوم إذ يصفه الذهبي في ترجمته له بأنه «الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحي الدين»[١].

وكما يصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بأنه «شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٣٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٠).

وقد أمضى في طلب العلم اثنين وثلاثين سنة درس فيها مختلف علوم الشريعة ثم جلس للتعليم والوعظ سنة ٥٢٠هـ[١].

وكان خلال فترة طلبه للعلم رغم طولها يعاني من ضيق العيش ويكابد مرارة الحرمان إلاَّ أن ذلك لم يفت من عزيمته ولم يعوقه عن المثابرة في طلب العلم، وقد نقل ابن رجب ما يصوِّر لنا تلك المعاناة من كلام الشيخ نفسه حيث يقول:

«وكنت أقتات الخرنوب[٢] الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد أن بقيت أياماً لم آكل طعاماً بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها فخرجت يوماً من شدة الجوع لعلى أجد ورق الخس أو البقل أو غير ذلك فأتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلاَّ وغيري قد سبقني إليه. وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياءاً.

فرجعت أمشي وسط البلد لا أدرك منبوذاً إلاَّ وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت إليه ووقعت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز صاف وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي فقلت: ماهذا وقلت ما ههنا إلاَّ الله أو ما قضاه علي من الموت إذ التفت إليَّ العجمي فرآني فقال: بسم الله ياأخي فأبيت فأقسم عليَّ فبادرت نفسي فخالفتها فأقسم أيضاً فأجبته فأكلت متقاصراً

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٩١).

(٢) الخرنوب: شجر بري ذو شوك ذو حمل كالتفاح لكنه بشع. القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٠١).

فأخذ يسألني ما شغلك ومن أين أنت وبمن تُعْرَفْ فقلت: أنا متفقه من جيلان فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبدالقادر فقلت: أنا هو فأضطرب وتغيَّر وجهه وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفدت نفقتي ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلاَّ مما كان لك معي وقد حلَّت لي الميتة وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء فكل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي فقلت له: وما ذاك فقال: أمك وجَّهت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للاضطرار فأنا معتذر إليك فسكتُّه وطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف»[1].

وهكذا نلمس مدى الجهد والتعب الذي كان يبذله طلبة العلم ومدى الصبر وقوة التحمل التي كان يتحلى بها أولئك الرجال لتحقيق رغبتهم في نيل العلم وتحصيله وأن الإنسان ليشعر بالألم والأسى حين يقارن هذه الأحوال بحالنا في هذه الأزمنة وما حصل من التكاسل والتخاذل وضعف الهمم وخمول الإرادة رغم وفرة الإمكانات من الكتب والمراجع والأدوات فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

وهذه القصة التي أوردها الشيخ عبدالقادر رحمه الله فيها كرامة له رحمه الله حيث تنقل من مكان إلى مكان حتى انتهى إلى هذا المسجد وفيه يلتقي برسالة من أمه رفع الله عز وجل عنه بها تلك المشقة وأنقذه بها من الهلاك.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٨).

الفصل الثالث
شيوخه وتلاميذه

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: شيوخه

المبحث الثاني: تلاميذه

المبحث الأول

شيوخه

للشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله شيوخ كثيرون أخذ عنهم العلم والعمل وسأقتصر هنا على إيراد أشهر مشايخه ومن أراد الوقوف على شيوخه فعليه بمراجعة تراجمه في الكتب الوارد ذكرها في ترجمته.

أولاً: شيوخه في دراسة القرآن الكريم:

لم تذكر المراجع التي بين يدي شيئاً عمن قام بتحفيظه القرآن الكريم ولكنها أشارت إلى أنه أتم دراسته للقرآن في جيلان قبل رحيله إلى بغداد حيث يقول صاحب قلائد الجواهر في ترجمته:

«وبعد أن أتم دراسته للقرآن الكريم حفظاً وعلوماً قصد أشياخ الأئمة أعلام الأمة» ويقول: «تفقه بعد أن قرأ القرآن الكريم حتى أتقنه وعمر بدراسته سره وعلنه»[١].

أما دراسته للتفسير فيظهر لي أنها تمت على يد شيوخه في الفقه والحديث لأن هؤلاء العلماء كانوا على إلمام ودراية بالقرآن الكريم وتفسيره بلا شك شأنهم في ذلك شأن علماء السلف رحمهم الله تعالى الذين كانوا بمثابة الموسوعات العلمية في معظم الفنون والمعارف.

(١) قلائد الجواهر للتادفي (٤).

ثانياً شيوخه في الفقه وأصوله:

١ـ أبوالخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني أبوطالب البغدادي: المولود سنة ٤٣٢هـ والمتوفى سنة ٥١٠هـ وهو أحد أئمة المذهب الحنبلي وأعيانه كان عالماً بالحديث والفقه مذهباً وأصولاً وخلافاً عظيم التحقيق والتدقيق فيه وكان مفتياً صالحاً وعابداً ورعاً حسن العشرة، له نظم رائق وله كتاب الهداية، وكتاب رؤوس المسائل، وكتاب أصول الفقه، وصفه الذهبي حين ترجم له في السير بأنه العلامة الورع شيخ الحنابلة وقال عنه بأنه من أفاضل العلماء خيراً صادقاً حسن الخلق حلو النادرة من أذكياء الرجال[١].

٢ـ أبوسعيد: المبارك بن علي المخرمي شيخ الحنابلة تفقه بالقاضي أبي يعلى وبنى مدرسة باب الأزج درَّس بها بعده تلميذه الشيخ عبدالقادر الجيلاني بعد أن طوَّرها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد، وكان نزيهاً عفيفاً، وقد فتحت عليه الدنيا، فبنى داراً وحماماً وبستاناً، مات سنة ٥١٣هـ[٢].

٣ـ أبوالوفاء علي بن عقيل بن عبدالله البغدادي: الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف ولد سنة ٤٣١هـ وكان يتوقد ذكاءاً وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير على بدعته[٣].

---

(١) الذيل على الطبقات لابن رجب (١/ ١١٦). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٤٨). وشذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٢٨). وشذرات الذهب (٤/ ٤٠). والذيل على الطبقات (١/ ١٦٦).

(٣) يشير الذهبي إلى مجالسته للمعتزلة حتى وقع في حبائلهم وتجسَّر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة والعافية.

وقد نقل عنه الذهبي قوله: «عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة وقصر محبتي على العلم وما خالطت لعاباً قط ولا عاشرت إلاَّ أمثالي من طلبة العلم. وأنا الآن في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن العشرين وبلغت لاثنتي عشرة سنة وأنا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر والفكر والحفظ وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلاَّ أن القوة ضعيفة[١].

قال ابن الجوزي[٢]: كان ابن عقيل ديناً حافظاً للحدود توفي له ابنان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه وكان كريماً ينفق ما يجد وما خلَّف سوى كتبه وثياب بدنه توفي سنة ٥١٣هـ[٣].

وينقل الذهبي عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي قول ابن عقيل: حججت فألتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر فإذا شيخ أعمى ينشده ويبذل لملتقطه مائة دينار فرددته عليه فقال: خذ الدنانير فامتنعت وخرجت إلى الشام وزرت القدس وقصدت بغداد فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع فقدموني فصليت بهم فأطعموني وكان أول رمضان فقالوا: إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر ففعلت فقالوا: لإمامنا بنت فتزوجت بها وأقمت معها سنة وأولدتها ولداً ذكراً فمرضت في نفاسها فتأملتها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر فقلت لها: لهذا قصة وحكيت

= سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٤٧).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٤٦). وشذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٣٥).

(٢) الإمام العلامة أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف الكثيرة له عبادة ونسك وجمال وطلق وحسن معاشرة وطيب مظهر مات رحمه الله سنة ٥٩٧. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٤٧). وشذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٣٥). والذيل على الطبقات لابن رجب (١/ ١٤٢).

لها، فبكت وقالت: أنت هو والله لقد كان أبي يبكي ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي رد العقد عليَّ وقد استجاب الله منه ثم ماتت فأخذت العقد والميراث وعدت إلى بغداد[١].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٤٩).

ثالثاً شيخه في التصوف:

ـ حماد بن مسلم الدباس[١] صحبه الشيخ عبدالقادر الجيلاني في بداية حياته وتأدب بآدابه، وتأثر به كثيراً، وكان يجد جفاءاً وصلفاً منه في التعامل يقول في ذلك: وكنت إذا غبت عنه لطلب العلم ورجعت إليه يقول لي: إيش جاء بك إلينا، أنت فقيه سر إلى الفقهاء. فأسكت وكان يؤذيني أذية كبيرة ويضربني وإذا غبت عنه لطلب العلم وجئت إليه يقول: قد جاءنا اليوم الخبز الكثير والفالوذج وأكلنا وما خبأنا لك شيئاً فطمع فيَّ أصحابه لكثرة ما يرونه يؤذيني وجعلوا يقولون: أنت فقيه إيش تعمل هنا أو إيش جاء بك إلينا»[٢].

ويبدو أن أسلوب حماد بن مسلم كان يقوم على المجاهدة ولذا كان يقصد من وراء هذا التعامل الشديد إلى امتحان قدرته ومدى تحمله وصبره لأن التصوف بطبعه يعتمد على الصمود أمام المغريات وشهوات النفس.

ونستطيع أن نجزم بصحة تتلمذ الشيخ عبدالقادر الجيلاني على حماد الدباس لاسيما وقد ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء فقال: «كان الشيخ عبدالقادر من تلامذته»[٣]. كما أشار إلى ذلك ابن العماد في شذرات الذهب بقوله: «الشيخ حماد بن مسلم بن ددوه الدباس أبوعبدالله

---

(١) حماد بن مسلم الدباس: الزاهد كان أمياً لا يكتب له أصحاب وأحوال وكرامات، وكان شيخ العارفين في زمانه، زاول أكثر المهن والصنائع في طلب الحلال. مات سنة ٥٢٥هـ.
سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٥٩٤). وشذرات الذهب (٤/ ٧٣).

(٢) قلائد الجواهر (١٢).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٥٩٦).

الرحبي الزاهد شيخ الشيخ عبدالقادر الجيلاني»[١].

وأيضاً فقد أثنى شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال: فأمر الشيخ عبدالقادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة رضي الله عنهم: بأنه لا يريد السالك مراداً قط وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق[٣].

---

(١) شذرات الذهب (٤/ ٧٣).

(٢) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الإمام شيخ الإسلام ولد في حران وانتقل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. سجن مرات من أجل فتاواه كان داعية إصلاح في الدين آية في التفسير والعقائد والأصول، فصيح اللسان، مكثراً من التصنيف، توفي في سجن القلعة بدمشق سنة ٧٢٨هـ.
الأعلام للزركلي (١/ ١٤٤).

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٤٥٥).

رابعاً شيوخه في الحديث:

١ـ أبومحمد جعفر بن أحمد البغدادي السراج: الشيخ الإمام البارع المحدث المسند بقية المشايخ كتب بخطه الكثير وصنَّف الكتب كان صدوقاً ألَّف في فنون شتَّى وكان ممن يفتخر برؤيته ورواياته لديانته ودرايته ثقة مأمون عالم صالح ولد سنة ٤١٧هـ وتوفي سنة ٥٠٠هـ[١].

٢ـ أبوالقاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان البغدادي كان صحيح السماع ولا يعرف في الإسلام محدث وازاه في قدم السماع ولد سنة ٤١٣هـ وتوفي سنة ٥١٠هـ.[٢]

٣ـ أبوعبدالله يحيى بن الإمام أبوعلي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي: كان الحافظ عبدالله بن عيسى الأندلسي يثني عليه ويمدحه ويطريه ويصفه بالعلم والفضل وحسن الأخلاق وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته ولد سنة ٤٥٣هـ، وتوفي سنة ٥٣١هـ[٣].

هؤلاء سبعة من شيوخه الذين اشتهر بالأخذ عنهم وكان لهم الأثر الكبير في حياته.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٢٢٨). وشذرات الذهب (٣/ ٤١١).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٢٥٩).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٦).

المبحث الثاني

تلاميــذه

لقد كان لجلوس الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ للتدريس والوعظ وملازمته لمدرسته سبب كبير في كثرة تلاميذه وتخريجه أفواجاً كثيرة من العلماء في شتى العلوم والمعارف.

وعندما ترجم له ابن الجوزي في المنتظم لم يذكر أحداً من تلاميذه وإنما اكتفى بالإشارة إلى كثرة إقبال الناس عليه وكثرة التائبين على يديه مع طول مكثه واعظاً ومدرساً حتى مات[١].

أما الشطنوفي فقد أورد مائة وسبعة عشر اسماً ممن تتلمذوا على يديه بعد أن قال: وانتمى إليه جمع عظيم من العلماء وتتلمذ له خلق كثير من الفقهاء ولو شرعنا نذكر كل الأعيان ممن انتمى إليه وأخذ عنه العلم أو سمع منه ومن ذريته وغيرهم لكثر العدد[٢].

وقد أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء عدداً ممن تتلمذ على الشيخ عبدالقادر وأجاز له[٣].

وسوف نقتصر على ذكر من برز واشتهر وصارت له الإمامة لنعرف مدى انتشار أثر الشيخ عبدالقادر العلمي، ومنهم:

١ـ القاضي أبوالمحاسن عمر بن علي بن الخضر القرشي: الحافظ، فقيه

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٢١٩).

(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي (١٠٦، ١٧٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٤٠).

حافظ عالم عنى بالحديث، وسمع بدمشق، وحلب، وحران، والموصل، والكوفة، وبغداد، والحرمين، ورزق الفهم ولي القضاء ومات سنة ٥٧٥هـ[١].

٢ـ تقي الدين أبومحمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري: لم يزل يطلب ويسمع ويكتب ويسهر ويدأب ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتقي الله ويتعبد ويصوم وينشر العلم إلى أن مات سافر إلى بغداد هو وابن خاله الموفق في أول سنة ٥٦١هـ فكانا يخرجان معاً ويذهب أحدهما في صحبة رفيقه إلى درسه وسماعه وكان الحافظ يميل إلى الحديث، والموفق يريد الفقه، فلما رآهما العقلاء على التصوف وقلَّة المخالطة أحبوهما وأحسنوا إليهما وحصَّلا علماً جماً، فأقاما ببغداد نحو أربع وستين سنة، ونزلا أولاً عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني فأحسن إليهما ثم مات بعد قدومهما بخمسين ليلة له مصنفات كثيرة وكان آية في الحفظ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مات رحمه الله سنة ٦٠٠هـ[٢].

٣ـ موفق الدين أبومحمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي: صاحب المغني الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد، شيخ الإسلام، كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة حجة نبيلاً، غزير الفضل، نزيهاً، ورعاً عابداً على قانون السلف عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه، قال عنه ابن الحاجب: هو إمام الأئمة

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٢٥٢). وسير أعلام النبلاء (٢١/ ١٠٥).

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٣٤٥). وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٣). والذيل على الطبقات لابن رجب (٢/ ٥).

ومفتي الأمة خصَّه الله بالفضل الوافر والخاطر الماطر، والعلم الكامل، طنَّت بذكره الأمصار، وضنَّت بمثله الأعصار أخذ بمجاميع الحقائق النقلية والعقلية. قدم بغداد هو والحافظ فأقاما عند الشيخ عبدالقادر خمسين ليلة، ومات ثم أقاما عند ابن الجوزي، ثم انتقلا إلى رباط النعَّال. صنَّف كتبه المغني والكافي والمقنع والعمدة ولد سنة ٥٤١هـ، وحفظ القرآن كان من بحور العلم وأذكياء العالم[١].

وممن تتلمذ على الشيخ عبدالقادر الجيلاني أولاده وكان له من الأولاد تسعة وأربعون ولداً سبعة وعشرون ذكراً، والباقي بنات، وكان يقول: إذا ولد لي ولد أخَذْتُه على يدي وأقول هذا ميت، فأخرجه من قلبي فإذا مات لم يؤثر عندي موته شيئاً[٢].

وقد عاش منهم عدد كبير وأخذوا عن والدهم العلم والمعارف وتفرقوا في البلاد ومن أبرز أولاده في العلم:

٤ـ عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلاني: الشيخ الإمام المحدث الحنبلي الزاهد، كان زاهداً عابداً ثقة قانعاً باليسير فقيهاً ورعاً كثير العبادة صابراً على فقره على منهاج السلف، وكانت جنازته مشهودة، ولد رحمه الله سنة ٥٢٨هـ وتوفي سنة ٦٠٣هـ.[٣]

٥ـ عبدالوهاب بن عبدالقادر الجيلاني: الفقيه الحنبلي الواعظ ولد سنة ٥٢٢هـ وسمع من كثير من العلماء، ومنهم والده الذي قرأ عليه الفقه حتى برع، وقد قام بالتدريس بمدرسة والده نيابة عنه في حياته وبعد

---

(١) الذيل على الطبقات لابن رجب (٢/ ١٣٣). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢/ ١٦٥).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٤٧).
(٣) الذيل على الطبقات لابن رجب ٢(٤٠). وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٢٦). وشذرات الذهب (٥/ ٩).

وفاته، ثم نزعت منه لابن الجوزي، ثم ردت إليه. وكان كيِّساً ظريفاً ولم يكن في أولاد أبيه أفقه منه، له كلام حسن في مسائل الخلاف فصيحاً في الوعظ وإيراد الملح مع عذوبه الألفاظ ذا مزح ودعابة وكياسة توفي سنة ٥٩٣هـ(١).

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٣١٤).

الفصل الرابع
مؤلفاته ومكانته العلمية

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: **مؤلفاته**

المبحث الثاني: **مكانته العلمية**

المبحث الأول

مؤلفاتـه

لقد اشتغل الشيخ عبدالقادر الجيلاني بالوعظ والتدريس وأمضى معظم حياته في العلم والتعليم وكان اهتمامه بالتأليف والتدوين محدوداً ولو أنه صنَّف علومه ومعارفه كغيره من العلماء في عصره وفي العصور التي سبقته والتي جاءت بعده، لترك لنا ثروة علمية كبيرة من المؤلفات النافعة في العلوم التي مرَّ أنه من أهل الإتقان فيها.

ولكن يبدو أن جانب الوعظ والتربية والاهتمام بالسلوك والعبادة قد استحوذ على جانب من حياته وليس هو وحده الذي سلك هذا المسلك فإن كثيراً من أهل الفضل والصلاح والعلم والإتقان لم يكن لهم اهتمام بالتأليف والتدوين وهذا واضح في سير الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين رحمهم الله ومعظم العلماء في القرون المفضلة، ولعلَّ مرجع ذلك إلى بعض الأسباب منها:

١ـ إحساسه بعدم الحاجة إلى التدوين وشعوره بأن المكتبة الإسلامية قد أتخمت بالعديد من المؤلفات والمصنفات في شتى ميادين العلم.

٢ـ عدم وجود الوقت الكافي للتأليف في ظل إقبال الناس على دروسه واستماعهم إلى مواعظه.

٣ـ اشتغاله فيما يتبقى له من الوقت بأداء العبادات والتقرب إلى الله بكثرة الأعمال الصالحة من تهجد وتلاوة وذكر.

٤ـ شعوره بأن الآثار العلمية ليست مقصورة على المؤلفات فقط، فقد

يترك العالم آثاراً علمية نافعة، ويغرس غرساً يكون أثره ونفعه أفضل من نفع المؤلفات وهذا ما حصل للشيخ عبدالقادر فقد ترك مدرسة كبيرة عامرة ببغداد لها مكانتها العلمية وشهرتها الواسعة في علوم الشريعة ولاتزال بقايا تلك المدرسة موجودة إلى اليوم وبها مكتبة تحتوي على العديد من المخطوطات النادرة[١] وكم كنت أتمنى لو أُتيحت لي فرصة الاطلاع على تلك المدرسة وتلك المكتبة وما فيها من المخطوطات ولكن الظروف السياسية التي أعقبت غزو العراق للكويت وفرض العزلة والمقاطعة عليه حالت دون ذلك.

(١) مدارس بغداد في العصر العباسي/ عماد عبدالسلام (١٥٤).

صبره على التعليم وجلده :

كان الشيخ عبدالقادر الجيلاني قوي الاشتغال بالتدريس عالماً في الكتاب متقناً وكان يتكلم في ثلاثة عشر علماً، وكانوا يقرؤون عليه في مدرسته درساً من التفسير ودرساً من الحديث ودرساً من المذاهب، ودرساً من الخلاف، وكانوا يقرؤون عليه طرفي النهار التفسير وعلوم المذهب والخلاف والأصول والنحو وكان يعلم القرآن بالقراءات بعد الظهر وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي ـ رحمهما الله ـ وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب[١].

أما مجالس وعظه وقدرته على التأثير والجذب وكثرة إقبال الناس على سماع مواعظه فقد ذكر ذلك معظم من ترجم له من المؤرخين وكتّاب السير وذكروا أن الملوك والسلاطين والوزراء كانوا يحضرون مجالس وعظه، أما العلماء الذين كانوا يجلسون في حلقات مواعظه فلا يأتي عليهم حصر وقد عُدَّ في بعض مجالسه أربعمائة محبرة[٢].

ويبدو أن سبب ذلك ما ذكره الشيخ أبوالحسن الندوي بقوله: كان صاحب نفس زكية وهمة قوية مؤثرة وعلى جانب عظيم من الزهد والقناعة والعزوف عن الشهوات، يجد ضعاف الإيمان في مجالسه قوة اليقين وحرارة الإيمان، ويجد أهل الشك والارتياب السكينة والإذعان، ويجد أصحاب النفوس القلقة والقلوب الجريحة المنكسرة الهدوء والعزاء والسلوان ويجد هواة الحقائق والمعارف وأصحاب الدراسات العلوم

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١٠٩).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٧٠). والذيل على الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٠).

الدقيقة والنكت اللطيفة، ويجد أصحاب البطالة والعطلة وأصحاب القلوب الخامدة ما يملؤهم حماسة وإيماناً وما يحفزهم إلى العمل والجهاد، ويجد عباد الملذات والشهوات والمترفون في الحياة الذين تجرأوا على المعاصي والمحارم مايبعث فيهم الإقلاع والندامة والتوبة والإنابة.

وبالجملة يجد كل أحد في مجالسه غناءه ودواءه وغذاءه وشفاءه ويقف كمنارة عالية من الإيمان والعلم في بحر الظلمات والجاهلية يأوي إليها الغرقى ويهتدي بها الحائرون ويخلف الأنبياء في دعاء الخلق إلى الله، ودعوة الناس إلى دار السلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور»[1].

وهذا يعني أن الشيخ عبدالقادر كان يخاطب جميع فئات المجتمع وهذه ميزة من الميزات العظيمة التي يجب أن يتحلّىٰ بها من يتصدىٰ للدعوة إلى الله حتى يعم نفعه ويصل خيره إلى أكبر عدد من الناس.

ومع هذا فإن اشتغال الشيخ عبدالقادر بالعلم والوعظ والتدريس لم يمنعه من التأليف، والتصنيف، فقد ترك ثروة علمية تناولت مختلف العلوم وهذه المؤلفات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: ما صنَّفه وكتبه بنفسه وهذا قام بتصنيفه استجابة لإلحاح إخوانه وتلاميذه حيث يقول في مقدمة كتابه «الغنية»: «ألح عليَّ بعض أصحابي وشدّد في الخطاب في تصنيف هذا الكتاب لحسن ظنه في الإصابة والصواب والله هو العاصم في الأقوال والأفعال، والمطلع على الضمائر والنيات والمنعم المتفضل بتسهيل ما أراد وإليه عزَّ وجلَّ الالتجاء بتطهير القلوب من الرياء والنفاق، وإبدال السيئات بالحسنات إنه

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن الندوي (١/ ٢٥١).

غافر للذنوب والخطيئات وقابل التوبة من العباد، فلما رأيت صدق رغبته في معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات ومعرفة الصانع عز وجل بالآيات والعلامات».

إلى أن قال: «فأجبته إلى ذلك وسارعت مشمراً مبتغياً محتسباً للثواب راجياً للنجاة في يوم الحساب إلى جمع هذا الكتاب بتوفيق رب الأرباب الملهم للصواب»[1].

القسم الثاني: لم يقم بتأليفه بنفسه وإنما قام بعض طلأبه بجمعه وترتيبه من أقواله وأوراده وأذكاره وإن كان هذا القسم قد نسب إليه فيما بعد من قبل بعض المؤرخين والنساخ وسوف نتحدث عن كل قسم على حدة بمشيئة الله تعالى.

أولاً: القسم الذي قام بتأليفه بنفسه، وهو ثلاثة كتب فقط:

١ـ الغنية لطالبي الحق عز وجل. ويتكوّن من جزئين مقسمة إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: في الفقه وأنواع العبادات كالصلاة والزكاة والصيام، والحج والآداب والأذكار.

القسم الثاني: في العقيدة وقضايا الإيمان والتوحيد، والنبوات، والمعاد، وأهل البدع من الفرق الضالة والنحل والملل المنحرفة.

القسم الثالث: بعض المجالس المتعلقة بالقرآن الكريم والتوبة والتقوى، وصفة الجنة والنار، وفضائل بعض الشهور والأيام.

القسم الرابع: تفصيلات بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالصيام والصلاة والدعاء.

القسم الخامس: في التصوف وآداب المريدين وآداب الصحبة

---

(١) الغنية للجيلاني (١/١).

وجملة من الأحوال والمقامات.

وهذا الكتاب من أحسن كتب الفقه والعقائد والآداب كتبه بأسلوب سهل وبعبارة مبسطة وعزَّزه بالأدلة الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لولا ما احتوى عليه من بعض الصلوات المبتدعة والأذكار والأدعية مما سيتم التنبيه عليه في ثنايا هذه الرسالة بمشيئة الله تعالى.

وهذا الكتاب قد نسبه إليه غالب من ترجم له. قال ابن كثير في البداية والنهاية: «وقد صنَّف كتاب الغنية وفتوح الغيب وفيهما أشياء حسنة وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة»(١).

ويقول ابن رجب في الذيل على الطبقات: «وله كتاب الغنية وهو معروف»(٢).

والكتاب مطبوع ومتداول وموجود في معظم المكتبات وبعدة طبعات اطلعت على ثلاث منها: الأولى: طباعة دار الحرية ببغداد عام ١٤٠٨هـ، والثانية: طباعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة عام ١٣٧٥هـ. والثالثة: طباعة دار الألباب بدمشق بدون تاريخ.

٢ـ فتوح الغيب: وهو كتاب يحتوي على العديد من المقالات والنصائح المفيدة والأفكار والآراء التي تتحدث عن كثير من القضايا كبيان حال الدنيا وأحوال النفس وشهواتها والتسليم لأمر الله. وبيان مقامات التوكل والخوف والرجاء، والرضا، إلى غير ذلك من المقالات والوصايا التي وجهها لأولاده.

والكتاب طبعته مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ ودار الألباب بدمشق سنة ١٤١٣هـ.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٧٠).

(٢) الذيل على الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٦).

وقد نسبه إلى الشيخ عبدالقادر كل من ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة[١]، والإمام ابن كثير في البداية والنهاية[٢].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رسالة ضمن فتاواه اشتملت على توضيح وتوجيه بعض جمله ومعانيه[٣].

غير أن صاحب قلائد الجواهر قد ذكر أن الكتاب المذكور من جمع وترتيب أحد تلاميذ الشيخ عبدالقادر وهو الشيخ زين الدين المرصفي الصياد[٤] من المواعظ التي كان يمليها في مدرسته ورباطه[٥] يؤيد ذلك أن كل مقالة تبدأ هكذا (قال رضي الله عنه كذا في المدرسة أو في الرباط).

وسواء كانت من تأليف الشيخ وكتابته بنفسه أو من إملاءاته على تلاميذه، فهي في النهاية تؤول إليه باعتبارها من آثاره.

إلاَّ أنه لابد من الإشارة إلى أنه ألحق بالكتاب المذكور بعض القصائد الشعرية المنسوبة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني، والتي لا نشك في عدم صحة نسبتها إليه، وذلك لما اشتملت عليه من الشركيات والضلالات التي لا يمكن أن تصدر منه ولايتوقع أن يطلع عليها شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن اطلاعه على الكتاب ثم يغفلها ولا يشير إلى بطلانها وبيان ضلالاتها، مما يجعلنا نجزم بأنها مدسوسة على الكتاب وهذه بعض الأمثلة:

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٦).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٧٠).

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٥٥) ومابعدها.

(٤) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(٥) قلائد الجواهر للتادفي (٧).

القصيدة الأولى وفيها:

أنا كُنْتُ قَبْلَ القَبْلِ قُطباً مُبَجَّلاً
تَطُوفُ بِيَ الأَكْوَانُ والرَبُّ أَسْمَانِي

خَرَفْتُ جَمِيعَ الحُجُبِ حَتَّىٰ وَصَلْتَهُ
مَقَاماً به قَدْ كَانَ جَدِّي له دَانِي

وَقَدْ كشَفَ الأسْتَارَ عَنْ نُورِ وَجْهِهِ
وَمِنْ خَمْرَةِ التَّوْحِيدِ بالكَأْسِ أَسْقَانِي

أَنَا قُطْبُ أَقْطَابُ الوجُودِ بِأَسْرِهَا
أَنَا بَازُهُمْ والكُلُّ يُدْعَىٰ بِغِلْمَانِي

وَلَوْ أَنَّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي لِدَجْلَةٍ
لَغَارَتْ وسَارَ المَاءُ فِي سِرِّ إِعْلاَنِي

وَلَوْ أَنَّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي إِلَى لَظَى
لأُخْمِدَتْ النِّيرَانِ مِنْ عُظْمِ سُلْطَانِي

وَلَوْ أَنَّنِي أَلْقَيْتُ سِرِّي لِمَيِّتٍ
لَقَامَ بِإِذْنِ اللهِ فِي الْحَالِ نَادَانِي[1]

والقصيدة الثانية وفيها:

ذِرَاعِيَ مِنْ فَوْقِ السَّمٰوَاتِ كُلِّهَا
وِمِنْ تَحْتِ بَطْنِ الحُوتِ مَدَّيْتُ رَاحَتِي

وَأَعْلَمُ نَبْتَ الأَرْضِ كَمْ مِنْ نَبَاتِهِ
وأَعْلَمُ رَمْلَ الأَرْضِ كَمْ هُوَ رَمْلَةٍ

وأَعْلَمُ عِلْمَ اللهِ أُحْصِي حُرُوفَهُ
وأَعْلَمُ مَوْجَ البَحْرِ كَمْ هُوَ مَوْجَةٍ

(١) فتوح الغيب (١٧١).

أَنَـا كُنْـتُ مَـعَ نُـوحٍ بِـأَعْلَـىٰ سَفِينَتِـهْ
بِحَـاراً وطُـوفَـانـاً عَلَـى كَـفٍّ قُـدْرَتِـي
وكُنْـتُ وَإِبْـرَاهِيـمُ مُلْقَـى بِنَـارِهِ
وَمَـا بَـرَدَ النِّيـرَانِ إلاَّ بِـدَعْـوَتِـي
وَكُنْـتُ مَـعَ يَعْقُـوبَ فِـي غَشْـوِ عَيْنِـهِ
وَمَـا بَـرَأَتْ عَيْنَـاهُ إِلاَّ بِتَفْلَتِـي
أَنَـا كُنْـتُ مَـعْ أَيُّـوبَ فِـي زَمَـنِ البَـلاَ
وَمَـا بَـرَأَتْ بَلْـوَاهُ إلاَّ بِـدَعْـوَتِـي
أَنَـا الـوَاحِـدُ الفَـرْدُ الكَبِيـرُ بِـذَاتِـهِ
أَنَـا الْـوَاصِـفُ المَـوْصُـوف عَلَـم الطَّـرِيقَتِـي
مَلَكْـتُ بِـلاَدَ اللهِ شَـرْقـاً ومغـربـاً
وَإِنْ شِئْـتُ أَفْنَيْـتُ الأَنَـامَ بِلَحْظَتِـي[١]

وأدهى من ذلك القصيدة الثالثة المسماة بالخمرية والمشهورة عند عوام الطريقة بالغوثية والتي يزعمون أن من خواصها أن من داوم على قراءتها كل يوم إحدى عشرة مرة يصير مقبولاً عند الله ومحبوباً عند الخلق ومن قرأها زاد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها. إلى غير ذلك من الجهالات والضلالات. وقد جاء في تلك القصيدة من الشركيات الشيء الكثير مثل:

نَظَـرْتُ إِلَـى بِـلادِ الله جَمْعـاً
كَخَـرْدَلَـةٍ عَلَـىٰ حُكْـمِ اتِّصَـالِـي
فَلَـوْ أَلْقَيْـتُ سِـرِّي فَـوْقَ نَـارٍ
لَخَمَـدَتْ وانْطَفَـتْ مِـنْ سِـرِّ حَـالِـي

(١) فتوح الغيب (١٨٦).

وَلَــوْ أَلْقَيْــتُ سِــرِّي فَــوْقَ مَيْــتٍ
لَقَــامَ بِقُــدْرَةِ المَــوْلَــىٰ مَشَــا لِــي
وَلَــوْ أَلْقَيْــتُ سِــرِّي فِــي جِبَــالٍ
لَــدُكَّــتْ وَاخْتَفَــتْ بَيْــنَ الــرِّمَــالِ
وَلَــوْ أَلْقَيْــتُ سِــرَّي فِــي بِحَــارٍ
لَصَــارَ الْكُــلُّ غَــوْراً فِــي الــزَّوَالِ[1]

وبطلان ما تضمنته تلك القصائد الشركية يغني عن التعليق عليها.

٣ـ كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني وهو كتاب يحتوي على وصايا وتوجيهات ومواعظ في اثنين وستين مجلساً من مجالس الوعظ والتعليم، خلال الفترة من ٣/ ١٠/ ٥٤٥هجرية حتى ٦/ ٧/ ٥٤٦هجرية تناول فيها العديد من القضايا في الإيمان والإخلاص والسلوك وغير ذلك من الموضوعات وقد أشارت بعض المصادر إلى صحة نسبته إليه[2].

وإذا قورن في عمومه بكتابيه السابقين نجد أنه يشبهها إلى حد كبير في الأسلوب والموضوعات المطروحة خصوصاً كتاب فتوح الغيب والكتاب طبعته مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٧٩م ومكتبة دار الألباب بدمشق.

ثانياً: القسم الذي كتبه بعض طلاَّبه ثم نسب إليه:

١ـ الأوراد القادرية وهو كتاب يشتمل على بعض الأدعية والأحزاب والصلوات المبتدعة والقصائد الشركية جمعها المدعو/ محمد سالم بواب وطبعتها دار الألباب بدمشق عام ١٩٩٢م، ونسبتها إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهذه النسبة غير صحيحة لما اشتملت عليه تلك

---

(١) فتوح الغيب (١٩٥).
(٢) الأعلام للزركلي (٤/ ٤٧).

الأوراد من الضلالات التي لا يتصور صدورها منه وأغلب الظن أنها من وضع أتباعه الذين ابتدعوها ثم نسبوها إليه حتى تروج ويتم انتشارها[١].

٢ـ السفينة القادرية وهو كتاب اشتمل على ترجمة للشيخ عبدالقادر الجيلاني كتبها ابن حجر العسقلاني بعنوان «غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبدالقادر» كما اشتمل على بعض الصلوات والأوراد وعلى شرح لحزب الوسيلة المنسوب إلى الشيخ عبدالقادر والذي وضعه المدعو/ محمد الأمين الكيلاني والكتاب طبعته دار الألباب بدمشق عام ١٩٩١م، وبه من الصلوات المبتدعة والمنامات والألفاظ الشركية ما يؤيد عدم نسبة الكتاب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني[٢].

٣ـ الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية. وهو من جمع وترتيب المدعو/ إسماعيل بن السيد محمد القادري، وقد نسبه الزركلي في الأعلام إلى الشيخ عبدالقادر وهذا وهمٌ منه[٣] والكتاب يحتوي على كثير من البدع والخرافات والأوراد الشركية كما اشتمل على تقسيمات للنفس في مقامات الصوفية وهي تقسيمات لا دليل عليها، والكتاب مطبوع لدى مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة١٣٥٣هـ[٤].

وكلام الشيخ عبدالقادر في الاعتقاد والسلوك كما سيأتي في الرسالة إن شاء الله يؤكد عدم صحة نسبة هذه الكتب إليه.

---

(١) انظر الأوراد القادرية ص(٢١).
(٢) السفينة القادرية (١٠٤، ١٢٠، ١٥٣).
(٣) الأعلام للزركلي (٤/ ٤٧).
(٤) الفيوضات الربانية (٣٤، ٤٢، ١٧٦).

المبحث الثاني
مكانته العلمية

بدأ الشيخ عبدالقادر الجيلاني حياته العلمية واعظاً ومدرساً فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له حديث بالزهد وأقام في مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي[١].

ولما كان العصر الذي عاش فيه الشيخ عبدالقادر قد اتسم بالمد الصوفي، وشيوع الآراء الفلسفية وأحوال الروحانيات وعلوم النجوم والسحر والطلسمات، فقد كان كثيراً ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة «اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة»[٢].

وهذا مؤشر إلى تبرمه وعدم ارتياحه من كثرة الفرق والنحل والملل التي خالفت عقيدة السلف. ولهذا فقد كان يشيد بعقيدة السلف ويهاجم من يخرج عليها ويحذر الناس من اتباع الأهواء وترك الاقتداء والمتابعة للسابقين الأولين فيقول:

«واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها فعلامة أهل البدعة الوقيعة في أهل الأثر ـ يعني السلف ـ وعلامة الزنادقة تسمية أهل الأثر بالحشوية ويريدون إبطال الآثار وعلامة القدرية تسمية أهل الأثر مجبِّرة وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة، وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة ولا اسم لهم إلاَّ اسم واحد هو أصحاب الحديث ولا يلتصق بهم ما لقَّبهم به أهل البدع كما لم

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/١٩٨).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/٤٤٢).

يلتصق بالنبي ﷺ تسمية كفار مكة له ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنِّه وسائر خلقه إلاَّ رسولاً نبيًّا بريئاً من العاهات كلها»[١].

وبالرغم من تفشي دعاوي الكرامات وما نقل عنه من وقوع الكثير منها على يديه مماهو صحيح وغير صحيح كما سنبينه إن شاء الله فيما بعد فإن منهجه السلفي جعله يفرق بين الكرامة والخرافة، وبين ما يمكن أن يكون من الله وما هو من كيد الشيطان، فقد نقل عنه أنه قال:

«تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تناديني ياعبدالقادر أنا ربك، وقد أحللت لك المحرمات فقلت: إخسأ يالعين، فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني: ياعبدالقادر نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريقة. فقلت: لله الفضل. فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله: قد أحللت لك المحرمات»[٢].

والكتاب الرئيسي من آثاره العلمية الذي نتمكن بواسطته من معرفة مكانته العلمية هو كتاب «الغنية» لطالبي الحق الذي سبق الحديث عنه. والذي أوضح في مقدمته أنه ألَّفه استجابة لطلب بعض أصحابه للتعريف بالآداب الشرعية من الفرائض والسنن والهيئات ومعرفة الصانع عز وجل بالآيات ولعلامات والاتعاظ بالقرآن والألفاظ النبوية ومعرفة أخلاق الصالحين[٣].

أما عن تدينه وأخلاقه فإن كتب السير تذكر أنه كان مثالاً للصدق

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٨٠).
(٢) فتاوى ابن تيمية (١/ ١٧٢) والطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٠٩).
(٣) الغنية (١/ ١).

منذ طفولته. وقد ذكر الشطنوفي قصة تحكي مبلغ صدقه قال: قال الشيخ عبدالقادر:

«عندما استأذنت والدتي للسفر إلى بغداد طلباً للعلم، سلمتني أربعين دينارٌ وخاطتها تحت إبط قميصي، وأوصتني بالصدق، وفي أثناء سفرنا خرج علينا ستون فارساً فأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد فاجتازني أحدهم وقال لي: كم معك يافقير؟ فقلت: أربعون ديناراً. فقال: وأين هي؟ فقلت: مخاطة في قميصي تحت إبطي. فظنني أستهزىء به فتركني وانصرف. ومرَّ بي آخر فقال لي: مثل ما قال الأول، فأجبته كما أجبت الأول، فتركني وانصرف، وتوافيا عند مُقَدَّمِهِمْ فأخبراه بما سمعاه مني فقال: عليَّ به فأُتِيَ بي إليه، وإذا هم على تَلٍّ يقتسمون أموال القافلة فقال لي: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً. قال: وأين هي؟ قلت: مخاطة في قميصي تحت إبطي. فأمر به فَفُتِقَ فوجد فيه الأربعين ديناراً، فقال: ما حملك على الاعتراف؟ قلت: إن أمي عاهدتني على الصدق وإني لا أخون عهدها. فبكى المقدم وقال: أنت لم تَخُنْ عهد أمك وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يديَّ فقال له أصحابه: أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوا منهم»[(١)].

إلاَّ أننا لا نجزم بصحة وقوع هذه القصة إذ ليس من المعقول أن يبادر جميع اللصوص الذين تحجرت قلوبهم وتبلدت مشاعرهم من كثرة ارتكابهم لجرائم القتل والسلب والنهب، وهكذا من غير دعوة ولا سبق تمهيد أن يبادروا إلى التوبة دفعة واحدة دون أن يعترض منهم ولو بعضهم على الأقل وهم كما تقول القصة ستون فارساً، مما يقوي الشك

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٨٧).

في عدم صحتها ولكنها توحي بما يمكن قبوله مما يتلائم مع ما عرف عن الشيخ عبدالقادر من طيب الصفات وكريم الأخلاق.

ولعلَّ أبرز مظاهر مكانته العلمية دوره البارز الذي لعبه في علاج الهوة العميقة التي كانت قد حدثت بين العلماء والفقهاء من جهة وبين أقطاب التصوف من جهة أخرى فلقد بدأ دعوته في وقت كانت الأمة تمر بظروف حرجة للغاية حيث كثرت الفرق واشتدت الانحرافات وشاعت البلبلة الفكرية واتجه التصوف اتجاهاً شاذاً وابتعد عن الشريعة ابتعاداً كبيراً حتى لم يعد له صلة بها إلاّ بخيوط الزعم والادعاء وأخذ أقطاب التصوف يقذفون العلماء بالتهم التي أقلها التمسك بحرفية النصوص التي لا تقل في نظرهم عن الابتعاد عن جوهر الدين واعتبروا الفقه علم الدنيا لا علم الدين، ومن أمثلة ذلك ما قاله أبويزيد البسطامي[١] للعلماء في عصره: «أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»[٢].

أما علماء السنة فقد اتهموا أقطاب التصوف بالزيغ والزندقة وذلك لأن بعض فرقهم أهملت شعائر الدين وفرائض الإسلام إهمالاً دفع بها في كثير من الأحيان إلى إنكار النصوص ورفضها رفضاً كاملاً.

---

(١) طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي أحد الزهاد كان جده شروسان مجوسياً فأسلم، ورد عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها وله شطحات كثيرة لا ندري عن ثبوتها منها قوله: سبحاني وما في الجبة إلاّ الله. وما النار لأستندن إليها غداً وأقول اجعلني فداءاً لأهلها وإلاّ بلعتها ما الجنة لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا ما المحدثون أن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب.
يقول الذهبي: إن ظاهر هذا الكلام إلحاد منها ما لا يصح أو يكون مقولاً عليه.
سير أعلام النبلاء (٨٦١٣).

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥).

وهكذا استمرت زاوية الانفراج في الاتساع على هذا النسق حتى القرن الخامس الهجري حيث حاول بعض العلماء التوفيق بين المعسكرين ومن أبرزهم الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي أعلن الحرب الشعواء على جميع الممارسات الصوفية المنحرفة متسلحاً بالحجج الدامغة من الكتاب والسنة حتى وصفه الشعراني بقوله: «كانت طريقته هي التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً»[١].

ويكفي في معرفة مكانة الشيخ عبدالقادر الجيلاني العلمية ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية عليه ـ رحمه الله ـ والذي عرف بحملته القوية وحربه الضروس ضد الصوفية حيث انبرى لهم بالرد والإبطال وتفنيد المزاعم وإيضاح الحق خصوصاً القائلين بالحلول ووحدة الوجود مثال ذلك قوله: «من اعتقد ما يعتقد الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد وغير ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد»[٢].

ولكنه ـ رحمه الله ـ ينتصر للشيخ عبدالقادر الجيلاني ويوجه كلامه ويحيطه بهالة كبيرة من التقدير والاحترام وإذا استشهد ببعض أقواله قال: «قال الشيخ عبدالقادر قدَّس الله روحه»[٣].

وقد شهد شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ عبدالقادر بأنه من الشيوخ

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١١٠).

(٢) فتاوى ابن تيمية (٢/ ٤٨٠).

(٣) فتاوى ابن تيمية (٢/ ٤٥٨).

وإطلاق قدَّس الله روحه لا حرج فيها فإن ذلك يراد به الدعاء بتطهير روحه. وأما تقديس الله عز وجل فهو تعظيمه وتنزيهه ومثال ذلك الصلاة، فالصلاة من الله الرحمة ومن العباد الدعاء.

انظر لسان العرب لابن منظور (٦/ ١٨٦). ومختار الصحاح للرازي (٢١٩).

الكبار، قال: «وكلام الشيوخ الكبار كالشيخ عبدالقادر وغيره»[١] ثم شهد له بأنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء فيقول: «والشيخ عبدالقادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية»[٢].

ومرة وصفه بأنه من أئمة الدين فقال: «وقد قال: بعض الناس في هذا المعنى: الأمر أمران أمر فيه حيلة وأمرٌ لا حيلة فيه، فما فيه حيلة لا يعجز عنه وما لا حيلة فيه لا يجزع منه، وهذا هو الذي ذكره أئمة الدين كما ذكر الشيخ عبدالقادر وغيره. فإنه لابُدَّ من فعل المأمور وترك المحذور والرضا والصبر على المقدور»[٣].

ومما يشير إلى مكانة الشيخ عبدالقادر العلمية وعلو منزلته ثناء كثير من العلماء عليه:

ـ قال القاضي أبوعبدالله محمد المقدسي، قال: سمعت شيخنا موفق الدين ابن قدامة يقول: دخلنا بغداد سنة ٥٦١هـ فإذا الشيخ الإمام محي الدين عبدالقادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً وحالاً وإفتاءاً وكان يكفي طالب العلم عن قصده غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء»[٤].

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٦٣).
(٢) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٨٨).
(٣) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥٠٧).
(٤) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٤).

وكان يبذل أوقاتاً كثيرة في سبيل تعليم الناس الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم يقول ابنه عبدالوهاب: «كان والدي رحمه الله يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها ٥٢١هـ، وآخرها ٥٦١هـ، ومدَّة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ٣٣سنة أولها ٥٣٨هـ، وآخرها ٥٦١هـ، وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة»[١].

أما ذكاؤه وفطنته وقدرته على حل المعضلات من الحوادث والمسائل فيشهد لذلك ما ذكره ابنه عبدالرزاق بقوله: «جاءت فتوى من العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على علماء العراقين عراق العجم وعراق العرب فلم يتضح لأحد منهم فيها جوابٌ شافٍ وصورتها: ما تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابدَّ له أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها فما يفعل من العبادات؟ قال: فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً ـ أي سبعاً ـ وحده وتنحل يمينه قال: فما بات المستفتي ببغداد»[٢].

وعندما ترجم له ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة قال: «شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته محي الدين أبومحمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٩٥).
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٤).

والمعارف والأحوال المشهورة»[١].

ويقول عنه ابن الجوزي: «تكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير»[٢].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٩٠).
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٩١).

الفصل الخامس

منهجه في توضيح العقيدة

المنهج هو الطريق الواضح السهل قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١) أي طريقاً واضحاً بيّناً(٢).

ومن خلال دراسة مؤلفات الشيخ عبدالقادر الجيلاني لاحظت أن له منهجاً واضح المعالم في إيضاح القضايا التي يعالجها خصوصاً قضايا العقيدة يمكن تلخيصه فيما يلي:

أولاً: عرضه للعقيدة بأسلوب بياني بليغ سهل العبارة تجنح حركة الإيقاع فيه إلى التوازي والتوازن وهو توازن مبعثه توازن حركة النفس والرغبة في الإيضاح بعيداً عن التعقيد والغموض ومثال ذلك تعريفه للإيمان بقوله:

«ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وبالتوفيق يقع»(٣).

وهذا العرض البليغ المبسط بعباراته المؤثرة تستهوي القارىء وتشده إلى مواصلة القراءة وهي موهبة يهبها الله من يشاء من عباده.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٣٨٣).

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٦٢).

ويمكن وصف أسلوبه بالتكامل في الخطاب والإشهاد والاستشهاد أضف إلى ذلك سهولة اللفظ ووضوح المعنى والبساطة في العرض، ويظهر هذا بوضوح من خلال مجالسه التي كانت تغص بالحاضرين من مختلف الطبقات مما يشهد بقدرته على جذبهم وشد انتباههم بروعة البيان وجمال الأسلوب.

ثانياً: حرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في إثبات الأسماء والصفات لله ـ عز وجل ـ يدل على ذلك قوله:

«ولا نخرج عن الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل».

وما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني في هذا الأمر يعتبر قاعدة من قواعد المنهج السلفي الذي سار عليه علماء أهل السنة والجماعة في القديم والحديث وهذه بعض أقوالهم:

١ـ يقول الإمام الأوزاعي(١): «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بماوردت به السنة» وهذا الكلام للأوزاعي رحمه الله له أهميته لاسيما وهو أحد الأئمة الكبار الذي يصفه ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بأنه أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك بن أنس إمام أهل الحجاز والأوزاعي إمام أهل الشام والليث بن سعد(٢) إمام أهل مصر والثوري(٣) إمام أهل

---

(١) عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي: إمام فقيه محدث مفسر نسبته إلى أوزاع من قرى دمشق، وأصله من سبي السند نشأ يتيماً وتأدب بنفسه ورحل إلى اليمامة والبصرة حتى برع، أراده المنصور على القضاء فأبى كان رأساً في العلم والعمل والاتباع وكثرة العبادة وكان صاحب سنة وله مذهب معروف في الفقه ومعمول به من قبل فقهاء الشام والأندلس. توفي سنة ١٥٧هـ.
شذرات الذهب (١/ ٣٤١). وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

(٢) الإمام المحدث الفقيه الليث بن سعد الفهمي ثقة ثبت إمام في العلم والعمل من أقران الإمام مالك مناقبه كثيرة. مات سنة ١٧٥هـ.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٦).

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وسيد العلماء في زمانه ولد سنة ٩٧هـ يقول عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني قال عنه =

العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم[١] المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا»[٢].

٢ـ يذكر ابن عبدالبر[٣] إجماع أهل السنة على إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة فيقول:

«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلاَّ أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا

= سفيان بن عيينة وابن معين: هو أمير المؤمنين في الحديث كان كثير الذكر للموت والآخرة، وكان رأساً في الزهد والفقه.
سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٢٩).

(١) الجهم بن صفوان: من أهل خراسان تتلمذ على الجعد بن درهم، وعمل كاتباً للحارث بن سريج الذي أثار الفتن ضد المسلمين في خراسان فكان الجهم يقرأ سيرته ويدعو إلى توليته ويحرض الناس على الخروج معه وفي سنة ١٢٨هـ وقعت معركة بين أمير خراسان وجيش الحارث بن سريج وكان الجهم معه فطعنه رجل في فمه فقتله كان متكلماً صاحب ذكاء وجدل.
سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦). والكامل لابن الأثير (٤/ ٢٩٢).

(٢) الفتوى الحموية لابن تيمية (ص٢٣).

(٣) الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبوعمر بن عبدالبر الأندلسي القرطبي صاحب التصانيف أدرك الكبار وطال عمره وعلا سنده، وجمع وصنف، ووثّق وضعّف وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان قال عنه ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه. مات رحمه الله سنة ٤٦٣هـ.
سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣).

يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبِّه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»(١).

ولو ذهبنا نستقصي كلام أئمة أهل السنة والجماعة لطال بنا البحث لكثرة ما أكَّدوه في هذه المسألة الهامة من مسائل العقيدة ولكن فيما ذكرته كفاية(٢).

وإذا تتبعنا استدلال الشيخ عبدالقادر على أمور العقيدة وجدناه يسير على هذا المنهج فعلى سبيل المثال عند كلامه في اعتقاد أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله ﷺ استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾(٣) وبقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾(٤).

وهذا المنهج السليم هو الذي انتهجه علماء أهل السنة والجماعة خلافاً لمنهج الفلاسفة والمتكلمين الذين يقدمون القضايا العقلية على الآيات القرآنية ويجعلون القرآن محكوماً والعقل حاكماً.

لكن الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ يورد القضايا ثم يسرد أدلتها بالإجمال دون أن يفصل موقفه مثال ذلك، وفي معرض الحديث عن

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٤٥).
(٢) للمزيد يمكن الاطلاع على كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص(٢٠)، وعقيدة السلف للصابوني ص(٣)، والاعتقاد للبيهقي ص(٥٣)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة ص(٣) وغيرهم.
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ـ١٩٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٦.

الصانع عز وجل: أورد حديث الصورة[١] «إن الله خلق آدم على صورته»[٢] ثم لم يبين موقفه من الحديث وعلى من يعود الضمير في لفظ صورته، وقد أوضحت كلام أهل العلم في هذه المسألة في ثنايا هذه الرسالة.

---

(١) رواه البخاري ح٦٢٢٧، ومسلم ح ٢٨٤١.
(٢) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

ثالثاً: يذكر الشيخ عبدالقادر باستمرار أن عقيدته عقيدة السلف ويطلب من الله أن يميته على مذهب إمام أهل السنة والجماعة مثال ذلك قوله:

«قال الإمام أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله وأماتنا على مذهبه أصلاً وفرعاً وحشرنا في زمرته»(١).

ويقول: **«عليكم بالاتباع من غير ابتداع عليكم بمذهب السلف الصالح امشوا في الجادة المستقيمة»**(٢).

غير أنه في التطبيق يقع في بعض المخالفات مثل: البدع العملية في العبادات كتخصيص رجب وبعض الليالي والأيام ببعض العبادات وكبدعة التبرك وغيرها مما سنتحدث عنه بالتفصيل في ثنايا الرسالة بإذن الله رغم أنه يدعو إلى الاتباع ومحاربة الابتداع مثل قوله: **«اتبعوا ولا تبتدعوا»**(٣).

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

(٢) الفتح الرباني، المجلس العاشر ص(٣٥).

(٣) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثانية ص(١٠).

رابعاً: رفض تأويل المتكلمين.

من الطبيعي أن يكون منهجه رفض التأويل مادام يعتمد في استدلالاته على الكتاب والسنة كما أسلفنا لأن التأويل يقتضي تقديم العقل على النص فإذا تعارضا جرى تأويل النص بما يوافق العقل وهذا واضح من كلامه ـ رحمه الله ـ حيث يقول في صفة الاستواء:

«وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك»(١).

وقد عاب أئمة الإسلام وعلماء السلف على أهل التأويل هذا المسلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وضعوا لأنفسهم قانوناً فيما جاءت به الأنبياء عن الله فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه هو ما ظنوه بعقولهم ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً له فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفهم لم يتبعوه»(٢).

ويبين في موضع آخر أن القول بالتأويل قدح في الرسول ﷺ؛ لأن من زعم أن الرسول تكلم بما لا يدل إلاّ على الباطل لا على الحق ولم يبين مراده وأنه أراد بذلك اللفظ المعنى الذي ليس بباطل وأنه أحال الناس في معرفة المراد على ما يعلم من غير جهته بآرائهم فقد قدح في الرسول ﷺ»(٣).

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٦).
(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٦).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٣).

خامساً: الإمساك عما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من إثبات أو نفي.

وهذا واضح جلي في قوله ـ رحمه الله ـ:

«ونعوذ بالله من أن نقول فيه وفي صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله ﷺ»[١].

وعلى هذا درج علماء أهل السنة والجماعة فإن الناس لا يعلمون عن الله إلاَّ ما أعلمهم به في كتابه أو أعلمهم به رسوله ﷺ في سنته، ومن سوء الأدب وعدم توقير الرب عز وجل أن يثبت شخص صفة أو اسماً لم يرد بها دليل من كتاب أو سنة أو ينفي صفة أو اسماً لم يرد بها دليل من كتاب أو سنة. يقول ابن الماجشون[٢] ـ رحمه الله ـ:

«اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى ربك ولا تتجاوز ما قد حدَّ لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة ومكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة فلا تخافنَّ في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ولا تكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً.

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في حديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تكلفن علمه بعقلك ولاتصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه»[٣].

---

(١) الغنية للجيلاني (١/٥٧).

(٢) العلامة الفقيه مفتي المدينة/ عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن الماجشون، تلميذ الإمام مالك قال عنه ابن عبدالبر: كان فقيهاً فصيحاً دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه من قبله. توفي عام ٢١٣هـ.
سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٣٥٩).

(٣) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية (١١٥).

سادساً: إعراضه عن علم الكلام.

من قواعد منهج الشيخ عبدالقادر في إيضاح العقيدة إعراضه عن علم الكلام وعدم اعتماده عليه؛ لأنه يرى أنه منشأ الضلالات التي وقع فيها القوم ولذا نقل في كتابه الغنية قول الإمام أحمد رحمه الله:

«لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلاَّ ما كان في كتاب الله عز وجل أو حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم أو عن التابعين فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود فلا يقال في صفات الرب عز وجل كيف ولم ولا يقول ذلك إلاَّ شاك»[١].

وهذا هو الذي درج عليه علماء أهل السنة والجماعة الذين ذمّوا علم الكلام وحذّروا منه وبيّنوا العواقب الوخيمة التي يفضي إليها منهم أبويوسف[٢] صاحب أبوحنيفة الذي يقول من طلب العلم بالكلام تزندق.

أما الشافعي ـ رحمه الله ـ فقد كان أكثر الأئمة صرامة في التعامل مع أهل علم الكلام حيث يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب السنة وأقبل على الكلام، ولقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما كنت أظنه ولئن يبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير من أن يبتلى بالكلام.

وكذا الإمام أحمد يقول: «ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح وقلَّ أحد

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٦).

(٢) الإمام الفقيه يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب أبي حنيفة وناشر مذهبه جمع بين الرواية والدراية وقد ولي القضاء وهو أول من دعى بقاضي القضاة أيام المهدي وتوفي في عهد الرشيد سنة ١٨٢.
شذرات الذهب (١/ ٢٩٨).

نظر في الكلام إلاَّ كان في قلبه غلٌّ على أهل الإسلام»[١].

ولا أجد أفضل من أن أختم هذا الموضوع بذكر ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض من تورطوا في هذا الطريق وبلغت بهم الحيرة مبلغها فيقول:

«وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة بل والتصوف الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول حيارى كما أنشد الشهرستاني[٢] في أول كتابه[٣] كما قال:

قد أشار إلى من إشارته غنم وطاعته حتم أن أجمع له من مشكلات الأصول ما أشكل على ذوي العقول ولعله استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم.

لَقَدْ طُفْتُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ كُلِّهَا
وَسَيَّرْتَ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أرَ إلاَّ وَاضِعاً كَفَّ حَائِرٍ
عَلَىٰ ذَقنٍ أَوْ قَارِعاً سِنَّ نَادِمِ

وأنشد أبوعبدالله الرازي[٤] في غير موضع من كتبه مثل كتاب:

---

(١) انظر إلى هذه اوقوال وغيرها في دره تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٣٢).

(٢) محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني صاحب التصانيف الكثيرة متكلم بارع أخذ علم النظر والأصول عن أبي نصر العسكري من أشهر كتبه الملل والنحل توفي سنة ٥٤٨هـ.
شذرات الذهب (٤/ ١٤٩).

(٣) يشير إلى كتاب الشهرستاني نهاية الأقدام في علم الكلام وهو كتاب مطبوع بلندن سنة ١٩٣٤.

(٤) هو أبوعبدالله محمد بن عمر الطبرستاني الرازي ولد سنة ٦٤٤هـ، وأخذ العلم عن =

أقسام الذات لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم، وأنه ثلاثة مقامات: العلم بالذات، والصفات، والأفعال، وعلى كل مقام عقدة. فعلم الذات عليه عقدة: هل الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية؟ وعلم الصفات عليه عقدة: هل الصفات زائدة على الذات أم لا؟ وعلم الأفعال عليه عقدة: هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها؟ ثم قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ثم أنشد:

نِهَايَةُ إِقْدَامُ العُقُول عِقَالُ
وَأَكْثَرُ سَعْيُ العَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْواحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أذىً وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا
سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2] واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾[4] و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾[5] ومن جرَّب مثل

= والده وله مصنفات مشهورة منها«مفاتيح الغيب في التفسير»وغيره،توفي سنة ٦٠٦هـ. شذرات الذهب (٥/ ٢١).

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٥) سورة مريم، الآية: ٦٥.

تجربتي عرف مثل معرفتي»[١].

ويقول ابن قتيبة[٢] وهو يكشف عوار هذا العلم: «وقد تدبرت مقالة أهل الكلام، فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون، ويبصرون القذى في عيون الناس، وعيونهم تطرف على الأجذاع، ويتهمون غيرهم في النقل، ولا يتهمون آرائهم في التأويل ومعاني الكتاب والحديث، وما أودعاه من لطائف الحكمة، وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة، والتولد، والعرض، والجوهر، والكيفية والكمية، والأينية ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بها وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة وحب الأتباع»[٣].

وفي الختام فهذه أهم الجوانب البارزة في منهج الشيخ عبدالقادر في إيضاح العقيدة وسوف يتضح ذلك بمزيد من البيان والعرض والتحليل عند مناقشة مسائل العقيدة بالتفصيل في ثنايا هذه الرسالة والتي هي بمنزلة الجانب التطبيقي لهذه المعالم التي أوجزتها والله ولي التوفيق.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٥٩).

(٢) العلامة الكبير أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة صاحب التصانيف كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، مات سنة ٢٧٦هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٢٦٩.

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ١٢.

الباب الثاني

آراء الشيخ عبدالقادر الجيلاني الاعتقادية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

وتحته ستة فصول :

الفصـــل الأول: الإيمان

الفصـــل الثاني: التوحيد

الفصـــل الثالث: النبوات

الفصـــل الرابع: اليوم الآخر ومقدماته

الفصل الخامس: البدعة وموقفه منها

الفصل السادس: الإمامة وطاعة الولاة والنصح لهم

الفصل الأول

الإيمـــان

وتحته خمسة مباحث:

المبحـــث الأول: **تعريف الإيمان**

المبحـــث الثاني: **زيادة الإيمان ونقصانه**

المبحـــث الثالث: **الفرق بين الإيمان والإسلام**

المبحـــث الرابع: **الاستثناء في الإيمان**

المبحث الخامس: **مصير المؤمن صاحب الكبيرة**

المبحث الأول

تعريف الإيمان

الإيمان في اللغة :

الإيمان: مصدر من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن.

قال الجوهري: الإيمان: التصديق[١].

وقال ابن منظور: الإيمان: معناه التصديق[٢].

وقال الرازي: الإيمان: التصديق[٣].

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية من جعل الإيمان بمعنى التصديق ورد عليهم من وجوه كثيرة، ويرى أن أقرب لفظ له هو الإقرار[٤].

الإيمان في الاصطلاح :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل قول اللسان وعمل القلب والجوارح، وسوف نذكر أقوالهم بالتفصيل فيما بعد. أما الطوائف الأخرى فقد خالفت أهل السنة والجماعة في ذلك وأقوالهم كالتالي:

القول الأول: إن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح، وهذا القول هو قول حماد بن أبي

---

(١) الصحاح للجوهري، ٥/٢٠٧١.
(٢) لسان العرب لابن منظور، ١٣/٢٣.
(٣) مختار الصحاح للرازي، ١١.
(٤) الفتاوى لابن تيمية، ٧/٥٢٩.

سليمان[١] وقول تلميذه أبي حنيفة ومن تبعهم من الفقهاء[٢].

القول الثاني: أن الإيمان مجرد معرفة القلب وهو قول الجهمية[٣].

القول الثالث: أنه قول اللسان فقط. وهو قول الكرامية[٤].

القول الرابع: أنه التصديق وهو قول الأشاعرة.[٥]

القول الخامس: أنه العمل والنطق والاعتقاد وهو قول المعتزلة. وقد سبق بيان أن هذا هو قول أهل السنة لكن المعتزلة جعلوا الأعمال شرطاً في صحة الإيمان، أما أهل السنة والجماعة فيجعلونها شرطاً في كماله الواجب لا في كماله على الإطلاق[٦].

وقد وافق الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان فقال:

---

(١) حماد بن أبي سليمان العلامة الإمام، فقيه العراق، روى عن أنس وروى عنه تلميذه أبوحنيفة والأعمش وسفيان الثوري، كان أحد العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، قال معمر: قلت لحماد كنت رأساً وكنت إماماً في أصحابك فخالفتهم فصرت تابعاً قال: إني أن أكون تابعاً في الحق خير من أن أكون رأساً في الباطل. قال الذهبي: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئاً إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان ويقولون الإيمان إقرار باللسان ويقين في القلب. مات حماد سنة ١٢٠هـ (سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٣١).

(٢) شرح الفقه الأكبر، ١٤٨.

(٣) السنة لعبدالله بن أحمد، رقم ٥٩٤، مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٣.

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري، ص١٤١. والكرامية هم أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وهم طوائف متعددة من أهل الإثبات يغلب عليهم الإرجاء في الإيمان والتشبيه في الصفات ولديهم انحرافات أخرى. انظر الملل والنحل ١/ ١٠٨.

(٥) انظر التمهيد للباقلاني، ١/ ٣٨٨، والإرشاد للجويني، ٣٣٣.

(٦) انظر مقالات الإسلاميين، ٢٦٦.

«ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان»[١].

وقال في موضع آخر:

«الإيمان قول وعمل. فالقول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها»[٢].

وقد يُظن أن بين كلام الشيخ الأول وقوله الثاني تعارضاً، وفي الحقيقة لا تعارض بينهما؛ لأن السلف يريدون بالقول قول القلب وقول اللسان، وبالعمل عمل القلب وعمل اللسان.

وقد ورد عن السلف كلا اللفظين المذكورين عند الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ.

فأما اللفظ الأول الذي يجعل الإيمان ثلاثة أشياء فورد عن جماعة منهم:

ـ الفضيل بن عياض[٣]: حيث قال: «الإيمان عندنا داخله وخارجه

---

(١) الغنية للجيلاني، ١/ ٦٢.
(٢) المرجع السابق، ١/ ٢.
(٣) الفضيل بن عياض: هو الإمام القدوة شيخ الإسلام المجاور لحرم الله سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يتسلق الجدار إليها سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد: ١٦. فقال: بلى يارب قد آن ثم رجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة فقال بعضهم: نرحل. وقال بعضهم: حتى نصبح فإن الفضيل على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرت. وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني وما أرى الله ساقني إليهم إلاّ لأرتدع اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام وكان رحمه الله ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث.
سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١.

الإقرار باللسان والقبول بالقلب والعمل به)[١].

ـ أبوثور[٢]: إذ يقول: «الإيمان التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح»[٣].

ـ الآجري[٤]: الذي عقد باباً في كتابه «الشريعة» فقال: «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ولا يكون مؤمناً إلاَّ أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث»[٥].

وأما اللفظ الثاني الذي يجعل الإيمان شيئين فقط. فقد ورد كذلك عن جماعة من السلف منهم:

ـ الإمام مالك حيث قال: «الإيمان قول وعمل»[٦].

ـ الإمام أحمد الذي قال: «الإيمان قول وعمل»[٧].

ـ الإمام البخاري الذي ذكر أنه كتب عن ألف نفر من العلماء

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد، رقم ٦٢٧.

(٢) أبو ثور: هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي الفقيه أحد الأعلام روى عن ابن عيينة ووكيع وروى عنه مسلم خارج الصحيح وجماعة قال عنه النسائي هو أحد الفقهاء ثقة مأمون وقال ابن حبان كان أحد أئمة الدين فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً وخيراً صنَّف الكتب وذبَّ عن السنة وقمع مخالفيها مات سنة ٢٤٠هـ.
وفيات الأعيان ١/٢٦.

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة رقم ١٥٩٠.

(٤) الآجري: هو الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف أبوبكر محمد بن الحسين الآجري صاحب التصانيف التي فيها الشريعة كان صدوقاً خيراً عابداً صاحب سنة واتباع مات بمكة سنة ٣٦٠هـ وهو من أبناء الثمانين.
سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦/١٣٣.

(٥) الشريعة للآجري، ١١٩.

(٦) السنة لعبدالله بن أحمد، رقم ٦٣٨.

(٧) المرجع السابق، رقم ٥٩٩.

وزيادة ولم يكتب إلاَّ عمن قال الإيمان قول وعمل[١].

فالأقوال جميعها ما كان منها باللفظ الأول أو كان باللفظ الثاني فإنها تشمل الاعتقاد والقول والعمل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«إذا قالوا قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق فإن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين وهذا لا يسمى قولاً إلاَّ بالتقييد كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[٢] وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يقبلها الله فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر»[٣].

وبهذا يتبين مراد جمهور علماء أهل السنة والجماعة من تعريفهم الإيمان أحياناً بأنه قول وعمل وأحياناً بأنه قول اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح، وهو الذي ذكره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما تقدم.

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي رقم ١٥٩٧.
(٢) سورة الفتح، ١١.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٧/ ١٧٠.

المبحث الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

من المسائل المتعلقة بتعريف الإيمان مسألة زيادته ونقصانه، والشيخ عبدالقادر الجيلاني في هذه المسألة يقرر أن الإيمان يزيد وينقص حيث يقول:

«ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان»[(١)].

وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[(٣)]. وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[(٤)][(٥)].

وهذا القول موافق لما ذهب إليه سلف هذه الأمة من أهل السنة والجماعة من أن الإيمان يزيد وينقص وقد أورد الإمام اللالكائي ـ رحمه الله ـ أسماء جماعة من الصحابة والتابعين وأتباعهم ممن قال بهذا القول تحت عنوان: «سياق ما دلَّ أو فُسِّر من الآيات من كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) الغنية للجيلاني، ١/٦٢.
(٢) سورة التوبة، ١٢٤.
(٣) سورة الأنفال، ٢.
(٤) سورة المدثر، ٣١.
(٥) الغنية للجيلاني، ١/٦٢.

ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين من علماء أئمة الدين أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية».

ثم ذكر من قال هذا من الصحابة: ومنهم عمر بن الخطاب(١). وعبدالله بن عباس(٢)، وعبدالله بن مسعود(٣) وآخرين(٤).

ومن التابعين: سفيان الثوري(٥)، ومجاهد(٦)، وسعيد بن جبير(٧)، وغيرهم.

ومن الفقهاء: مالك بن أنس(٨)، وجرير بن عبدالحميد(٩)، وأحمد

---

(١) انظر: البخاري، ح ٤٥، ومسلم، ح ٣٠١٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري، ٦/ ٧٩.
(٣) انظر: صحيح مسلم، ح ٩١.
(٤) مسألة زيادة الإيمان ونقصانه من المسائل الحادثة في أواخر عهد الصحابة ولم يثبت عن أكثر من أورد اللالكائي أسماءهم قول في ذلك، ولكنه أراد من قوله ذلك أن روايتهم للأحاديث الدالة على الزيادة والنقص يدل على قولهم إذ لا يمكن للصحابي أن يخالف روايته والله أعلم.
(٥) السنة لعبدالله بن أحمد، رقم ٦٠٤.
(٦) السنة لعبد الله بن أحمد، رقم ٦١١، ومجاهد هو ابن جبر شيخ القراء المفسرين عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وصفه يحيى بن معين بأنه ثقة. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩).
(٧) انظر: تفسير الطبري، ٣/ ٥٠ وسعيد بن جبير هو الإمام الحافظ المفسر الشهيد أحد الأعلام كان من كبار العلماء، قرأ على ابن عباس وكان كثير البكاء من خشية الله كثير الذكر للموت، قتله الحجاج عام ٩٥هـ. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١).
(٨) السنة لعبد الله بن أحمد، رقم ٦٣٦.
(٩) السنة لعبد الله بن أحمد، رقم ٦٢٧، وجرير بن عبدالحميد هو الإمام الحافظ القاضي كان ثقة كثير العلم، يرحل إليه، قال عنه أبوالقاسم اللالكائي مجمع على ثقته مات سنة ١٨٩هـ. (سير أعلام النبلاء ٩/ ٩).

ابن حنبل[١] وغيرهم[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على القول بزيادة الإيمان ونقصانه بالآيات التي استدل بها الشيخ عبدالقادر الجيلاني السابق ذكرها والتي نصت صراحة على زيادة الإيمان وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص.

كما استدلوا ببعض الأحاديث الصحيحة منها: قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلاَّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٣].

وقوله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيقول الله ـ عز وجل ـ: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**»[٤].

وقد بوَّب الإمام البخاري باباً في صحيحه لبيان زيادة الإيمان ونقصانه فقال: باب زيادة الإيمان ونقصانه ثم ساق الآيات السابقة وغيرها كما أورد حديث النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلاَّ الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلاَّ الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلاَّ الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[٥].

وبهذا يتبين موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ لأهل السنة والجماعة في القول بزيادة الإيمان ونقصانه.

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد، رقم ٥٩٩.
(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٥٩٩.
(٣) رواه البخاري، ح ٩. ومسلم، ح ٣٥.
(٤) رواه البخاري، ح ٢٢. ومسلم، ح ١٨٣.
(٥) رواه البخاري، ح ٤٤.

المبحث الثالث

الفرق بين الإيمان والإسلام

هل الإيمان والإسلام بمعنى واحد أم أن بينهما فرقاً، ولكل منهما معنى يخالف الآخر.

هذه المسألة اختلفت فيها أقوال أهل السنة والجماعة.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذهب إلى القول بالتفريق بينهما فيقول:

«وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً»

وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[١].

وبحديث مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان[٢][٣].

وهذا القول يوافق أحد القولين المشهورين عند أهل السنة والجماعة. فقد اختلفوا في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن الإسلام والإيمان متغايران وأن بينهما فرقاً وإلى هذا يذهب جماعة من العلماء منهم:

---

(١) سورة الحجرات: ١٤.

(٢) رواه البخاري، ح ٥٠. ومسلم، ح ٨.

(٣) الغنية للجيلاني، ١/ ٦٢.

١ـ الإمام الزهري[١]: حيث يرى «أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل»[٢]

٢ـ قال الإمام أحمد كما ذكره عنه عبدالملك الميموني[٣] «قال: قلت: لأبي عبدالله تفرق بين الإيمان والإسلام قال: نعم»[٤].

وكذلك ابنه صالح نقله عنه فقال: «سئل أبي عن الإسلام والإيمان. فقال: قال ابن أبي ذئب[٥]: الإسلام القول والإيمان العمل فقيل ما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان»[٦].

وأشار إلى هذا ابن عبدالبر فقال: «وقد ذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أن الإيمان والإسلام معنيان»[٧].

وكذلك الإمام الأصبهاني[٨] يرى أنهما «اسمان لمعنيين فالإسلام

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الإمام العالم حافظ زمانه ولد سنة ٥١هـ، يقول عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً فنسيته، وكان يحفظ من مرة واحدة، ويقول ما قلت لأحد قط أعد عليّ، وكان زاهداً لا يقيم للدنيا وزناً، مات سنة ١٢٤هـ. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦).

(٢) الإيمان لابن منده ١/ ٣١١.

(٣) عبدالملك بن عبدالحميد الميموني ثقة فاضل لازم الإمام أحمد أكثر من عشرين سنة. (تقريب التهذيب ١/ ٥٢٠).

(٤) السنة للخلاّل، ٣/ ٦٠٤.

(٥) محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب، ثقة فاضل فقيه توفي سنة ١٥٨هـ. (تقريب التهذيب ٢/ ٢٨٤).

(٦) السنة للخلاّل، ٣/ ٦٤٠.

(٧) التمهيد لابن عبدالبر، ٩/ ٢٤٩.

(٨) الحافظ الكبير شيخ الإسلام إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب بقوام السنة قال عنه أبوموسى المديني: إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه وقال عنه يحيى بن منده كان حسن الاعتقاد جميل الطريقة قليل الكلام ليس في وقته مثله ولد سنة ٤٥٧هـ، وتوفي سنة ٥٣٥هـ.

=

عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب والإيمان عبارة عن جميع الطاعات»[١].

القول الثاني: أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان وأنهما بمعنى واحد، وممن قال بذلك:

١ـ الإمام البخاري حيث بوَّب في صحيحه فقال: «باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٢] فإذا هو على الحقيقة فهو على قوله ـ جل ذكره ـ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾[٣] ويقصد البخاري ـ رحمه الله ـ من الإسلام الحقيقة الشرعية والذي يرادف الإيمان وينفع عند الله»[٤].

٢ـ وكذلك محمد بن نصر المروزي[٥] يرى أن الإيمان هو الإسلام فيقول: «وقالت طائفة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة

= تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٢٧٧).

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني، ١/ ٤٠٦.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٩.

(٤) انظر: فتح الباري: ١/ ٩٩.

(٥) محمد بن نصر المروزي: هو شيخ الإسلام أبوعبدالله الحافظ، قال عنه الحاكم: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث. قال عنه الذهبي: كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق. وقال عنه ابن حزم: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد بن نصر المروزي فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث ولا أصحابه إلاَّ وهو عند محمد بن نصر لما أبعدت عن الصدق. مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٩٤هـ.
سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٣٣.

وأصحاب الحديث الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله ديناً ارتضاه لعباده ودعاهم إليه، وهو ضد الكفر الذي سخطه فقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[١] وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢] وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾[٣]. وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٤] فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان وجعله اسم ثناء وتزكية فأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه وهدى وأخبر أنه دينه الذي ارتضاه»[٥].

---

(١) سورة الزمر: ٧.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٤) سورة الزمر: ٢٢.

(٥) تعظيم قدر الصلاة للمروزي، ٢/٥٢٩. وقد تعقب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ محمد بن نصر في كلامه هذا فقال: مقصود محمد بن نصر المروزي ـ رحمه الله ـ أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان وإن كل مؤمن فهو مسلم وكل مسلم فلابد أن يكون معه إيمان وهذا صحيح وهو متفق عليه ومقصوده أيضاً أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان وهذا فيه نزاع لفظي ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر وهذا لا يعرف عن أحد من السلف وإن قيل هما متلازمان فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام المشهورين أنه قال: مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان كما نصر بل ولا عرفت أنا أحداً قال ذلك من السلف ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف أن المؤمن المستحق لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا متفق على معناه بين السلف والخلف بل وبين فرق الأئمة كلهم يقولون: إن المؤمن الذي وعد بالجنة لابدَّ أن يكون مسلماً والمسلم الذي وعد بالجنة لابد أن يكون مؤمناً وكل من يدخل الجنة بلا عذاب من الأولين والآخرين فهو مؤمن مسلم. فتاوى ابن تيمية من صحة ٧/٣٦٥.

وإلى هذا الرأي يذهب ابن عبدالبر حيث قال: «الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أن الإيمان والإسلام سواء بدليل ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾[١] وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعية والمالكية وهو قول داود[٢] وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر إلى أن قال والصحيح عندنا ما ذكرت لك»[٣].

٣ـ وكذلك الإمام ابن منده[٤] حيث عقد باباً لذلك فقال: «ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد وأن الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله الله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه وهو ضد الكفر الذي سخطه ولم يرضه لعباده»[٥].

---

(١) سورة الذاريات: ٣٥.

(٢) داود: هو داود بن علي الإمام البحر الحافظ العلامة حافظ الوقت رئيس أهل الظاهر. له زلأت في القول بخلق القرآن وبنفي القياس. قال الذهبي: وفي الجملة فداود بن علي بصير بالفقه عالم بالقرآن حافظ للأثر رأسٌ في معرفة الخلاف من أوعية العلم. له ذكاء خارق وفيه دين متين وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علم باهر وذكاء قوي فالكمال عزيز والله الموفق.
سيلا أعلام النبلاء للذهبي ١٣/٩٧.

(٣) التمهيد لابن عبدالبر، ٩/ ٢٥٠.

(٤) ابن منده: هو الإمام الحافظ محدث الإسلام محمد بن إسحاق بن منده. قال عنه الذهبي: لم أسمع أحداً كان أوسع رحلة منه ولا أكثر حديثاً منه مع الحفظ والثقة، وقد بلغنا أن عدة شيوخه ١٧٠٠ شيخ من تصانيفه كتاب الإيمان والتوحيد وغيرهما.
سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٢٨.

(٥) الإيمان لابن منده، ١/ ٣٢١.

والذي يظهر لي أن الخلاف بين أهل السنة والجماعة له احتمالان:

الأول: أن يكون القائلون بأنهما شيء واحد أرادوا بذلك إذا وردا منفردين فلا شك أن هذا صحيح. فإن الإسلام إذا جاء وحده دخل فيه الإيمان، وكذلك العكس فلا خلاف حينئذ بين القولين.

الثاني: أنهم أرادوا أن مسمى كل واحد هو مسمى الآخر وإن اجتمعا، فلا شك أن هذا مرجوح؛ للأدلة الكثيرة التي فرقت بينهما، ومن أشهرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[١] فقد عطف الإيمان على الإسلام، والشيء لا يعطف على نفسه فعلم أن الإيمان معنى زائد على الإسلام، وكذلك حديث جبريل والذي فرق فيه النبي ﷺ بينهما بإجابتين مختلفتين، ولو كانا شيئاً واحداً لكانت الإجابة واحدة وهذا الذي رجحه جماعة من العلماء.

قال ابن رجب: «ووجه الجمع بين النصوص يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها.

وهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودلَّ بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودلَّ الآخر على الباقي».[٢]

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ٣٤.

المبحث الرابع

الاستثناء في الإيمان

هذه المسألة معروفة عند العلماء باسم الاستثناء في الإيمان وهي أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني لا يجوز دعوى الإيمان المطلق من غير استثناء بل ويوجب على مدعي الإيمان أن يستثني قال ـ رحمه الله ـ:

«ولا يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن حقّاً بل يجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله»[١].

وقد تعددت أقوال الناس في الاستثناء في الإيمان إلى أقوال ثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ طرفان ووسط:

الأول: تحريم الاستثناء. **الثاني**: إيجاب الاستثناء. **الثالث**: وسط بينهما وهو جوازه.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ القول الأول: «تحريم القول به وهم المرجئة[٢] والجهمية[٣] ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً

---

(١) الغنية للجيلاني، ١/٦٣.

(٢) المرجئة: من الفرق التي احتلت مكاناً كبيراً من اهتمام العلماء لبيان معتقداتهم التي تتلخص في بعض المسائل الهامة كتعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب وأن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان، وقد وجد الفساق في هذا المذهب باباً لكل مفسدة ولهذا قال زيد بن علي: «أبرأ إلى الله من المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله» انظر الملل والنحل ص١٣٩ بتصرف.

(٣) الجهمية: إحدى الفرق الكلامية ذات الآراء الخاطئة في مفهوم الإيمان وصفات الباري عز وجل وأسمائه، وتنتسب إلى الجهم بن صفوان الذي دعا إلى كثير من =

يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول أحدهم: أنا أعلم أنني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، وكما أعلم أني قرأت الفاتحة، وكما أعلم أني أحب رسول الله وأني أبغض اليهود والنصارى فقولي: أنا مؤمن كقولي أنا مسلم وكقولي تكلمت بالشهادتين وقرأت الفاتحة وكقولي أنا أبغض اليهود والنصارى، ونحو ذلك من الأمور الحاضرة التي أنا أعلمها وأقطع بها، وكما أنه لا يجوز أن يقال: أنا قرأت الفاتحة إن شاء الله كذلك لا يقول أنا مؤمن إن شاء الله لكن إذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته إن شاء الله، قالوا: فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه وسموهم الشكاكة».

القول الثاني: إيجاب القول بالاستثناء، وأنه يجب على المسلم أن يستثني ولا يجزم بأنه مؤمن وهو قول القاضي أبويعلى(١) وغيره، واستدلوا على هذا القول بأمور:

١ـ أنه لو جاز القطع على أنَّا مؤمنون لكان ذلك قطعاً على أنا في الجنة؛ لأن الله وعد المؤمنين بالجنة ولا يجوز القطع على الوعد بالجنة؛ لأن من شرط ذلك الموافاة بالإيمان ولا يعلم ذلك إلاَّ الله، وكذلك الإيمان إنما يحصل بالموافاة ولا يعلم ذلك ولهذا قال ابن مسعود:

= البدع، وإطلاق لفظ الجهمية له معنيان عند العلماء معنى خاص وآخر عاماً فالخاص يقصد به من قال بأقوال جهم كلها أو بعضها كنفي الصفات، والقول بالجبر، والقول بفناء الجنة والنار. وأما العام فيقصد به نفاة الصفات عامة.
انظر سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٦، والفرق بين الفرق، ٢١١.

(١) شيخ الحنابلة القاضي محمد بن الحسين المشهور بأبي يعلى قال عنه الذهبي: كان إماماً لا يدرك قراره ولا يشق غباره، وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره. له بعض الأخطاء الكلامية توفي سنة ٤٥٨هـ.
سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٨٩، شذرات الذهب، ٣/ ٣٠٦.

هلا وكل الأولى كما وكل الآخرة. يريد بذلك ما استدل به من أن رجلاً قال عنده: إني مؤمن فقيل لابن مسعود: هذا يزعم أنه مؤمن قال: فسلوه أفي الجنة هو أو في النار فسألوه فقال: الله أعلم. فقال عبدالله: فهلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية.

٢ـ أن الاسم عند الإطلاق يقتضي الكمال وهذا غير معلوم للمتكلم كما قال أبوالعالية: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول إيماني كإيمان جبريل. فإخبار الرجل عن نفسه أنه كامل الإيمان خبر بما لا يعلمه.

٣ـ أن ذلك تزكية للنفس وقد قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[1].

القول الثالث: القول بجواز الاستثناء دون إيجابه وهذا أصح الأقوال وهو مذهب أصحاب الحديث كابن مسعود[2] وأصحابه والثوري[3] وأكثر علماء الكوفة ويحيى بن سعيد القطان[4] وأحمد بن حنبل[5] وغيره من أئمة الدين، فإنهم كانوا يستثنون وهذا متواتر عنهم ولكن ليس في هؤلاء

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني، ٤١٠.

(٣) السُّنة لعبدالله بن أحمد، ح٦١٠.

(٤) المصدر السابق، رقم ٦٠٥.

والقطان هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ١٢٠هـ وانتهت إليه إمامة الحديث في زمانه وإمامة العلم والعمل ونقد الرجال. كان في الفروع على مذهب أبي حنيفة إذا لم يجد نصاً، مات سنة ١٩٨هـ.

سير أعلام النبلاء، ٩/ ١٧٥. وشذرات الذهب، ١/ ٣٥٥.

(٥) السُّنَّة للخَلَّال، ٣/ ٥٩٣.

من قال: أنا استثنى لأجل الموافاة وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه: بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات فلا يشهدون لأنفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم(١).

لكن الروايات التي ساقها الخلال في كتاب السنة عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ توحي بتأكيده وتأييده الشديد للاستثناء واستحبابه وعدم تركه. لا على أساس أصل الإيمان وإنما على أساس العمل ولذا قال للرجل الذي يعيب عليه الاستثناء: أليس الإيمان قولاً وعملاً فقال الرجل: بلى قال فجئنا بالقول قال: نعم. قال: فجئنا بالعمل قال: لا. قال: فكيف تعيب أن نقول إن شاء الله ونستثني(٢).

ولعل هذا قولاً رابعاً فيكون الاستثناء مستحباً؛ لأن الاستحباب واسطة بين الإيجاب والجواز وهذا ما يفهم من كلام الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

فالسلف إذا منهم من أوجب الاستثناء ومنهم من جوّزه ومنهم من استحبه.

وقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني يتفق مع القول بالوجوب وهو مرجوح كما تقدم بيانه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والله أعلم.

(١) انظر فتاوى شيخ الإسلام ٧/٤٢٩ ـ ٤٦٠، ٦٦٦ ـ ٦٦٩.
والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١/١١٧ ـ ١٢٤، والسنة للخلال، ٣/٥٩٣ ـ ٦٠١. والشريعة للآجري، ١٣٦.
(٢) السنة للخلال، ٣/٥٩٧.

المبحث الخامس

حكم مرتكب الكبيرة

أحكام مرتكب الكبيرة من مسائل العقيدة التي اختلفت فيها أقوال الناس وقد نحى الشيخ عبدالقادر الجيلاني منحى أهل السنة والجماعة من أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة وأنه فاسق بمعصيته واقع تحت المشيئة في الدار الآخرة إن شاء الله عذَّبه وإن شاء رحمه وأنه لا يكفر بها إذا مات على التوحيد حيث يقول:

«ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لا يخلد فيها بل يخرجه منها لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته ثم يخرج برحمه الله تعالى ولا يخلد فيها»[1].

ويقول في موضع آخر:

«ونعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة من الكبائر والصغائر لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص بل يرد علمه إلى الله عز وجل إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه وأدخله النار فلا يدخل بين الله وبين خلقه ما لم يخبرنا الله بمصيره»[2].

وللناس في هذه المسألة أربعة أقوال:

الأول : أن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في

---

(١) الغنية للجيلاني، ١/ ٦٥.
(٢) الغنية للجيلاني، ١/ ٦٥.

الآخرة وهو قول الخوارج[١].

الثاني: أنه في منزلة بين منزلتين في الدنيا لكنه مخلد في النار في الآخرة وهو قول المعتزلة[٢].

الثالث: أنه مؤمن كامل الإيمان وهو قول المرجئة المبني على معتقدهم بأنه لا يضر مع الإيمان معصية ولا مع الكفر طاعة[٣].

الرابع: أنه لا يسلب اسم الإيمان على الإطلاق، ولا يعطى له على الإطلاق وإنما نقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، تحت مشيئة الله في الدار الآخرة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهذه بعض أقوالهم:

---

(١) الملل والنحل، ١/ ١٢٤، ومقالات الإسلاميين ٨٦.
والخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين حيث اعتبروا التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ومن ثمَّ طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب، وانتهى بهم الأمر إلى الخروج عليه مما اضطره إلى قتالهم بعد أن قطعوا الطريق وقتلوا عبدالله بن خباب بن ا لأرت، ثم أطلق هذا اللفظ على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة.
الملل والنحل للشهرستاني، ١/ ١١٤.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة، ٦٩٧، والملل والنحل، ١/ ٤٥.
والمعتزلة فرقة نشأت في العصر الأموي وشغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحاً من الزمن. ويرى أكثر المؤرخين أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، ممن كان يحضر مجلس الحسن البصري ثم اختلف معه في مسألة مرتكب الكبيرة واعتزل مجلسه، ويجمعهم الاعتقاد بالأصول الخمسة وهي التوحيد على طريقة الجهمية، والعدل على طريقة القدرية، والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طريقة الخوارج، ويعتمد مذهبهم في الاستدلال على القضايا العقلية فكل مسألة يعرضونها على العقل فما قبله أقروه وما لم يقبله رفضوه.
تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ١٢٤.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، ١/ ١٣٩.

١ـ قال الإمام أحمد: «ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلاّ الصلاة».

وفي موضع آخر: «ومن لقيه مصراً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[١].

٢ـ قال الإمام ابن بطة[٢]: «ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلاّ الشرك بالله، أو برد فريضة من فرائض الله ـ عز وجل ـ جاحداً بها. فإن تركها تهاوناً وكسلاً كان في مشيئة الله عز وجل إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له»[٣].

٣ـ قال الإمام الصابوني[٤]: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذَّبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها

---

(١) انظر رسالة عبدوس بن مالك عن الإمام أحمد، طبقات الحنابلة، ١/ ٢٤٣.

(٢) أبوعبدالله عبيدالله بن محمد العكبري الفقيه الحنبلي المعروف بابن بطة عالم بالحديث على ضعف فيه من قبل حفظه. اشتهر بالصلاح واستجابة الدعوة. وهو من المصنفين في السنة والاعتقاد توفي سنة ٣٨٧هـ. شذرات الذهب ٣/ ١٢٢.

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة، ٢٠١.

(٤) الإمام العلامة القدوة شيخ الإسلام إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، ولد سنة ٣٧٣هـ وصفه البيهقي بأنه إمام المسلمين حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، وقال عنه الذهبي كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه منصف إلاّ واعترف له. سير أعلام النبلاء، ١٨/ ٤٠.

إلى نعيم دار القرار»[١].

٤ـ قال ابن عبدالبر: «فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه فإن عذبه فبجرمه وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة»[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على عقيدتهم في صاحب الكبيرة بالآتي:

أولاً من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾[٣]. ووجه الدلالة في الآية أن الله خاطب القاتل وناداه بنداء الإيمان مع ارتكابه لكبيرة القتل وأيضاً فقد سمى الله القاتل أخاً للمقتول والأخوة المقصودة هنا أخوة الدين[٤] وسماهم مؤمنين وجعلهم أخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[٥].

ثانياً من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: «**تعالوا بايعوني على ألاّ تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب**

---

(١) عقيدة السلف للصابوني، ٧١.
(٢) التمهيد لابن عبدالبر، ٤/٤٩.
(٣) البقرة: ١٧٨.
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢/٢٤٥.
(٥) الحجرات: ٩.

من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه. قال: فبايعناه على ذلك»[١][٢].

ثالثاً:

أن حدود الزنا والسرقة وشرب الخمر قد أقيمت في عهد النبي ﷺ ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين.

وهذا الموقف الموفق لأهل السنة والجماعة يتناسب مع مبدأ الوسطية الذي تميزوا به في كل شئون الدين وهم في هذه المسألة كانوا وسطاً بين الخوارج والمعتزلة من جهة والمرجئة من جهة أخرى فلم يصفوا الفاسق بالإيمان المطلق ولم يسلبوه منه بالكلية، وإنما قالوا هو مؤمن ناقص الإيمان هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد جعلوه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ابتداءاً، وإن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة.

ومما تقدم يتضح أن قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني موافق لقول أهل السنة والجماعة.

---

(١) رواه البخاري، ح١٨، ومسلم، ح١٧٠٩.
(٢) انظر: التمهيد لابن عبدالبر، ٢٦/١٧.

الفصل الثاني

التـوحـيد

وتحته ستة مباحث:

المبحـــث الأول: **توحيد الربوبية**

المبحـــث الثاني: **توحيد الألوهية**

المبحـــث الثالث: **توحيد الأسماء والصفات**

المبحـــث الرابع: **القرآن كلام الله المنزل**

المبحث الخامس: **رؤية الله عز وجل**

المبحث السادس: **القضاء والقدر**

المبحث الأول

توحيد الربوبية

تعريف توحيد الربوبية لغة :

قال الجوهري: الرب اسم من أسماء الله ـ عز وجل ـ ولا يقال في غيره إلاَّ بالإضافة. والرباني المتأله العارف بالله تعالى ورب فلان ولده يربه رباً، وتربيه بمعنى رباه[١].

وقال الراغب الأصفهاني: الربوبية مصدر يقال في الله ـ عز وجل ـ والرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام ولا يقال الرب مطلقاً إلاَّ لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات وبالإضافة يقال: رب الدار[٢].

وقال ابن منظور: الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربى والقيِّم والمنعم[٣].

تعريف توحيد الربوبية شرعاً :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله ـ عز وجل ـ رب كل شيء ومليكه وخالق كل شيء والمتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له. وأنه المنفرد سبحانه بالخلق والتدبير وتصريف الأمور لجميع المخلوقات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلاَّ الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم

---

(١) الصحاح للجوهري (١/ ١٣٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١٨٤).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١/ ٣٩٩).

يكن»[١].

ويقول ابن القيم[٢]: «فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبدٌ له في قبضته وتحت قهره»[٣].

ومعناه نفي الشريك عن الله ـ عز وجل ـ في صفات الربوبية والتي من أبرزها الخلق والرزق والإحياء والإماتة والإقرار بأنه الخالق لهذا الكون كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[٤].

وهذا النوع من التوحيد هو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى؛ لأن الخالق المالك الرازق المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة، كما هو الجدير وحده بأن يوصف بصفات الجلال والكمال وأن ينزه عن كل عيب ونقص.

ويعرِّف شارح الطحاوية[٥] توحيد الربوبية بأنه: «الإقرار بأن الله خالق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٣٣١).

(٢) محمد بن أبي بكر شمس الدين بن القيم: من أهل دمشق، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار الفقهاء، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتصر له، وقد سجن معه كثيراً وله تصانيف مشهورة.
الأعلام للزركلي (٦/ ٥٦).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٥) علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي: ولد سنة ٧٣١هـ وكان ذا فقه، شغل منصب قاضي القضاة في دمشق، ثم بالديار المصرية، توفي سنة ٧٩٢هـ.
انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٣).

وطائفة من الصوفية. وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات»[١].

الرسل والدعوة إلى توحيد الربوبية:

لم تكن المشكلة في حياة البشر في القديم والحديث هي عدم الإيمان بوجود الله. ولكن المشكلة كانت ولاتزال تكمن في عدم معرفة الإله الحق الذي يجب أن تُصرف له العبادة دون ما سواه، فمنذ نزول آدم ـ عليه السلام ـ وتسلسل ذريته وهم يعبدون الله، وعندما تنحرف البشرية عن العبادة الصحيحة وتقع في الشرك يرسل الله الرسل لتصحيح الوضع ولدعوة الناس إلى عبادته وحده. ولذا لم نجد رسولاً واحداً دعا قومه إلى الإيمان بوجود الله وإنما كانت الدعوة إلى توحيد الله يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢] وذلك لأن الإيمان بوجود الله قد استقر في فطر الناس وتمكن من قلوبهم.

والمشركون الذين خوطبوا بالقرآن كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ولم يكن لديهم اعتقاد في أن الأصنام التي يعبدونها أنها مشاركة لله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فقد ذكر الله اعترافهم في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٣].

---

(١) شرح الطحاوية (١/٢٨).
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ٨٦ـ٨٧.

وعند تتبع ما كتبه الشيخ عبدالقادر الجيلاني في قضية توحيد الربوبية نلمس أنه لم يتوسع كثيراً عند الحديث عن معرفة الله عز وجل، بل اكتفى ببعض الإشارات المقتضبة فهو يشير إلى أن معرفة الله ـ عز وجل ـ فطرية وأن النفس مقرة له بعبوديتها وأن ذلك الإحساس نابع من داخل النفس البشرية.

قال ـ رحمه الله ـ: **«النفس بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشؤها وهي مفتقرة له بالعبودية»**(١).

فهو ـ رحمه الله ـ يؤكد هنا على إقرارها واعترافها بخالقها. ثم إنه ـ رحمه الله ـ يشير إلى النظر إلى الآيات الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد المعرفة الفطرية فيقول:

«أما معرفة الصانع ـ عز وجل ـ بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهي أن يعرف ويتيقين أن الله واحد، أحد، فرد صمد ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾(٢) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾(٣) لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ندَّ ولا مشير»(٤).

فالمسلم وإن كان في فطرته معرفة الله ـ عز وجل ـ لكنه بالنظر والتفكر في مخلوقاته سبحانه يزيد إيمانه ويقوى يقينه في خالقه عزوجل.

والشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ يؤكد هذا المعنى في مكان آخر فيقول:

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني المقالة العاشرة ص(٢١).
(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ٢ـ٤.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) الغنية للجيلاني (١/ ٥٤).

«استدل بصنعة الله عليه، تفكر في الصنعة، وقد وصلت إلى الصانع، المؤمن الموقن العارف له عينان ظاهرتان، وعينان باطنتان، فيرى بالعينين الظاهرتين ما خلق الله في الأرض، ويرى بالعينين الباطنتين ما خلق الله في السموات»[١].

ويقول كذلك: «أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه ثم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها؛ لأن فيه دلالة على الصانع، وفي القدرة المحكمة آية على الحكيم»[٢].

وأما قوله: (اعرفوا الله ولا تجهلوه وأطيعوه ولا تعصوه، ووافقوه ولا تخالفوه، وارضوا بقضائه ولا تنازعوه واعرفوا الحق بصنعته، هو الخالق الرازق الأول الآخر والظاهر والباطن هو القديم الأول الدائم الأبدي الفعّال لما يريد»[٣].

فليس المراد به أن الإنسان لا يعرف الله لأن ذلك مما استقر في فطرة الإنسان كما سيأتي، وإنما مراده زيادة الطاعة لله ـ عز وجل ـ والرضا بقضائه وقدره، واستمرار التفكر في مخلوقاته ـ سبحانه ـ والذي أشار إليه بقوله: «اعرفوا الحق بصنعته، هو الخالق الرازق».

وهذا المسلك الذي سلكه الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ يتفق مع مسلك أهل السنة والجماعة الذين كان اهتمامهم بهذا النوع ـ أعني توحيد الربوبية ـ محدوداً ولم يكن يشغلهم بمقدار ما شغلتهم قضايا العبادة وتوحيد الصفات، وإن لم تخل مؤلفاتهم من الإشارة إلى توحيد الربوبية.

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثالث ص(١٦).
(٢) فتوح الغيب للجيلاني، مقالة ٧٤ (ص١١٣).
(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الحادي عشر ص(٤٠).

الأدلة على توحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة

وجود الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وتفرده بالربوبية وكونه الخالق المدبر لهذا الكون لا يحتاج إلى دليل، إذ أن المستدل نفسه دليل على وجود خالقه، فإن المستدل مخلوق، ولا وجود لمخلوق بدون خالق، يقول ـ عز وجل ـ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾(١).

فالإنسان لم يخلق من غير شيء؛ لأن غير الشيء عدم، والعدم لا يمكن أن يخلق شيئاً. وأيضاً الإنسان لم يخلق نفسه إذاً يتعين أن يكون له خالق، وهو الله ـ عز وجل ـ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٢).

والأدلة والبراهين على توحيد الربوبية كثيرة لا يمكن حصرها، إذ أن كل ما في الوجود دليل على الله. يقول ـ عز وجل ـ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣).

ولكنني سأتعرض لبيان بعض الدلائل التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة والتي وردت بها النصوص في الكتاب الكريم والسنة المطهرة

---

(١) سورة الطور، الآيات: ٣٥ـ٣٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

وهي كالتالي:

١ـ دليل الفطرة:

الإيمان بوجود الله أمر فطري لا يحتاج إلى دليل أو برهان. فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجوده ـ تبارك وتعالى ـ والإيمان به ـ عز وجل ـ مغروز في شعور كل إنسان عاقل، وهذا الشعور الفطري دليل من الأدلة الصادقة على وجود الخالق سبحانه، والذي لا ينكره سوى شراذم من شواذ البشر من الدهريين والملاحدة ثم لا يملكون إلاَّ اللجوء إليه عند الضرورات والشدائد.

وعلماء أهل السنة والجماعة يؤكدون على أن الله قد فطر الناس على الدين الحق، وأن هذه الفطرة لو سلمت من المعارض لبقيت على حالها من السلامة والاستقامة. يقول ابن جرير ـ رحمه الله ـ: مر عمر بن الخطاب بمعاذ بن جبل فقال: ماقوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات: الإخلاص وهو الفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ والصلاة؛ وهي الملة، والطاعة؛ وهي العصمة. فقال عمر: صدقت.

ونُقل عن مجاهد أن فطرة الله هي الإسلام[١].

وفي رواية عبدالملك الميموني، قال: ـ أي الإمام أحمد ـ والذي نقول: كل مولود يولد على الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها. قلت: فما الفطرة الأولى هي الدين قال لي: نعم[٢].

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «الإقرار بالله والاعتراف بالصانع ثابت في الفطرة كما قرره سبحانه في كتابه في مواضع فلا يحتاج

---

(١) جامع البيان لابن جرير (٢١/ ٤٠).
(٢) أحكام أهل الملل للخلال (١٥).

هذا إلى دليل بل هو أرسخ المعارف وأصل الأصول»[١].

ويقول في موضع آخر: «فالنفوس مفطورة على علم ضروري موجود فيها بالخالق الذي خلق السموات، وأنه خلق السموات والأرض ليس شيء منها خلق الناس كما قال موسى لفرعون لما قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٢] قال: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[٣] وقال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[٤]»[٥].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من أن الله قد فطر النفوس البشرية على الإيمان به والإقرار بربوبيته وحده لا شريك له بأدلة كثيرة منها:

أولاً من القرآن الكريم :

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

فقد نقل الإمام ابن عبدالبر إجماع أهل التفسير على أن المقصود بالفطرة الإسلام حيث يقول: «أجمع أهل العلم بالتأويل على أن المرادبقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف»[٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٧٢).
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٤.
(٤) سورة طه، الآيات: ٤٩ـ٥٠.
(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٣٨).
(٦) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٧) التمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٧٢). وانظر شفاء العليل لابن القيم (٥٦٣).

ثانياً من السنة المطهرة :

كما استدلوا بحديث النبي ﷺ الوارد في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[١].

وبالحديث القدسي الذي أخرجه مسلم فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه ـ عز وجل ـ قال: **«إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»**[٢].

ووجه الدلالة في هذين الحديثين واضح في أن الله فطر عباده على الإقرار به وعلى هذا كانت دعوة الرسل لتذكير الناس بما فطر في قلوبهم، ولم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد الذي فطروا عليه.

٢ ـ دلالة الخلق :

هذا الكون الفسيح وهذه، العوالم الهائلة، والأجرام الضخمة، وتلك السموات والأرض، وما احتوته من المخلوقات البديعة والكائنات العجيبة، وهذا الإنسان وما فيه من الآيات كل هذا وغيره يشهد أن لهذا الكون خالقاً أبدعه ومدبراً أحكم أمره وسيَّره، والمتأمل في كتاب الله الكريم يجده مملوءاً بالآيات التي تدعو الإنسان إلى النظر والتفكر في تلك الدلائل القطعية المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس والتي تشهد بعظمة الخالق سبحانه، وكمال قدرته وسعة علمه من مثل قوله تعالى:

---

(١) رواه البخاري، ح١٣٨٥، ومسلم ح٢٦٥٨.
(٢) رواه مسلم، ح/٢٨٦٥.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٢)].

وقد جمع الله معظم تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[(٣)].

والاستدلال بالآيات الكونية سواء ما كان منها متعلقاً بالمخلوقات عامة، أو ما كان متعلقاً بالإنسان خاصة منهج قويم من مناهج أهل السنة والجماعة حيث تتجلى رحمة الله بخلقه حين دلهم على نفسه بما نصب لهم من الأدلة الكونية المبثوثة في الآفاق وفي أنفسهم.

«فهذا الإمام ابن منده يعقد فصولاً كثيرة في كتابه التوحيد ساق تحتها عدداً كبيراً في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال السلف للدلالة على وحدانية الله ـ عز وجل ـ. بدليل خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والجبال والهواء والماء وخلق الإنسان وانتقاله من طور النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم العظام ثم إنشائه خلقاً آخر»[(٤)].

والدلائل على وجود الله في الأنفس كثيرة جدًّا من أبرزها مظاهر الإحكام والعناية والإبداع بتركيب الأعضاء، وترتيب الحواس، وتنظيم

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠، ٢١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٤) التوحيد لابن منده (١/ ١١٣ـ٢٣٤).

الأجهزة المختلفة، مما لا يمكن معه الشك في وجود الخالق سبحانه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية دلَّ القرآن عليها وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن كون نفس الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ﷺ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواءاً أخبر لكن الرسول ﷺ أو لم يخبر به الرسول ﷺ أمر أن يستدل به ودلَّ به وبينه واحتج به، فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته»[١].

وقد حث علماء أهل السنة والجماعة على النظر في الآيات الكونية والنفسية لزيادة الإيمان وإزالة الوساوس. يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك والريب»[٢].

ويقول ـ رحمه الله ـ في كتاب آخر من كتبه: «وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرَّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في

---

(١) النبوات لابن تيمية، ٩٢.
(٢) التبيان في أحكام القرآن (٣٠٣).

آياته»[١].

٣ ـ دلالة المعجزة :

المعجزة: «أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله»[٢].

وهي مقرونة بالتحدي سالمة من المعارضة وتكون إما حسية تشاهد بالبصر والسمع كخروج الناقة من الصخرة وانقلاب العصا حية، وكلام الجمادات ونحو ذلك، وإما معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن الكريم»[٣].

ودلالة المعجزة على وجود الله عز وجل واضحة لأنها دلت على صدق الرسول ﷺ وأن كل ما أخبر به صدق ومن أعظم ما أخبر به وجوب الإيمان بوجوده ـ سبحانه ـ وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له. وأيضاً فإن الرسول لم يدَّع أن المعجزة من عنده، وإنما أخبر أنها من عند الله وهذا يوجب الإيمان بوجوده عز وجل.

وبالرغم من أنني لم أقف فيما اطلعت عليه من كتب الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ على كلام يشير فيه صراحة إلى إثبات وجود الله ـ عز وجل ـ عن طريق المعجزات إلاَّ أن إيراده لبعض معجزات النبي ﷺ للتدليل على صدق نبوته كما سيأتي في فصل النبوات يستلزم ثبوت وجود الله ـ عز وجل ـ لأن الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي وجوب الإيمان بالذي أرسله وهو الله ـ عز وجل ـ.

أما علماء أهل السنة والجماعة، فكما أنهم توسعوا ـ كما أسلفنا ـ

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٨٢).

(٣) أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي (٩٢).

في الاستدلال بآيات الخلق التي شملت الآفاق والأنفس على وجود الله استدلوا أيضاً على وجوده سبحانه بالمعجزات التي أيَّد الله بها أنبيائه ورسله لبيان صدقه فيما أخبروا عنه سبحانه وفيما دعوا إليه من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه.

فهذا ابن عبدالبر يقول: «إنه من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبدالرحمن وسائر المهاجرين والأنصار وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجاً، علم أن الله ـ عز وجل ـ لم يعرفه واحد منهم إلاَّ بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة»(١).

وقد نسب ابن تيمية هذه الطريقة ـ أعني الاستدلال بالمعجزات على وجود الله سبحانه ـ إلى أئمة السلف حيث يقول: «وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم»(٢).

ويقول في مكان آخر: «المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها، وأنه أحدثها لتصديق الرسول وإن لم يكن قبل قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع وقد يقال إن قصة موسى من هذا الباب قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾(٣). وفي سورة طه: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٥٢).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٥٢).
(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٥ـ٥١.

رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾[١] إلى آخر القصة. ففرعون كان منكراً للصانع مستفهماً عنه استفهام إنكار سواءٌ كان في الباطن مقراً به أو لم يكن ثم طلب من موسى آية فأظهر آيته ودلَّ على إثبات إلهية ربه وإثبات نبوته جميعاً، فكانت المعجزة مبينة للعلم بالصانع وبصدق رسوله. وذلك أن الآيات التي يستدل بها على ثبوت الصانع تدل المعجزة كدلالتها وأعظم وإنما المقصود التنبيه على أن المعجزات قد يعلم بها ثبوت الصانع وصدق رسوله معاً»[٢].

ويذكر ـ رحمه الله ـ في الفتاوى كيف أن المعجزة تدل على الوحدانية وعلى ثبوت الصانع فيقول: «المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة وذلك لأن المعجزة التي هي فعل خارق للعادة تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة، ولهذا يسبح الله عندها ويُمجَّد ويُعظَّم ما لا يكون عند المعتاد ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد، إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها وتدل بظهورها على الرسول، وإذا تبين أنها تدعو إلى الاقرار بأنه رسول الله فتقرر بها الربوبية والرسالة»[٣].

أما ابن القيم ـ رحمه الله ـ فيرى أن طريق إثبات وجود الصانع بالمعجزات من أفضل الطرق وأعظمها دلالة على الصانع ـ سبحانه وتعالى ـ حيث يقول:

«وهذا الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٤١ـ٤٤).

(٣) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٣٧٩).

وصفاته وأفعاله. وارتباط أدلة هذا الطريق بمدلولاتها أقوى من الأدلة العقلية الصريحة، ولهذا يسميها الله آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلّبها اليد ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمربه ثم يعود عصاً كما كانت من أدل دليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك اليد وفلق البحر طرقاً، والماء قائم بينهما كالحيطان، ونتق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه اثنتا عشرة عيناً تكفي أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله، وصدق رسله واليوم والآخر وهذه من طرق القرآن التي أرشد الله إليها عباده ودلّهم بها كما دلّهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التي في الجو والأرض»[١].

والواقع يشهد بما لدلالة المعجزة من القوة في التأثير حيث ينقلب الإنسان المشاهد لها من كافر معاند إلى مؤمن مجاهد وهو ما حدث كثيراً في حياة الرسل جميعاً عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وبهذا يظهر جليًا أن ما سلكه أئمة الدين من علماء أهل السنة والجماعة من تأكيد الاستدلال بالمعجزات على وجود الله طريق شرعي دلَّ عليه الكتاب ونهجه العلماء لإثبات وجود الله ـ عز وجل ـ وتصديق نبوة ورسالة أنبيائه ورسله.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ١١٩٧).

المبحث الثاني

توحيد الألوهيـة

توحيد الألوهية: هو توحيد العبادة أو توحيد القصد والطلب، وهو إفراد الله سبحانه بأفعال العباد التي تعبَّدهم بها من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح ونذر وخوف ورجاء وتوكل ورغبة ورهبة ودعاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي ينبغي صرفها وتوجيهها لله وحده. فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك.

والإله هو الذي يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام فيتوجه إليه بالعبادة دون غيره.

أما العبادة فيعرفها العلماء بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[١].

وعند تناول الشيخ عبدالقادر الجيلاني لهذا النوع من التوحيد، ذكر أن الواجب على من أراد الدخول في دين الإسلام أن يتلفظ بكلمة التوحيد، وأن يتبرأ من كل دين غير الإسلام، معتقداً بقلبه وحدانية الله فيقول:

«الذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام أولاً أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى»[٢].

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ص(٤).
(٢) الغنية للجيلاني (١/ ٢).

وقد استدل ـ رحمه الله ـ على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

كما استدل بقوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله»**[2].

وفي مكان آخر يتحدث عما دعا الله خلقه إليه من توحيده وطاعته وما حذَّرهم منه وخوَّفهم وزجرهم من الشرك به والوقوع في معصيته فيقول:

«وقد دعا الله خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فحذَّر وأنذر وخوَّف وزجر، إعذاراً لهم وتأكيداً للحجة عليهم»[3].

وهو يشير بهذا إلى ما تضمنه القرآن الكريم من الآيات التي تدعو وترغب في طاعة الله عز وجل من مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[4].

أو التي تحذر من معصية ومخالفة أمره، كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.
(٢) رواه البخاري، ح٢٥. ومسلم ح٢١.
(٣) الغنية للجيلاني (١/١٤٦).
(٤) سورة الطلاق، الآيات: ٢ـ٣.

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[١].

ثم بيَّن الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ أن مجرد النطق بكلمة التوحيد من غير امتثال الأمر وترك النهي غير مقبول ولا يستفيد منه الانسان فيقول:

«إذا قلت لا إله إلاَّ الله فقد ادعيت. فيقال لك: ألك بينة؟ والبينة امتثال الأمر والانتهاء عن النهي والصبر على الآفات والتسليم إلى القدر. هذه بينة الدعوى»[٢].

أما علماء أهل السنة والجماعة، فقد اشتد تركيزهم واهتمامهم بتوحيد العبادة وضرورة إخلاصها لله وحده تحقيقاً للغرض الذي من أجله خلق الله الناس ولئلا يضلوا عن طريق العبادة الحقة بصرفها، أو أي شيء منها، إلى غير الله فيقعوا بذلك في الشرك الذي لا يغفره الله كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[٣].

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي من أجله أرسلت الرسل وأُنزلت عليهم الكتب وبه افترق الناس إلى مؤمنين موحدين فلهم الفوز والنصر والتمكين في الدنيا ولهم الجنة والنعيم المقيم في الآخرة، وإلى مشركين كفرة لهم الخزي والهوان والذلة والخسران في الدنيا ولهم النار والجحيم والعذاب الأليم في الآخرة. والأدلة على وجوب هذا النوع كثيرة جداً:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٢) الفتح الرباني المجلس الثاني ص(١٠).
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

أولاً : من القرآن الكريم :

١ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

٢ـ وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢].

٣ـ وقوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٣].

ثانياً : من السنة المطهرة

١ـ قوله ﷺ: **«إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم»**[٤].

٢ـ وقوله ﷺ: **«أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: لا. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم سار ساعة فقال: يا معاذ! قلت: لبيك وسعديك. قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؛ أن لا يعذبهم»**[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الأنبياء: ٢٥.
(٤) رواه البخاري، ح٧٣٧٢. ومسلم، ح١٩.
(٥) رواه البخاري، ح/ ٦٢٦٧. ومسلم ح٣٠.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً لابد أن يكون قد اعتقد في قرارة نفسه أنه إنما يعبد إلهه الذي خلقه وأوجده من العدم، وربّاه بالنعم، وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه وحياته وموته. ولهذا استنكر الله على المشركين عبادتهم للأصنام التي لا تملك لهم ضرًا ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. فقال ـ عز وجل ـ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1]. وقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[2].

كما أنه متضمن لتوحيد الأسماء والصفات الذي سوف نتحدث عنه في المبحث القادم ـ إن شاء الله تعالى ـ لأن من أخلص لله في عبادته لابدَّ أن يثبت لله جميع الإسماء والصفات التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف أو تعطيل، ومن غير تكييف أو تمثيل، كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[3].

وبهذا يتبين تلازم جميع أنواع التوحيد، وعدم انفكاك بعضها عن بعض. يقول شارح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبدالله[4]: «وأنواع

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٦.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: من آل الشيخ فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠هـ، وطلب العلم حتى برع في التفسير والحديث والفقه. وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بعد استيلائه على الدرعية فأحضره ثم أظهر بين يديه آلات اللهو لإغاظته، ثم أخرجه إلى=

التوحيد الثلاثة متلازمة كل منها لا ينفك عن الآخر فمن أتى بنوع واحد منها ولم يأت بالباقي فما ذاك إلاَّ لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب»[١].

= المقبرة وأمر العسكر بإطلاق الرصاص عليه فمزقوا جسده وذلك عام ١٢٣٣هـ انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٢٩).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٠).

شروط قبول العبادة

لما كان المقصود من العبادة هو قبولها من قبل المعبود ـ سبحانه وتعالى ـ ومن ثم يجد العابد جزاءه وثوابه عليها. كان لابد من توفر شرطين رئيسين في كل عمل يتقرب به العبد إلى الله ـ عز وجل ـ حتى يكون هذا العمل مقبولاً عنده سبحانه. وهما الإخلاص لله ـ عز وجل ـ والمتابعة للرسول ﷺ، وهما معنى كلمة التوحيد «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» فالأولى تعني تجريد الإخلاص في العبادة لله وحده والثانية تعني تجريد المتابعة للرسول ﷺ وحده.

وقد قرَّر الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ ضرورة توفر هذين الشرطين في العبادة وبيَّن أن مجرد النطق بالشهادتين وأداء الأعمال التي تقتضيهما لا يكفي إلاّ بعد الإخلاص والمتابعة حيث يقول:

«إذا عملت هذه الأعمال ـ يعني الإتيان بالأوامر وترك النواهي ـ لا تقبل منك إلاّ بالإخلاص فلا يقبل قول بلا عمل، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة»[1].

ويقول ـ في موضع آخر ـ: **«وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأضحية، والعبادات؛ من الصلاة والأذكار وغير ذلك، مما سنذكر ـ إن شاء الله ـ لا يقبل إلاّ بعد التوبة وطهارة القلب وإخلاص العمل لله تعالى وترك الرياء والسمعة»**[2].

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثاني (ص١٠).
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ٦٦).

ثم يستشهد على وجوب الإخلاص بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(١). وقوله سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾(٢). ثم ساق بعض أقوال أهل العلم في تعريف الإخلاص فنقل عن سعيد بن جبير قوله: «الإخلاص أن يخلص العبد دينه لله وعمله لله تعالى ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله أحداً» كما نقل عن الفضيل بن عياض قوله: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص هو الخوف من أن يعاقبك الله عليها»(٣)(٤).

وقد حذَّر كثيراً من الرياء والعُجْب وذلك لخطورته على دين العبد ولسهولة وقوع الإنسان فيه. فقال:

«ينبغي لكل متعبد وعارف أن يحذر في جميع أحواله من الرياء ورؤية الخلق والعُجب فإن النفس خبيثة وهي منشأ الأهواء المضلة والشهوات المردية واللذات الحائلة بين العبد وبين الحق عز وجل» ثم ساق الأدلة على تحريم الرياء منها قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾(٥) وبوصفه ـ عز وجل ـ للمنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ۝١٤٣﴾(٦).

كما استشهد من السنة بأحاديث صحيحة منها قوله ﷺ: «يلقى

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٢٧).
(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ٦٧).
(٥) سورة الماعون، الآيات: ٤ـ٧.
(٦) سورة النساء، الآيات: ١٤٢ـ١٤٣.

رجل في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدار به كما تدور الرحى بصاحبها فيقال له: أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه»[(١)(٢)].

وقد أشار علماء أهل السنة والجماعة إلى هذين الشرطين بوضوح. يقول الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[(٣)] قال: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً. والخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة»[(٤)].

كما قسّم ابن القيم أعمال العبادة إلى أربعة أقسام: «واحد مقبول وثلاثة مردودة. فالمقبول ما كان لله خالصاً وللسنة موافقاً. والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عمل لوجهه وماعدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها بل يمقتها ويمقت أهلها»[(٥)].

ويقول ـ في مكان آخر ـ: «والعبد إذا عزم على فعل أمر، فعليه أن يعلم أولاً هل هو طاعة لله أم لا، فإن لم يكن طاعة فلا يفعله إلاَّ أن يكون مباحاً يستعين به على الطاعة وحينئذ يصير طاعة فإذا بان له أنه طاعة فلا يقدم عليه حتى ينظر هل هو معان عليه أم لا، فإن لم يكن معاناً عليه فلا يقدم عليه فيذل نفسه، وإن كان معاناً عليه بقي عليه نظر آخر وهو أن يأتيه من بابه، فإن أتاه من غير بابه أضاعه أو فرط فيه، أو

---

(١) رواه البخاري، ح٣٢٦٧. ومسلم، ح٢٩٨٩.
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ٦٨).
(٣) سورة الملك، الآية: ٢.
(٤) ذكره أبونعيم عنه في الحلية (٨/ ٩٥).
(٥) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ١٦٢).

أفسد منه شيئاً. فهذه الأمور الثلاثة أصل سعادة العبد وفلاحه»[١].

والتأكيد على مسألة الإخلاص والمتابعة شيء مجمع عليه عند علماء الأمة من السلف ومن المتأخرين. فهذا الشيخ محمد الشوكاني[٢] يقول عن الإخلاص: «الإخلاص في النية هو أن تكون العبادة خالصة لوجه الله فلا يشرك مع الله أحداً في العبادة ولا يتم إلاَّ بأن يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره»[٣].

كما يؤكد ـ رحمه الله ـ على المتابعة فيقول: «والخير كل الخير في الكتاب والسنة فما خرج عن ذلك فلا خير فيه، وإن جاءنا أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة وأتقاهم لله تعالى وأخشاهم له في الظاهر. فإنه لا زهد لمن لم يمش على الهدي النبوي، ولا تقوى ولا خشية لمن لم يسلك الصراط المستقيم، فإن الأمور لا تكون طاعات بالتعب فيها والنصب وإيقاعها على أبلغ الوجوه بل إنما تكون طاعات خالصة محضة مباركة نافعة، بموافقة الشرع والمشي على الطريقة المحمدية»[٤].

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ١٦٠).

(٢) محمد بن علي الشوكاني الصنعاني: فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، ولد في شوكان من بلاد خولان سنة ١١٧٣هـ، ونشأ في صنعاء وولي قضاءها حتى مات سنة ١٢٥٠هـ، كان لا يرى التقليد، وله مصنفات عديدة تربو على مائة وأربعة عشر مصنفاً، منها نيل الأوطار وفتح القدير.
انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني (ص٣٢).

(٤) أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني (ص٢١٩).

من أنواع العبادة

أولاً : الدعاء

من أعظم أنواع العبودية الدعاء والالتجاء لله تعالى لأن معاني العبادة والخضوع والتذلل والفقر والاحتياج تبدوا واضحة جلية في الدعاء. ولذا توعد الله المستكبرين عن دعائه بالدخول في النار وبئس القرار. قال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1].

وقد ذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ بعض الآداب التي يجب مراعاتها عند الدعاء، فقال:

«والأدب في الدعاء أن يمد يديه ويحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله حاجته»[2].

أما علماء أهل السنة والجماعة فقد ذكروا آداباً كثيرة ينبغي على الداعي مراعاتها غير ما ذكره الشيخ عبدالقادر الجيلاني. منها: إخفاء الدعاء حيث أشار شيخ الإسلام إلى بعض فوائد إخفائه والتي منها:

١ـ أنه أعظم إيماناً لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

٢ـ أنه أعظم في الأدب والتعظيم، لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم، ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلاَّ خفض الصوت به.

٣ـ أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده،

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) الغنية للجيلاني (١/ ٤٠).

فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته.

٤ـ أنه أبلغ في الإخلاص.

٥ـ أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء؛ فإن رفع الصوت يفرقه فكلما خفي صوته كان أبلغ في تجريد همته ومقصده للمدعوسبحانه.

٦ـ وهو من النكت البديعة: أنه دال على قرب صاحبه من القريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾[1]. فلما استحضر القلب قرب الله ـ عز وجل ـ وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه.

٧ـ أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لايمل والجوارح لاتتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه لا يطول له بخلاف من خفض صوته.

٨ـ إن إخفاء الدعاء أبعد له عن القواطع والمشوشات.

٩ـ أنه أبعد عن حسد الحاسدين فإن الدعاء من أعظم النعم وكل ذي نعمة محسود.

١٠ـ أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه ومتضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكر وزيادة»[2].

ولئن كان إخفاء الدعاء أفضل إلاَّ أنه ليس في كل حال فقد يتحتم رفع الصوت بالدعاء بحسب الحاجة في حالات كثيرة، مثل الدعاء في خطبة الجمعة وفي الأعياد والاستسقاء، وفي النوازل، وعند التقاء الجيوش، حيث وردت الأدلة الصحيحة بأن رسول الله ﷺ كان يدعو الله في تلك الأحوال بصوت واضح مسموع.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣.

(٢) الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ١٥).

ثانياً التوكل :

وهو أصل من أصول العبادة التي لا يتم توحيد العبد إلاَّ به جاء الأمر به في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[1]. وقوله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[2] وهو من سمات المؤمنين الصادقين، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾[3].

وقد عرف الشيخ عبدالقادر الجيلاني حقيقة التوكل بقوله:

«حقيقته كحقيقة الإخلاص وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال. وكذلك التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب»[4].

وهو يعني بذلك عدم الاعتماد على حول الإنسان وقوته وإمكانياته وإنما يعتمد ويسكن إلى ربه تبارك وتعالى وحوله وقوته ولكنه لا يعني بذلك ترك الأسباب وعدم الأخذ بها، بل يدعوا إلى إعطاء الأسباب حقها وذلك بالأخذ بها وعدم تجاهلها. ثم التوكل بعد ذلك على الله سبحانه حيث يقول:

«إعط السبب حقه وتوكل واقعد على باب العمل».[5]

وذلك لأن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل فإن الله ـ عز وجل ـ

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٤) بهجة الأسرار للشطنوفي: (١٢٢).
(٥) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخمسون ص(١٦٧).

كما أمر بالاعتماد عليه والتوكل عليه وحده أمر بالأخذ بالأسباب فقال مخبراً عن عيسى بن مريم وهو يخاطب أمه: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[1] إذ كان في قدرته سبحانه أن ينزل الرطب من غير أن تقوم مريم بهز الجذع وأيضاً أخبر ـ عز وجل ـ أن يعقوب ـ عليه السلام ـ قال لبنيه: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾[2] فمع توكله على الله ـ عز وجل ـ أمر أولاده بالأخذ بالسبب وهو التفرق عند الدخول حتى لا يصابوا بالعين الحاسدة.

وعند الترمذي من حديث أنس بن مالك أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يارسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال ﷺ: «**إعقلها وتوكل**»[3].

وهذا مقرر عند علماء أهل السنة والجماعة. يقول عبدالله بن أحمد ابن حنبل: سألت أبي عن قوم يقولون نتكل على الله ولا نكتسب؟ قال أبي: «ينبغي للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب قال تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾[4] فبهذا قد علم أنهم يكتسبون ويعملون، ثم قال من قال: بخلاف هذا فهو قول إنسان أحمق»[5].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٥.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٧.
(٣) سنن الترمذي ح(٢٥١٩) وقد حسّنه الألباني في صحيح الجامع للسيوطي تحت رقم (١٠٦٨).
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٥) مسائل الإمام أحمد، رواية عبدالله بن أحمد، تحقيق الشاويش ص(٤٤٨).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يؤكد التلازم بين التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع. فعلى العبد أن يكون معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة فإن كانت الأسباب مقدورة له فعلها مع التوكل على الله كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جنة الحرب ولا يكتفي في دفع العدو في مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد. ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم»[1].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٥٢٨).

ثالثاً الخوف والرجاء :

وهذان من أنواع العبادة التي أمر الله بها وأثنى على المؤمن المتحلي بها. قال ـ عز وجل ـ في الخوف: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[1]. ويقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[2] وقال ـ عز وجل ـ في الرجاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾[3] وقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[4].

والمؤمن مطالب بأن يجمع في مراقبته لله ـ عز وجل ـ بين الخوف والرجاء، وهذا لا يعني المساواة، وإنما يعني العمل بما يصلح حال الإنسان فقد يصلح بعض الناس تغليب جانب الخوف أحياناً، وقد يصلحهم ترجيح الرجاء أحياناً أخرى، والمهم هو أن يستقيم سلوك الإنسان على أمر الله عبر هذين المسلكين، فإذا استقام فذلك دليل التوازن في النفس. أما إذا انحرف عن طاعة الله وتجرأ على فعل معصيته فإن ذلك يعالج بالتخويف من شدة عذاب الله ـ عز وجل ـ وإذا انحرف وبالغ في شدة الخوف من الله لدرجة القنوط واليأس فإن حاله تصلح بتذكيره بسعة رحمة الله.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني كان دقيق الملاحظة في التحذير من تغليب أحدهما على الآخر فيقع إما في الزندقة إذا غلَّب جانب الرجاء،

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٤٠ـ٤١.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.
(٣) سورة البقرة: الآية: ٢١٨.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

أو في القنوط إذا غلَّب جانب الخوف. يقول ـ رحمه الله ـ:
«من غلب رجاؤه خوفه تزندق، ومن غلب خوفه رجاءه قنط والسلامة في اعتدالهما»[١].

وهذا الاعتدال يوافق ما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة، فهذا الإمام أحمد بن حنبل يقول: «ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحداً»[٢].

وينقل ابن رجب عن بعض السلف قوله: «من عبدالله بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن. وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة المحبة والخوف والرجاء»[٣].

أما حجم الخوف وقدره فيحدده ابن القيم ـ رحمه الله ـ بأنه «ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ـ عز وجل ـ فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، ويذكر أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله»[٤].

وعن الرجاء يؤكد ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن «من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: الأول محبة ما يرجوه والثاني خوفه من فواته، والثالث سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأن الرجاء الذي لا يقارنه

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخامس والعشرون ص(٩١).
(٢) مسائل الإمام أحمد لابن هانىء تحقيق الشاويش (٢/ ١٧٨).
(٣) التخويف من النار، لابن رجب (٢٥).
(٤) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٥١١).

شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن»[١].

(١) الجواب الكافي لابن القيم (٤٦).

ما يناقض التوحيد

الحديث عن توحيد الألوهية يستلزم الحديث عما يناقضه من الشرك؛ لأنه كما قيل وبضدها تتميز الأشياء. وقد وردت الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة في النهي عن الشرك وبيان الوعيد الشديد لمن وقع فيه منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾[(١)] وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٢)]. وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «قلت: يارسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك. قلت: يارسول الله ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك. وقال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[(٣)]»[(٤)]

ولقد دعا الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى التوحيد وحذّر من الوقوع في الشرك في جملة من وصاياه فقال:

«وحدوا ولا تشركوا»[(٥)].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٤) رواه البخاري، ح(٤٧٦١)، ومسلم ح٨٦.

(٥) فتوح الغيب، المقالة الثانية ص(١٠).

ويقول في توجيه آخر:

«أخلصوا ولا تشركوا وحدوا الحق - عز وجل - وعن بابه لا تبرحوا، سلوه ولا تسألوا غيره، استعينوا به ولا تستعينوا بغيره، توكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره»[١].

وهو بذلك يضع نماذج لأنواع العبادة التي ينبغي عدم صرفها لغير الله مما يوقع الإنسان بذلك في الشرك مثل الدعاء والاستعانة والتوكل كما سبق بيانه.

واهتمام علماء أهل السنة والجماعة بأمر الشرك ووجوب خلو العبادة منه وصفائها من أدرانه والتحذير من الوقوع في شيء منه ملاحظ ملموس.

فهذا ابن القيم - رحمه الله - يقول: «إن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له، وأشد مقتاً لديه، وقد رتَّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه وأخبر أنه لا يغفره وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه، وحرَّم ذبائحهم ومناكحهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم أعداءاً له سبحانه وتعالى ولملائكته ورسله وللمؤمنين وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقص لعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين»[٢].

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس السابع والأربعون ص(١٥١).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٦٠).

بيان جملة من أنواع الشرك

أولاً الطيرة :

«وأصلها أن العرب كانت تتشائم من السوانح والبوارح[١] من الطير والضباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فجاء الشرع المطهر وأبطل هذا الأمر ونهى عنه وأخبر أنه لا يؤثر في جلب نفع أو دفع ضر»[٢].

والتطير مناقض للتوحيد لما فيه من نسبة أفعال الله إلى شيء من خلقه ولما يؤدي من الاعتقاد بأن لتلك المخلوقات الضعيفة تأثيراً في أقضيته وأقداره. وقد سماه النبي ﷺ شركاً. ففي سنن الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطيرة شرك»**[٣].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ردته الطيرة عن حاجته فقد**

---

(١) قال ابن القيم عن السانح والبارح: «أصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها فما تيامن منها وأخذت ذات اليمين سموه سانحاً، وماتياسر منها سموه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد. فمن العرب من يتشائم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك» مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٧٠).

(٣) رواه الترمذي ،ح (١٦١٤). وقال: حديث حسن صحيح وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٤٢٩).

أشرك. قالوا: يارسول الله: ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلاَّ خيرك ولا طير إلاَّ طيرك ولا إله غيرك»[(١)].

وقد نبَّه الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى منافاة التطير للعقيدة ولكن بصيغة الكراهية حيث يقول: «**وتكره الطيرة ولا بأس بالتفاؤل**»[(٢)]. وفي ظني أنه يعني الكراهة التحريمية؛ لأن هذا هو الذي يتلائم مع موقفه من الطيرة والذي يقول فيه:

«**وإذا رأى ما يتطير منه قال: اللهم لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنت ولا يذهب بالسيئات إلاَّ أنت ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله**»[(٣)].

وقد اعتنى علماء أهل السنة والجماعة بأمر الطيرة وبالغوا في التحذير منها؛ لأنها انحراف عن الاعتقاد الصحيح واليقين الجازم بأنه لا يأتي بالحسنات إلاَّ الله ولا يذهب بالسيئات إلاَّ هو سبحانه. ووجه منافاة الطيرة للعقيدة الصحيحة ظاهر وهو أن في الطيرة نسبة أفعال الله سبحانه إلى خلقه وذلك باعتقاد المتطير أن ما حصل له إنما هو بسبب المتطير منه وهذا شرك في الربوبية ولذا رد الله على قوم صالح الذين تشائموا منه واعتقدوا أنه سبب القحط والجدب الذي أصابهم رد عليهم بأن ما أصابهم إنما هو من عند الله بسبب ذنوبهم ومعاصيهم قال ـ عز وجل ـ:
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٠)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٠٦٥).

(٢) الغنية للجيلاني (١/ ٣٩).

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٤٢).

تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[(١)]

وعلى هذا فالطيرة منتفية وليس لها أي تأثير والله وحده هو المنفرد بالتقدير والتدبير. ولذا نفاها النبي ﷺ بقوله: «**لا عدوى ولا طيرة**»[(٢)].

وقد قال الإمام أحمد عن الحديث الذي رواه أبوداود في السنن أنه ﷺ قال: «**أقروا الطير على مكناتها**» أي أنها لا تضركم يعني أقروها على كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير بها، قال: كان أحدهم يعني في الجاهلية يريد الأمر فيثير الطير فيقال: إن جاء عن يمينه كان كذا وإن جاء عن يساره كان كذا فقال النبي ﷺ: «**أقروا الطير على مكناتها فإنها لا تضركم**»[(٣)].

أما قوله ﷺ في الحديث: «**لا عدوى ولا طيرة**» فقد قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «يحتمل أن يكون نفياً وأن يكون نهياً أي لا تتطيروا ولكن قوله في الحديث: لا عدوى ولا صفر ولا هامة، يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي يدل على المنع منه»[(٤)].

أما الفأل فقد سبق بيان رأي الشيخ عبدالقادر الجيلاني حوله وأنه قال: لا بأس به وهذا يتفق مع ما صح عن رسول الله ﷺ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا طيرة**

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٤٥ـ٤٧.
(٢) رواه البخاري ح(٥٧٥٣)، ومسلم ح(٢٢٢٤).
(٣) رواه أبوداود (٣/ ٢٥٧)، وصححه الحاكم (٤/ ٢٣٧)، وأقره الذهبي.
(٤) مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٨٠).

وخيرها الفأل قالوا: وما الفأل يارسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[١].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث: «أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خيرها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر. ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركاً لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة. فقوله ﷺ: «**لا طيرة وخيرها الفأل**»ينفي عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شركه ويخلص الفأل منها، وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبريء من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله. والتطير مما يراه ويسمعه وذلك قاطع له من مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢] و﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٣] و﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾[٤] فيصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله السار لنفسه، فهذا ضد الطيرة،

---

(١) رواه البخاري ح(٥٧٥٥)، ومسلم ح(٢٢٢٣).
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١٠.

فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك فلهذا استحب ﷺ الفأل وأبطل الطيرة»[١].

وحتى يتغلب المسلم على هذه الآفة الخطيرة لابد له من الإيمان الجازم بأن الله هو وحده الذي بيده كل شيء وأنه لا تأثير مطلقاً لتلك الأشياء التي يتشائم منها الإنسان كما أن عليه أن يعلم الثواب الجزيل المترتب على عدم التطير كما في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين «**لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[٢] وأن يمضي في شئونه وأموره متوكلاً على الله معتمداً عليه موقناً بأنه لا خير إلاً خيره ولا طير إلاً طيره ولا إله غيره.

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (٣/٣٠٨-٣١٢).

(٢) رواه البخاري، ح(٥٧٠٥)، ومسلم ح(٢٢٠).

ثانياً الحلف بغير الله :

الحلف بالله تعظيم له سبحانه والعدول عن الحلف به إلى الحلف بغيره يعد عدواناً على مقام الرب ـ عز وجل ـ وتنقصاً لكماله وعلو شأنه إذ أن الإنسان إذا أراد أن يؤكد صدق ما يقول أو نفي ما يلصق به حلف وأقسم بأجلّ وأعظم شيء في قلبه وهل في الوجود أعظم شأناً من الله أو أجلّ قدراً منه سبحانه، ولذا كان الحلف بغير الله من الشرك لقوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**(١).

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر كراهية الحلف بالأب أو بغير الله ويؤكد بأن الحلف لا يكون إلاّ بالله ـ عز وجل ـ فيقول:

«ويكره أن يقسم بأبيه أو بغير الله، في الجملة فإن حلف حلف بالله وإلاّ فليصمت»(٢).

ولقول الشيخ الجيلاني بالكراهية احتمالان:

الأول: أنه أراد الكراهة التحريمية وهذا يتفق مع ما ذهب إليه جمهور العلماء.

والثاني: أنه أراد الكراهة التنزيهية وهذا مرجوح حيث صرح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بأنه حرام عند الجمهور فقال: «والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبوحنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكى إجماع الصحابة على ذلك، وقيل:

---

(١) رواه الترمذي في السنن، ح(١٥٣٥). والإمام أحمد في المسند، ح(٦٠٧٢)، وصححه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧) ووافقه الذهبي.

(٢) الغنية للجيلاني (١/ ١٨).

هي مكروهة كراهة تنزيه. والأول أصح حتى قال عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغير الله صادقاً؛ لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب»[١].

ويقول في موضع آخر: «والصواب الذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم، أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي، ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ، والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم كمذهب أبي حنيفة وغيره وهو أحد القولين في مذهب أحمد»[٢].

وقد أشار الشوكاني ـ رحمه الله ـ إلى السر في النهي عن الحلف بغير الله، وهو أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه كما أسلفنا، فيقول: «قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده فلا يحلف إلاَّ بالله وذاته وصفاته وعلى ذلك اتفق الفقهاء»[٣].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٠٤).
(٢) الفتاوى لابن تيمية (٢٧/ ٣٤٩).
(٣) نيل الأوطار(١٠/ ١٦٠) للشوكاني.

ثالثاً الرقى :

الرقية هي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات»[١].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذهب إلى القول بجوازها إذا كانت من القرآن فيقول:

«وكذلك الرقية بالقرآن وبأسماء الله تعالى جائزة لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٢]»[٣]

وقد نقل الحافظ ابن حجر[٤] ـ رحمه الله ـ الإجماع على جواز الرقى بشروطها فقال: «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

الثاني: أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى، واختلفوا في كونها شرطاً، والراجح أنه لابدَّ من اعتبار الشروط

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٢٥٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٤٠).

(٤) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني من أئمة العلم ومن أشهر العلماء، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣ وأقبل على الحديث حتى أصبح حافظ الإسلام في عصره. ولي قضاء مصر ثم اعتزل، توفي سنة ٨٥٢هـ من أشهر مؤلفاته فتح الباري شرح صحيح البخاري، والإصابة، وغيرهما. الأعلام للزركلي ١/ ١٧٨.

المذكورة»[١].

واستدل علماء أهل السنة والجماعة على الجواز بالحديث الصحيح الذي حدَّث به الصحابي عوف بن مالك الأشجعي[٢]. قال: «**كنا نرقي في الجاهلية قلنا: يارسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: أعرضوا عليَّ رقاكم لابأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/٢٠٦).

(٢) عوف بن مالك الأشجعي من نبلاء الصحابة وممن شهد فتح مكة وغزوة مؤتة له عدة أحاديث، مات ـ رضي الله عنه ـ سنة ٧٣هـ.
سير أعلام النبلاء (٢/٤٨٧).

(٣) رواه مسلم، ح(٢٢٠٠).

رابعاً التمائم :

«جمع تميمة. وهي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم. فأبطلها الإسلام. وكانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء»[(١)].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يرى جواز تعليق التميمة فيقول:

«ويكتب للمحموم ويعلق عليه لما روى عن الإمام أحمد أنه قال: حممت فكتب لي من الحمى بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله، محمد رسول الله ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾[(٢)] اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل إشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك ياأرحم الراحمين»[(٣)].

ويقول في موضع آخر:

«قال بعض أصحابنا: يكتب للمرأة إذا عسرت عليها الولادة في جام أو آنية نظيفة: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلاَّ الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾[(٤)] و﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾[(٥)] ثم يغسل ويسقي منه وينضح ما بقي منه على صدرها»[(٦)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/١٩٧).

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٩-٧٠.

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٤٠).

(٤) سورة النازعات، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٦) الغنية للجيلاني (١/ ٤٠).

وقد حصل الخلاف بين العلماء في جواز تعليق التمائم إذا كانت من القرآن أو من أسماء الله وصفاته، وملخص الخلاف يذكره مصنف تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد فيقول:

«اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته. فقالت طائفة: يجوز ذلك. وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص، وغيره وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبوجعفر الباقر[1] وأحمد في رواية، وحملوا الحديث على التمائم الشركية، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية بذلك. قلت: وهو ظاهر اختيار ابن القيم. وقالت طائفة: لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة[2] وعقبة بن عامر[3] وابن عكيم[4] ـ رضي الله عنهم ـ وبه قال جماعة من

(١) أبوجعفر الباقر: هو محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب: تابعي ثقة، وهو خامس الأئمة عند الرافضة، وهو منهم ومن ضلالاتهم بريء، وقد كان من العُبَّاد والزُّهاد.
حلية الأولياء (٣/ ١٨٠).

(٢) حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ صاحب سر النبي ﷺ من نجباء الصحابة وأعيان المهاجرين شهد أحد ومابعدها. توفي سنة ٣٦هـ.
الإصابة (١/ ٣١٦).

(٣) عقبة بن عامر الجهني: صاحب رسول الله ﷺ وكان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً فرضياً شاعراً كبير الشأن، شهد صفين مع معاوية، وشهد فتح مصر، وكان من أهل الصفة، ومن الرماة، توفي سنة ٥٨هـ.
سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٧).

(٤) عبدالله بن عكيم الجهني: قيل له صحبة، وقد أسلم بلا ريب في حياة النبي ﷺ، وصلى خلف أبي بكر الصديق، وهو القائل: أتانا كتاب رسول الله ﷺ قبل موته بشهرين: «ألا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب» توفي في ولاية الحجاج. =

التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فإن ظاهره العموم ولم يفرق بين التي من القرآن وغيرها بخلاف الرقى فقد فرّق بينها ويؤيد ذلك أنَ الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود، وأما القياس على الرقية بذلك، فقد يقال بالفرق فكيف يقاس التعليق الذي لابد فيه من ورق أو جلود ونحوهما على ما لا يوجد ذلك فيه، فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب»[1].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي[2]: «وفي التمائم المعلقات التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها إن تك آيات قرآنية وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات فالاختلاف في جوازها واقع بين السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم. فبعضهم أجازها، يروى ذلك عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف، والبعض منهم كف أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزاً، منهم عبدالله بن عكيم وعبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر وعبدالله بن مسعود

= سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٠).

(١) تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ (١٢١).

(٢) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: أحد علماء المملكة السلفيين، وعلم من أعلام منطقة الجنوب، ولد سنة ١٣٤٢هـ، وطلب العلم علي يد أخيه الشيخ محمد والشيخ عبدالله القرعاوي، ثم برع في شتى العلوم وأخذ يصنف المصنفات، نظماً ونثراً على منهج أهل السنة والجماعة منها معارج القبول، وغيره، وقد توفي رحمه الله في ريعان شبابه عام ١٣٧٧هـ، بعد أداء مناسك الحج، ودفن في مكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة.

ترجمة ابنه الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي والمدونة في أول كتاب معارج القبول، ص(١١).

وأصحابه كالأسود[١] وعلقمة[٢] ومن بعدهم كإبراهيم النخعي[٣] وغيرهم - رحمهم الله تعالى -».

ثم ذهب الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - إلى ترجيح المنع، فقال: «ولا شك أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور لاسيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلاَّ من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله - عز وجل - إلى أن تتعلق قلوبهم بماكتبوه بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به

(١) الأسود بن يزيد النخعي الكوفي: الإمام القدوة، مخضرماً، أدرك الجاهلية والإسلام، حدث عن معاذ وابن مسعود وعائشة، وغيرهم. وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن يضرب بعبادتهما المثل وكان مجتهداً في العبادة، حتى نُقل عنه أنه كان يصوم الدهر، إما لأن النهي لم يبلغه أو أنه تأول، توفي سنة ٧٥هـ.
سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠).

(٢) علقمة بن قيس النخعي الكوفي: فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها الإمام الحافظ المجود المجتهد هاجر في طلب العلم والجهاد ولازم ابن مسعود حتى ترأس في العلم والعمل وتفقه به العلماء وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، توفي رحمه الله سنة ٦١هـ.
سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣).

(٣) الإمام التابعي إبراهيم بن يزيد النخعي: من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً ورواية وحفظاً للحديث، عاش بالكوفة وكان إماماً مجتهداً، توفي سنة ٩٦هـ.
تهذيب التهذيب (١/ ١٧٧).

فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو نفسك كذا وكذا، أو يقول له: إن معك قريناً من الجن أونحو ذلك، ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية موهماً أنه صادق الفراسة فيه شديد الشفقة عليه حريص على جلب النفع إليه فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفاً مما وصف له حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالبه والتجأ إليه وعوّل عليه دون الله ـ عز وجل ـ وقال له: فما المخرج مما وصفت، وما الحيلة في دفعه، كأنما بيده الضر والنفع. فعند ذلك يتحقق فيه أمله ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له فيقول له: إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجاباً طوله كذا وعرضه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول، وهذا الحجاب علّته من كذا وكذا من الأمراض.

أترى هذا مع هذا الاعتقاد من الشرك الأصغر لا بل هو تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل إلاّ بوساطة أخيه من شياطين الإنس»[١].

والذي أراه في هذه المسألة هو الحذر والمنع. لما في ذلك من المصلحة وهي سد ذرائع الشرك لأنه إذا استباح الناس التمائم من الآيات والأدعية انفتح باب الشرك، واشتبهت التميمة الجائزة بالمحذورة، وتعذر التمييز بينها إلاّ بمشقة فلزم سد هذا الباب المفضي إلى الشرك حماية لجناب التوحيد، بالإضافة لما في ذلك من صيانة القرآن وذكر الله مما قد يتعرض له من الإهانة في حالة تعليقه. والله أعلم.

---

(١) معارج القبول، لحافظ الحكمي (٢/ ٥١٠).

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

وهو القسم الثالث من أقسام التوحيدالتي لا يكمل توحيد العبد إلاَّ بتحقيقها وهو «إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، ونفي ما نفاه ـ عز وجل ـ عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ مما ينافي كماله وجلاله.

وقد أشار الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى بعض هذه المعاني بقوله:

«إنفوا ثم أثبتوا. إنفوا عنه ما لا يليق به، وأثبتوا له ما يليق به، وهو ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم»[١].

وقد وافق بذلك ما درج عليه علماء سلف هذه الأمة من تعظيم الله ـ عز وجل ـ وتنزيهه عما لا يليق به سبحانه:

١ـ يقول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة[٢]: «اتفق الفقهاء كلهم من

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس السابع عشر ص(٦٢).

(٢) أبوعبدالله محمد بن الحسن صاحب الإمام أبوحنيفة. إمام علاَّمة في الفقه وأصوله فقيه العراق، أخذ عنه الشافعي وقال: ما ناظرت أذكى منه، وقيل للإمام أحمد لامن أين لك هذه المسائل الدقاق؟ قال: من كتب محمد بن الحسن. مات سنة ١٨٩. سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤).

المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا»[١].

٢ـ ويوضح الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات فيقول:

«ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء وصفاته غير محدودة ولا معلومة، إلاَّ بما وصف به نفسه، فهو سميع بصير بلا حد ولا قدر، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نتعدى ذلك»[٢].

٣ـ كما يشير الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ[٣] إلى إجماع علماء أهل

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي برقم ٧٤٠.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص(٨٠).

(٣) محمد بن إسحاق بن خزيمة شيخ الإسلام إمام الأئمة الحافظ الحجة، ولد سنة ٢٢٣هـ وطلب العلم حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، قال عنه الحافظ أبوعلي النيسابوري: لم أر أحداً مثل ابن خزيمة. وقال عنه الدارقطني: كان ابن خزيمة إماماً ثبتاً معدوم النظير. وقال عنه الذهبي في السير: «ولابن خزيمة عظمة في النفوس وجلالة في القلوب لعلمه ودينه واتباعه السنة وكتابه في التوحيد مجلد كبير وقد تأول حديث الصورة فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكفوا وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدَّعناه لقل من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنه وكرمه».
سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥).

السنة والجماعة على إثبات الأسماء والصفات من غير تشبيه فيقول: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق، والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عزَّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلَّ ربنا عن مقالة المعطلين وعزَّ أن يكون عدماً كما قاله المبطلون؛ لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله على لسان نبيه محمد ﷺ»[١].

٤ـ وكذا الإمام الخطابي[٢] يوضح مذهب السلف في الإثبات ونفي التشبيه والكيفية فيقول: «إن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فإذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة،

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص(١٠).

(٢) الإمام العلاَّمة الحافظ أبوسليمان حمد بن محمد البستي الخطابي صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، وتفقه على مذهب الشافعي وله كتاب «شرح الأسماء الحسنى» وكتاب الغنية عن الكلام وأهله.
سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣).

ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها؛ لأن الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات»[١].

٥- وقد لخَّص شيخ الإسلام ابن تيمية معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات فقال:

«فأما الأول وهو التوحيد في الصفات، فالأصل في هذا الباب أن يُوصَفَ الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد عُلِمَ أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[٣]. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال

---

(١) من رسالة الغنية عن الكلام وأهله للخطابي نقلاً عن الفتوى الحموية لابن تيمية ص(٣٤) وقد ذكرها ابن تيمية أيضاً في الفتاوى (٥/ ٨٥) وذكر الذهبي أوله في مختصر العلو ص(٢٥٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١] ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثل. وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ رد للإلحاد والتعطيل، والله بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[٢]. قال أهل اللغة: هل تعلم له سمياً أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال مسامياً يساميه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له سمياً مثيلاً أو شبيهاً»[٣].

والقصد هنا ليس الاستقصاء فلو ذهبنا نتتبع كلام علماء الأمة من السلف والخلف في هذه المسألة لطال بنا البحث، وإنما الغرض هو إيراد نماذج من أقوالهم ـ رحمهم الله ـ والتي تتفق جميعها على وجوب إثبات الأسماء والصفات لله ـ عز وجل ـ من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٣) الفتاوى لابن تيمية (٣/٣).

منهج الشيخ عبدالقادر في إثبات الأسماء والصفات

تختلف الفرق في أسماء الله ـ عز وجل ـ وصفاته بحسب المناهج التي سلكتها كل فرقة.

ولأهل السنة والجماعة منهجهم في تقرير هذا النوع من التوحيد وغيره من مسائل الاعتقاد.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يقرر هذا المنهج بعبارة جامعة موجزة كعادة السلف ـ رحمهم الله ـ في كلامهم عن العقيدة حيث يكتفون بالعبارة الموجزة المختصرة للدلالة على المقاصد الشرعية.

قال رحمه الله:

«**ولا نخرج عن الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما، ونكل الكيفية إلى علم الله عز وجل**»[1].

فاشتمل كلامه ـ رحمه الله على الأسس الثلاثة التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وهي:

١ـ إثبات الأسماء والصفات.

٢ـ تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه.

٣ـ الاعتراف بالعجز عن إدراك الكيفية.

فقوله ـ رحمه الله ـ: «ولا نخرج عن الكتاب والسنة» إثبات للأسماء والصفات.

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٧).

وقوله: «نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما» تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن مشابهة خلقه إذ أن تفسير النص لابدَّ أن يوقع في التشبيه ولذلك فتفسير الآية والحديث الذي يشتمل على الأسماء والصفات هو قراءته.

وقوله: «ونكل الكيفية إلى علم الله عز وجل» الاعتراف بالعجز عن إدراك الكيفية.

وهذه هي الأسس الثلاثة التي ورد كلام السلف وعلماء أهل السنة والجماعة لتقريرها واعتمادها وهذه بعض أقوالهم حولها:

أولاً الإثبات :

أي أنهم يثبتون لله عز وجل جميع الأسماء والصفات التي جاءت في الكتاب والسنة على ما يليق به سبحانه مع اعتقادهم أنها دالة على معانٍ ثابتة كاملة في نفس الأمر من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. وقد سبق ذكر بعض أقوالهم.

ويرتكز الإثبات عند السلف على قاعدتين رئسيتين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فقال:

القاعدة الأولى: أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فإن من أثبت بعض الصفات كالحياة والقدرة والإرادة والكلام ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينكر المحبة والرضا والغضب ويجعل ذلك مجازاً يقال له: ما الفرق بين ما أثبته وما نفيته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن قال: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين. قيل: فكذلك رضاؤه وغضبه وهذا هو التمثيل.

وإن قال: إن له إرادة تليق به كما إن للمخلوقين إرادة تليق بهم. قيل له: فكذلك له محبة تليق به، وللمخلوقين محبة تناسب حالهم. وكذلك سائر الصفات كالرضا والغضب.

فإن قال: الغضب غليان الدم لطلب الانتقام. يقال له: الإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة ودفع مضرة.

فإن قال: هذه إرادة المخلوق. قيل له: وهذا غضب المخلوق. وكذلك يلزم القول في بقية الصفات فيجب أن يؤخذ الكل، أو يقال في الكل ما يقال في البعض، وبهذه القاعدة نردُّ على طوائف منحرفة في هذا

الباب من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وأمثالهم.

القاعدة الثانية: القول في الصفات كالقول في الذات، فالله سبحانه وتعالى له ذات لا تشبه ذوات المخلوقين وكذلك صفاته وأفعاله لاتشبه صفات المخلوقين وأفعالهم. إذ يلزم من أقرَّ بأن لله حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء أن يقول: إن سمعه وبصره وكلامه الثابت في نفس الأمر لا يشابهه سمع المخلوقين ولا بصرهم ولا كلامهم.

فإذا قال قائل: أنا أنفي استواء الله خشية من تشبيه الله بخلقه. فيقال له: إنف وجود الله وذاته لأنه يلزم من ذلك تشبيه الله بخلقه. فإن قال: لله وجود يخصه وذات تخصه لا تشبه ذوات المخلوقين. قلنا: وكذلك نزوله واستواؤه وبهاتين القاعدتين نرد على من قال: إن مذهب السلف هو التفويض وليس الإثبات»[١].

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٧ـ٢٧).

ثانياً التنزيه :

يعتقد سلف الأمة أن الله لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله، وأن إثبات ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يقتضي تشبيهاً أو تمثيلاً. يقول أبوعثمان الصابوني:

«إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ـ عز وجل ـ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له ـ جل جلاله ـ منها ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون إنه خلق آدم بيده، كما نص سبحانه عليه في قوله ـ عز من قائل ـ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ﴾[1] ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيفونها بكيف، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾[2]».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وكذلك يقولون في جميع الصفات

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله تعالى»[١].

ثالثاً عدم إدراك الكيفية:

لما كانت الإحاطة بذات الباري سبحانه مستحيلة كما أخبر بذلك عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[٢] كانت معرفة كيفية صفاته ـ عزوجل ـ مستحيلة أيضاً ولا سبيل إلى إدراكها؛ لأن معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات ومادمنا لا نقدر على معرفة كيفية الذات الإلهية فكذلك سنكون أعجز عن إدراك كيفية صفاته، ولذا فإن بعض أئمة السلف حينما سئلوا عن كيفية الاستواء قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»[٣].

وهكذا يتبين موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات للباري ـ عز وجل.

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، ص(٣) تحقيق السبكي.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٣) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٦٦٤) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد نسبته إلى مالك: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك». الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٣٦٥).

عدد أسماء الله الحسنى

معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها يؤدي إلى كمال العلم بذاته ـ سبحانه ـ وبالتالي كمال الخضوع والعبودية له ـ عز شأنه ـ ولذا كان العلم بها من أشرف العلوم لتعلقها بذات الباري ـ عز وجل ـ فبها يسأل وبها يثنى عليه وبها يمدح ـ سبحانه وتعالى ـ.

ومذهب الشيخ عبدالقادر الجيلاني في عدد أسماء الله الحسنى، وهل هي محصورة في العدد المحدد بالحديث الصحيح غير واضح فقد اكتفى بإيراد نص الحديث الذي ورد في عدد الأسماء فقال:

«ونعتقد أن الله عز وجل له تسعة وتسعون اسماً مَنْ أحصاها دخل الجنة»[(١)].

ثم استدل على ذلك بذكر الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلاَّ واحداً من أحصاها دخل الجنة»**[(٢)].

وهذا لا يكفي في ترجيح أي القولين يذهب إليه إلاَّ أنه بعد أن سردها وذكر السور القرآنية التي جاءت فيها تلك الأسماء نقل عن عبدالله ابن أحمد ذكره لأسماء زائدة على هذه مثل ياقاهر، يافاصل، ياخالق، يارقيب، ياماجد، ياجواد، ياأحكم الحاكمين[(٣)]، وبعد أن نقل عن جعفر

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٦١).
(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٣٦)، ومسلم رقم (٢٦٧٧).
(٣) لم أجده في كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد.

الصادق قوله: إن لله ثلاث مائة وستين اسماً رجَّح أن الصحيح ما ذكر عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ومعنى هذا أنه يميل إلى القول بحصرها في العدد المحدد في الحديث السالف ذكره.

وأما جمهور علماء أهل السنة والجماعة فقد ذهبوا إلى أن أسماء الله ـ عز وجل ـ غير محصورة:

١ـ قال الإمام الخطابي: إن لله تسعة وتسعين اسماً فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد وليس فيه نفي ماعداها من الزيادة عليها وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهرُ الأسماء وأبينُها معان وأظهرها وجملة قوله: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» قضية واحدة لا قضيتان ويكون تمام الفائدة في خبر إن في قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» لا في قوله: «**تسعة وتسعين اسماً**» وإنما هو بمنزلة قولك إن لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة وكقولك إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه. وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وإن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب»[1].

٢ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جمهور العلماء وسلف الأمة وأئمتها على أن أسماء الله ـ عز وجل ـ غير محصورة في تسعة وتسعين اسماً». ثم قال: «وهو الصواب لثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث

(١) شأن الدعاء للخطابي (٢٣).

صحيح.

الوجه الثاني: أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الله وتر يحب الوتر**»[١] وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين، وثبت في الصحيح أنه قال: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال**»[٢] وليس هو فيها، وفي الصحيح أيضاً أنه قال: «**إن الله طيبٌ لا يقبل إلاَّ طيباً**»[٣] وليس هذا فيها.

الوجه الثالث: ما احتج به الخطابي وغيره وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي إلاَّ أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحاً**» قالوا: يارسول الله أفلا نتعلمهن؟ قال: «**بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[٤]. قال الخطابي وغيره: فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها وذلك يدل على أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم». [٥]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٣٦)، ومسلم رقم (٢٦٧٧).

(٢) رواه مسلم رقم (٩١).

(٣) رواه مسلم رقم (١٠١٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/٣٩١) وصححه ابن حبان رقم (٢٣٧٢) والحاكم في المستدرك (١/٥٠٩)، وقال أحمد شاكر في شرح المسند: إسناده صحيح (٥/ ٣٧١١) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٣٦) رقم (١٩٩).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (٢٤).

ثم يواصل ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيقول: «والله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1] فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقاً ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلاَّ تسعة وتسعين اسماً والحديث قد سلم معناه والله أعلم»[2].

غير أن هناك من العلماء من ذهب إلى القول بحصرها في العدد المنصوص عليه في حديث أبي هريرة، وخالف ما اتفق عليه جمهور العلماء، ومنهم ابن حزم ـ رحمه الله ـ الذي تمسك بظاهر النص وشدَّد في ذلك زاعماً أن من أجاز أن يكون لله اسم زائد عليها فهو كافر حيث يقول:

«وأن له ـ عز وجل ـ تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد وهي أسماؤه الحسنى من زاد شيئاً من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة وقد صح أنها تسعة وتسعون اسماً فقط، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد لأنه عليه السلام قال: «مائة غير واحد» فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام مائة غير واحد كذباً ومن أجاز هذا فهو كافر»[3].

وفي كلام العلماء السابق ذكره ما يرد على ابن حزم ويدفع مقولته التي لا تخلو من الجرأة والمبالغة كعادته ـ رحمه الله وغفر الله لنا وله ـ.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٢) فتاوى ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢) بتصرف.
(٣) المحلى لابن حزم(١/ ٣٠).

هل يوصف الله عز وجل بغير ما وصف به نفسه

الدلالة على الذات الإلهية على ثلاثة أنواع وهي:

١ـ الأسماء.

٢ـ الصفات.

٣ـ الإخبار.

وأسماء الله الحسنى وصفاته العلى توقيفية لا مجال للرأي والاجتهاد فيها ولايجوز دعاء الله أو إطلاق أي اسم أو صفة عليه سبحانه إلاَّ إذا ثبت ورودها بالدليل الشرعي من كتاب الله ـ عز وجل ـ أو سنة رسوله ﷺ بخلاف الإخبار عنه سبحانه فإنه يصح أن يخبر عنه بما هو حسن والشيخ عبدالقادر الجيلاني عقد فصلاً مطولاً فيما لا يجوز إطلاقه على الباري ـ عز وجل ـ من الصفات وما يجوز من ذلك ثم ختم الفصل بقوله:

«فإذا ثبت هذا على ما ذكرنا فلا يجوز أن يدعى ـ عز وجل ـ باسم لا يجوز إطلاقه عليه ـ عز وجل ـ على ماذكرنا في أول الفصل وإنما يجوز أن يدعى بما يسمى به من الأسماء التي يجوز وصفه بها وصفاته التي يجوز أن يوصف بها».

إلى أن قال: **«وإذا أراد أن يصفه ويدعو بماذكرنا في هذا الفصل جاز ذلك إلاَّ أنه يجتنب في دعائه أن يدعوه عز وجل بقوله: ياساخر يامستهزىء ياماكر ياخادع ومبغض وغضبان ومنتقم ومعاد ومعدم ومهلك**

فلا يدعو بها وإن كان مما يجوز وصفه بها على وجه الجزاء والمقابلة لأهل الإجرام على وجه الاستحقاق»[١].

وكلامه هذا له احتمالان :

الاحتمال الأول: أنه أراد أن الله يوصف بهذه الصفات فهذا مردود لأن السلف مجمعون على عدم جواز وصفه تعالى بغير ما ورد. يقول قوام السنة الإمام الأصبهاني وهو يبين ضلال من سمى أو وصف الله ـعزوجلـ بغير ماسمى ووصف به نفسه أو سماه ووصفه به رسوله ﷺ:

«فلا يسمى أي الله تعالى إلاَّ بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمة على تسميته به ولا يوصف إلاَّ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ أو أجمع عليه المسلمون فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال»[٢].

الاحتمال الثاني: أنه أراد أنه يجوز الإخبار عنه سبحانه بتلك الألفاظ فهذا جائز لأن أهل السنة يرون أن ما يدخل في باب الأخبار أوسع مما يدخل في باب الأسماء والصفات كالشيء والموجود فإنه يصح أن يخبر عنه سبحانه بهذه الألفاظ مع أنها لا تدخل في الأسماء والصفات وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعى إلاَّ بالأسماء الحسنى وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيء لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيء وإن لم يكن بحسن مثل اسم شيء وذات وموجود»[٣].

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٨١).
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٣٨٣).
(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٤٢).

والأرجح أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني إنما أراد أنه يجوز الإخبار عن الله سبحانه بها لا على أنها صفة من صفاته ـ عزوجل ـ بدليل تقييده بأن الله إنما يجوز وصفه بها على سبيل الجزاء والمقابلة لأهل الإجرام على وجه الاستحقاق والله أعلم.

تفصيل معتقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الأسماء والصفات:

يلتزم الشيخ عبدالقادر في عرضه لأسماء الله وصفاته عز وجل غالباً بلفظ النصوص الواردة وهذا غاية الاحتياط منه ـ رحمه الله ـ في الحديث عن الله ـ عز وجل ـ وأسمائه وصفاته.

وقد تحدث عن جملة من أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته نوردها ثم نبين مدى موافقة منهجه ـ رحمه الله ـ لمذهب السلف في ذلك:

أولاً الصفات الذاتية :

وهي الصفات المتعلقة بذات الباري ـ سبحانه ـ ولا تتعلق بالمشيئة والاختيار بل لا تنفك عن الرب ـ عز وجل ـ بحال من الأحوال باعتبارها من لوازم الذات الإلهية ومنها:

١ـ اليدان:

من الصفات الثابتة لله عز وجل، وقد أشار الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى ثبوت هذه الصفة لله سبحانه فقال:

«له يدان وكلتا يديه يمين قال عز وجل: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1] وروى نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قرأ رسول الله ﷺ على المنبر والسموات مطويات بيمينه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكره ثم يقول: أنا العزيز، فلقد رأيت رسول الله يتحرك على المنبر حتى كاد يسقط[2]»[3].

وهو ـ رحمه الله ـ إنما ذكر إثبات اليدين على النحو الذي وردت به الآية الكريمة والحديث الشريف.

وإثبات اليدين لله ـ عز وجل ـ هو مذهب أهل السنة والجماعة إتباعاً لمنهجهم القويم في صفات الباري ـ سبحانه ـ وهو وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الصفات إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل وذلك خلافاً لما ذهب إليه غيرهم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٢) رواه البخاري بلفظ قريب من هذا رقم (٧٤١٢).

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

من تأويل اليدين مرة بالنعمة[١] ومرة بالقدرة[٢] مما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة وهذا طرف من كلام علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين:

١ـ قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «من زعم أن يداه[٣] نعمتاه، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤] مشددة[٥].

٢ـ وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: إن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثةأنواع مفرداً أومثنى أو مجموعاً، فالمفرد كقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[٦] والمثنى كقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٧] والمجموع ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[٨].

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدى الفعل بالباء إليهما فقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

وحيث ذكرها مجموعة أضاف الفعل إليها ولم يعدَّ الفعل بالباء.

فهذه ثلاثة فروق فلا يحتمل ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ من المجاز[٩] ما يحتمله ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فإن كل واحد يفهم من قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا كمايفهم ذلك من قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٩٥، ٢١٨).
(٢) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٩٥، ٢١٨).
(٣) هكذا كتبت في المصدر [يداه] والصحيح أنها [يديه] لأنها منصوبة بأن.
(٤) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٥) إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى (١٠٢).
(٦) سورة الملك، الآية: ١.
(٧) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٨) سورة يس، الآية: ٧١.
(٩) هذا على سبيل الحكاية عن أصحابه القائلين به وإلاَّ فإنه رحمه الله قد أبطل المجاز بأكثر من أربعين وجهاً في هذا الكتاب.

أَيْدِيكُمْ﴾(١).

وأما قوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ﴾ فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى فكيف وقد دخلت عليها الباء وكيف إذا ثُنِّيت.

وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾(٢) و﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٣).

وأما إذا أُضيف إليه الفعل ثم عدى بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو مما باشرته يده ولهذا قال عبدالله بن عمر: «**إن الله لم يخلق بيده إلاَّ ثلاثاً خلق آدم بيده وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده**»(٤) فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء مما خلق بالقدرة»(٥).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) لم أجد هذا الأثر فيما بين يدي من المراجع منسوباً إلى ابن عمر، وإنما وجدته مرفوعاً إلى النبي ﷺ ونصفه: «**خلق الله الفردوس بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة لموسى بيده**» رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص(٣١٨). والدارقطني في الصفات رقم (٢٨). كما وجدته منسوباً إلى حكيم بن جابر وكعب الأحبار في الشريعة للآجري ص(٢٧، ٢٨).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة للموصلي (٢٧، ٢٨).

٢ـ صفة القَدَم :

من الصفات الذاتية التي وردت بها الأدلة الصحيحة صفة القَدَم لله ـ عز وجل ـ والشيخ عبدالقادر الجيلاني يثبت لله هذه الصفة فيقول: **«ويضع قدمه في جهنم فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط»**[١] وهو بهذا يشير إلى الأحاديث الصحيحة التي جاء ذكر القدم فيها وهي:

ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: **«لاتزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض»**[٢].

وما في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلاَّ ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم. فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكم ملؤها فأما النار فلا تمتلىء، فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط، فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض»**[٣].

وقد تلقى علماء أهل السنة والجماعة هذه الأحاديث الصحيحة بالقبول وأمرُّوها كما جاءت ولم يخوضوا في الكيفية فهذا الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقد سئل عن الأحاديث يضع قدمه وغيرها يقول نمرِّها كما جاءت»[٤].

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).
(٢) رواه البخاري رقم (٧٣٨٤)، ومسلم رقم (٢٨٤٨).
(٣) رواه البخاري رقم(٧٤٤٩)، ومسلم رقم (٢٨٤٦).
(٤) إبطال التأويلات للقاضي أبويعلى (١/ ١٩٥).

أما الترمذي فيقول: «قد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة يذكر فيها أمر الرؤية وأن الناس يرون ربهم وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري ومالك بن أنس، وابن المبارك[١]، وابن عيينة[٢]، ووكيع[٣]، وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا: نروي هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال: كيف وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروىٰ هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»[٤].

(١) الإمام العالم المجاهد الثقة العابد عبدالله بن المبارك تفقه على مالك وسفيان الثوري وغيرهم، وكان من المجاهدين والمنفقين توفي عائداً من الغزو سنة ١٨١هـ.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨).

(٢) هو: أبومحمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ولد سنة١٠٧هـ، بالكوفة وطلب العلم حتى صار إماماً عالماً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على إمامته وصحة حديثه.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤).

(٣) الإمام الحافظ الحجة وكيع بن الجراح من حفّاظ الحديث ثبت ثقة له مصنفات مفيدة توفي إثر عودته من الحج سنة ١٩٧هـ.
سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠).

(٤) سنن الترمذي (٤/ ٦٩٢).

٣ـ صفة الأصابع :

يثبت الشيخ عبدالقادر الجيلاني صفة الأصابع لله عز وجل، لورود الأدلة الصحيحة بشأنها فيقول:

«وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»[١].

وأدلة ثبوت صفة الأصابع كثيرة منها قوله ﷺ: **«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»** ثم قال ﷺ: **«اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك»**[٢].

وعلى هذا الإثبات درج علماء أهل السنة والجماعة كعادتهم في إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات على ما يليق بجلال الله ـ عز وجل ـ من غير تكييف ولا تمثيل:

١ـ قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: **«وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد»**[٣].

٢ـ وقال الإمام الدارمي[٤] في رده على بشر المريسي[٥]: «ورويت أيها

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

(٢) رواه مسلم، رقم (٢٦٥٤).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩).

(٤) عثمان بن سعيد الدارمي: الإمام العلاَّمة الحافظ الناقد، طاف الأقاليم في طلب الحديث، وصنَّف كتابين في الرد على بشر المريسي وعلى الجهمية، وفاق أهل زمانه وكان لهجاً بالسنة بصيراً بالمناظرة، قال عنه الذهبي: كان جذعاً في أعين المبتدعة، مات سنة ٢٨٠هـ.
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩).

(٥) بشر بن غياث المريسي العدوي: معتزلي عارف بالفلسفة رمي بالزندقة وقد أخذ آراء =

المريسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» فأقررت أن النبي ﷺ قاله، ثم رددته بأقبح محال وأوحش ضلال ولو دفعت الحديث أصلاً كان أعذر لك من أن تقر به ثم ترده بمحال من الحجج وبالتي هي أعوج فزعمت أن إصبعي الله قدرتاه وكذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] أي في ملكه. فيقال لك أيها المعجب بجهالته: في أي لغات العرب وجدت أن إصبعيه قدرتيه، فأنبئنا بها فإنا قد وجدناها خارجة من جميع اللغات، إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها، واستنطقتها فكيف صارت القلوب من بين الأشياء بين قدرتين، وكم تعدها قدرة، فإن النبي ﷺ قال: «**بين إصبعين من أصابع الرحمن**» وفي دعواك هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع حكمت فيها للقلوب بقدرتين وسائرها لما سواها ففي دعواك هذا أقبح محال وأبين ضلال»[2].

= جهم ودعى إليها وروَّج لها.
سير (علام النبلاء (١٠/٢٩٩).

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٢) الرد على بشر المريسي للإمام الدارمي (٥٩).

٤ ـ صفة العلو :

من صفات الكمال للذات الإلهية صفة العلو وهي فرع من توحيد الأسماء والصفات والله سبحانه متصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً. وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان فإنهم يثبتون لله علوه بذاته على جميع خلقه على ما يليق به سبحانه بلا تشبيه ولا تكييف كما هو الشأن في كل ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يثبت لله هذه الصفة فيقول:

«وهو بجهة العلو مستوٍ على العرش محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[١]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢]»[٣].

وهو بهذا يوافق أهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من إثبات هذه الصفة وغيرها من صفات الكمال اللائقة بجلاله سبحانه. وسوف أعرض لهذه المسألة بشيء من التفصيل لأهميتها وكثرة المخالفين فيها من الطوائف المبتدعة الذين عطَّلُوا هذه الصفة لاعتمادهم على شبهات باطلة وأوهام واهية.

وقد دل الكتاب الكريم والسنة المطهرة على اتصاف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعلو والفوقية بأنواع كثيرة من الدلالات منها:

١ـ التصريح بالعلو المطلق ذاتاً وقدراً وقهراً. يقول تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٥.
(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٥٤).

﴿ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾[١] و﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾[٢] و﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ۝٤٢ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤٣﴾[٣].

٢ـ التصريح بأنه في السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾[٤] والسماء اسم جنس للعالي يتناول كل سماء كالسموات والكرسي والعرش فقوله: في السماء، أي في العلو فهو سبحانه العلي الأعلى. ومن السنة الدالة على كونه تعالى في السماء ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن بدر[٥]، وأقرع بن حابس[٦]، وزيد

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٤٢، ٤٣.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٥) عيينة بن بدر: قال ابن حجر في الفتح: كذا نسب إلى جده الأعلى، وهو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، صحابي من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، كان النبي ﷺ يسميه الأحمق المطاع، ارتد في زمن أبي بكر، ومال إلى طليحة ثم عاد فأسلم وعاش إلى خلافة عثمان.
انظر: الاصابة (٤(٧٦٧). والفتح لابن حجر (٧/ ٦٦٦).

(٦) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي: صحابي من سادات العرب في الجاهلية قدم على النبي ﷺ في وفد بني دارم من تميم، فأسلموا وشهد حنيناً، وفتح مكة، والطائف، وسكن المدينة، وكان من المؤلفة قلوبهم ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة واستشهد في الجوزجان، واسمه فراس والأقرع، لقب له لقرع في رأسه، وكان حكماً في =

الخيل[1]، والربيع إما علقمة[2] وإما عامر بن الطفيل[3] فقال رجل من أصحابه: كنا أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءاً»** قال: فقام رجل غائر العينين مُشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يارسول الله اتق الله! قال: **«ويلك أوَلست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»** قال: ثم ولَّى الرجل. قال خالد بن الوليد: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: **«لا لعله أن يكون**

= الجاهلية.
الأعلام للزركلي (٢/ ٥).

(١) زيد بن مهلهل: من طيء من الأبطال في الجاهلية سمي زيد الخيل لكثرة خيله، وكثرة طراده بها، كان طويلاً جسيماً من أجمل الناس وكان شاعراً وخطيباً موصوفاً بالكرم، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ سنة ٩هـ، في وفد طيء فأسلم وسُرَّ به رسول الله وسماه زيد الخير وقال له: يازيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلاَّ رأيته دون ما وصف لي غيرك.
الأعلام للزركلي (٣/ ٦١).

(٢) علقمة بن علاثة العامري: صحابي من بني عامر بن صعصعة كان في الجاهلية من أشراف قومه، وفد على قيصر ثم أسلم ثم ارتد في أيام أبي بكر، وذهب إلى الشام فبعث إليه أبوبكر القعقاع بن عمرو، ففر منه ثم عاد إلى الإسلام وولاه عمر بن الخطاب حوران فنزلها حتى مات وكان رجلاً كريماً.
الأعلام (٤/ ٢٤٧).

(٣) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر: من بني عامر بن صعصعة فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، أدرك الإسلام شيخاً ووفد على رسول الله ﷺ في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه إلى الإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر بعده فرده فعاد وهو يقول: لأملأنها خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ولأربطن في كل نخلة فرساً. فمات في طريقه قبل أن يصل إلى قومه.
الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥٢).

يصلي» قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «**إنه يخرج من ضئضى**[١] **هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» وأظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[٢].

٣ـ إخباره ـ عز وجل ـ بعروج الأشياء وصعودها إليه سبحانه كقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٤].

ومن السنة: قوله ﷺ: «**من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلاّ الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل**»[٥].

٤ـ التصريح بالفوقية في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[٦].

٥ـ التصريح بنزوله سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا والنزول إنما يكون من العلو. ففي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: **ينزل ربنا تبارك**

---

(١) يريد أن يخرج من نسله وعقبه. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٦٩).
(٢) رواه البخاري رقم (٤٣٥١)، ومسلم رقم (١٠٦٤).
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٥) رواه البخاري رقم (٧٤٣٠).
(٦) سورة النحل، الآية: ٥٠.

وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»(١).

٦ـ الإشارة إليه سبحانه في جهة العلو؛ حين أشار إليه النبي ﷺ لما كان بعرفة في حجة الوداع فقال: «وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت، ثم قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد»(٢).

وهكذا يتبين من خلال ما سبق دلالة الكتاب الكريم والسنة المطهرة على علو الله سبحانه وتعالى على خلقه واستوائه على عرشه وهو ما فهمه سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم فأثبتوا لله العلو وهذاعرض لبعض أقوالهم:

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ـ لما قُبِضَ رسول الله ﷺ دخل عليه أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ وقبَّله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتاً، ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حيٌّ لا يموت(٣).

---

(١) رواه البخاري، رقم ١١٤٥.
(٢) رواه مسلم، رقم (١٢١٨).
(٣) العلو للذهبي (٦٢).

٢ـ عندما لقي عمر بن الخطاب خولة بنت ثعلبة[١] قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات[٢].

٣ـ حينما دخل عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي تحتضر قال لها: لقد أنزل الله براءتك من فوق سبع سموات[٣].

ثانياً: أقوال بعض التابعين:

يروي البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته[٤].

ثالثاً: أقوال بعض الأئمة:

١ـ قال رجل للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: الله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان. فقال له الإمام أحمد: نعم على عرشه لا يخلو شيء من علمه.[٥].

٢ـ قال الإمام ابن عبدالبر: «لم يزل المسلمون في كل زمان إذا دهمهم

(١) خولة بنت مالك بن ثعلبة: امرأة أوس بن الصامت نزلت فيها وفي زوجها أوس صدر سورة المجادلة حينما ظاهر منها.
الإصابة لابن حجر (٨/ ٦٨).
(٢) العلو للذهبي ص(٦٣).
(٣) العلو للذهبي (٩٦).
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٤٨٠).
(٥) طبقات الحنابلة (١/ ٤٣١).

أمر وكربهم غم يرفعون وجوههم وأيديهم إلى السماء رغبة إلى الله عز وجل في الكف عنهم»[١].

٣ـ استدل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ على إثبات علو الله ـ عز وجل ـ بكلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني فقال ـ رحمه الله ـ: «وقال الشيخ عبدالقادر في الغنية: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد صمد ـ إلى أن قال: ـ وهو بجهة العلو مستوٍ على العرش محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء»[٢].

وهكذا يتبين موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٢٢/ ٨١).

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٢٢٢).

ثانياً: الصفات الفعلية

وهي التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه بحيث إن شاء الرب ـ عز وجل فعلها وإن شاء لم يفعلها وكل صفة فعلية فهي صفة ذاتية من جهة قدرة الرب ـ عزوجل ـ على فعلها في أي وقت شاء، وفيما يلي عرض للصفات الفعلية التي أوردها الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

١ ـ الاستواء :

وهو من الصفات الثابتة لله ـ عز وجل ـ بالكتاب والسنة وإجماع السلف ـ رحمهم الله ـ الذين يعتقدون بأن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بعظمته وجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

وقد أخذ الشيخ عبدالقادر الجيلاني في مسألة الاستواء بالمعنى الذي أثبته النص القرآني من غير تأويل ولا تعطيل مخالفاً بذلك ما ذهب إليه أهل الضلال الذين تأولوا النص وعطّلوا هذه الصفة الثابتة له سبحانه بما يليق به، فدفع الشيخ عبدالقادر الجيلاني أقوالهم في رده عليهم بقوله:

«وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة[١] والكرامية[٢] ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية[٣] ولا على

---

(١) انظر عقيدة المجسمة في الاستواء بمقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢١١).
(٢) انظر عقيدة الكرامية في الاستواء، الفرق بين الفرق للبغدادي (٢١٦).
(٣) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٤٣٧).

معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة[1]؛ لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق»[2].

وقد استدل ـ رحمه الله ـ على ذلك بما روي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ـ رضي الله عنها ـ في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[3] قالت: «الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول، والإقرار به واجب والجحود به كفر» وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبي ﷺ في صحيحه[4]. وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[5][6].

ويؤكد الشيخ عبدالقادر إثباته لهذه الصفة معرِّضاً بالذين أوَّلوها بالعلو من الأشاعرة فيقول:

---

(١) انظر عقيدتهم في الاستواء، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٥٧).

(٢) الغنية للجيلاني (١/ ٥٦).

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) هذا الأثر لم يرد في شيء من الكتب الستة ولا المسند وإنما ورد في كتب أخرى، فقد رواه اللالكائي برقم (٦٦٣) موقوفاً عليها ولكنه لم يصح السند فيها.
قال ابن تيمية بعد إيراده للأثر عن مالك: «وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» الفتاوى (٥/ ٣٦٥).
وقد ذكره الذهبي عن أم سلمة ثم علّق بقوله: «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي فأما أم سلمة فلايصح؛ لأن أباكنانة ليس بثقة وأبوعمير لا أعرفه» العلو للذهبي (٦٥).

(٥) هذا القول منقول عن جماعة من السلف كربيعة الرأي ومالك بن أنس رحمهما الله، وقد رواه اللالكائي بسنده برقم (٦٦٤، ٦٦٥) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

(٦) الغنية للجيلاني (١/ ٥٦).

«وكونه ـ عز وجل ـ على العرش مذكوراً في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف؛ لأن الله لم يزل موصوفاً بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره فلا يحمل الاستواء على ذلك فالاستواء من صفات الذات بعدما أخبرنا به ونص عليه وأكده في سبع آيات من كتابه[1] والسنة المأثورة به وهي صفة لازمة له، ولائقة به؛ كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة، وكونه خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً موصوف بها، ولا نخرج من الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل»[2].

وكلام الشيخ عبدالقادر هنا له احتمالان:

الأول: أنه ـ رحمه الله ـ أراد أن الله عز وجل لم يزل قادراً على الفعل أزلاً، فهو سبحانه متصف بهذه القدرة في الأزل، ولم يتجدد له صفة لم تكن من قبل، ولكنه سبحانه إنما استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض مع أن العرش كان مخلوقاً قبل السموات والأرض كما ثبت ذلك في الصحاح.

وهذا هو المتفق مع اعتقاد الشيخ الإجمالي وكذلك مع اعتقاده في مسألة الاستواء كما تقدم في النص السابق قبل هذا من حيث المعنى العام.

الثاني: أن يكون أراد أن الله عز وجل لم يزل مستوياً على عرشه أزلاً وأن وصفه بذلك كوصفه بأن له يداً ووجهاً، وكإثبات السمع والبصر

---

(١) آيات الاستواء في القرآن الكريم هي: الأعراف ٥٤، ويونس ٣، والرعد ٢، وطه ٥، والفرقان ٥٩، والسجدة ٤، والحديد ٤.

(٢) الغنية للجيلاني (١/ ٥٧).

والحياة والقدرة وهي صفات ملازمة للذات أزلاً وأبداً.

وذلك يعني أن الله عز وجل لم يفعل الاستواء بعد أن لم يكن.

ولكن الذي نرجحه: أنه ـ رحمه الله ـ أراد بقوله: «وهي صفة لازمة له» أي ثابتة وقوله: «ولائقة به كاليد والوجه...» أي أنها ثابتة له عز وجل كثبوت اليد والوجه ونحوها من صفات الكمال التي تليق به ـ عز وجل ـ فإن جميع الصفات الواردة في حقه ـ سبحانه ـ نثبتها على ما يليق به سبحانه.

هذا هو مجمل اعتقاده الذي ذكره حول ثبوت صفة الاستواء لله ـ عز وجل ـ استواءاً يليق بجلاله وهو بهذايتفق مع علماء أهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله سبحانه وتعالى هذه الصفة الدالة على كمال عظمته وهذه بعض أقوالهم:

١ـ سُئل الإمام مالك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء[2] ثم قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلاَّ مبتدعاً» ثم أمر به فأُخرج.

وجميع أئمة الدين كابن الماجشون والأوزاعي والليث بن سعد وحماد ابن زيد[3] والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم، كلامهم يدل على ما

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) الرحضاء: العرق أثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثره. القاموس المحيط ص(٨٢٩).

(٣) حماد بن زيد بن درهم: الإمام العلامة الحافظ الثبت أحد الأعلام. قال عنه عبدالرحمن بن مهدي: لم أر أحداً قط أعلم بالسنة والحديث من حماد مات سنة ١٧٩هـ.
سير أعلام النبلاء (٤٥٦/٧).

دل عليه كلام مالك من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا؛ لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة، ومتى جنب المؤمن طريق التحريف والتعطيل وطريق التمثيل سلك سواء السبيل[١].

٢- قرّر الإمام الدارمي هذه العقيدة في إثبات صفة الاستواء فقال: «فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سمواته بائن من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٢] سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علواً كبيراً»[٣].

٣- فنَّد ابن القيم ـ رحمه الله ـ ادعاءات المبطلين من المعطلة الذين يعطلون صفة الاستواء ويزعمون أن الاستواء في الآيات الكريمة بمعنى الاستيلاء فقال:

«في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٤] في سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع الأمة إلاَّ الجهمية ومن وافقهم فإنهم قالوا هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم[٥] وبدَّعهم وضللهم فيه بمعنى استولى أي ملك وقهر.

وقالت فرقة منهم: بل معنى قصد وأقبل على خلق العرش.

وقالت فرقة أخرى: بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٦/ ٣٩٨).
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.
(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص(٢٧١).
(٤) سورة طه، الآية: ٥.
(٥) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، ص(٤٨).

وجهاً كلها لا يعلم أيها المراد إلاَّ أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل.»
ثم قال ـ رحمه الله ـ: «وهذا الذي قالوه باطل من اثنين وأربعين وجهاً، وأكتفي بذكر الوجه الأول والذي يبطل دعواهم على اللغة بغير ما وردت».

قال رحمه الله:

الوجه الأول: أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد:

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[1] وهذا معناه كمل، وتم يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

والمقيد ثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[2] واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة. وقد ذكر سبحانه هذا المعدَّى بإلى في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[3] وفي سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[4]. وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: مقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[5] وقوله تعالى:

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٤) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[٢] وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون - بواو - مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخروا النحاة ومن سلك طريق المعتزلة والجهمية»[٣].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الاستواء لله عز وجل بما يلي:

أولاً: من الكتاب الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[٥].

٣- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٣١٩).
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٥) سورة يونس، الآية: ٣.

تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[1].

٤ـ قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[2].

٥ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[3].

٦ـ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[4].

٧ـ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾[5].

فهذه الآيات تدل دلالة صريحة واضحة لا تحتمل أي تأويل على أن الله تعالى مستو على عرشه استواءاً يليق بجلاله وكمال عظمته لا يماثله ولا يشابهه شيء من خلقه.

ثانياً: من السنة المطهرة:

روى أبوبكر الخلال[6] في السنة عن قتادة بن النعمان[7] أنه سمع

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٤.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٦) الإمام العلامة الفقيه شيخ الحنابلة أبوبكر محمد بن محمد الخلال ولد سنة ٢٣٤هـ، وأخذ الفقه عن خلق كثير من أصحاب الإمام أحمد، وتتبع نصوص الإمام أحمد ثم دونها، توفي سنة ٣١١هـ.
سير أعلام النبلاء (١٤/٢٩٧).

(٧) قتادة بن النعمان البدري: الأمير المجاهد من نجباء الصحابة وهو الذي وقعت عينه على خده يوم أحد فردها رسول الله ﷺ فكانت أصح عينيه وكان من الرماة =

النبي ﷺ يقول: «لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه» قال الذهبي رواته ثقات[1].

= المعدودين، مات رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، بالمدينة.
سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٣١).

(١) العلو للذهبي ص(٥٢).

٢ـ صفة النزول :

من الصفات الثابتة لله ـ عز وجل ـ صفة النزول من غير تكييف ولا تمثيل بل علي وجه يليق بجلال الله لا يعلمه إلاَّ هو إذ هو القائل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[١].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني كعادته في إثبات الصفات يثبت هذه الصفة وينفي أن تكون بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ذهبت إليه الفرق المبتدعة الزائغة عن طريق الحق. فيقول:

«وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء، وكما شاء فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العلي الأعلى لا إله إلاَّ هو له الأسماء الحسنى لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادعته المعتزلة[٢] والأشعرية[٣]»[٤].

وهذا الإثبات هو معتقد أهل السنة والجماعة الذين يثبتون لله هذه الصفة كما يليق بجلاله سبحانه. وإليك بعض أقوالهم رحمهم الله:

١ـ قال الإمام أحمد: «وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٥].

٢ـ يقرر الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ هذا المعتقد فيقول: «وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٥٥).

(٣) انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية (٥/ ٤١٠). وفتاوى ابن تيمية (٥/ ٣٨٦).

(٤) الغنية للجيلاني (١/ ٥٧).

(٥) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩).

ولا يقال كيف هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك إنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه»(١).

٣ـ يؤكد الإمام ابن خزيمة على ذلك فيقول: «نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول»(٢).

٤ـ يذكر الإمام الصابوني ما أقر به أهل السنة فيقول: «قلت فلما صح خبر النزول عن الرسول ﷺ أقرَّ به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه ولم يبحثوا عن كيفيته إذ لا سبيل إليها بحال وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علوًا كبيراً ولعنهم لعناً كثيراً»(٣).

٥ـ كذا الإمام ابن عبدالبر يذكر أن جمهور أئمة أهل السنة يعتقدون نزول الرب ويصدقون بذلك دون تكييف فيقول: «والذي عليه جمهور أئمة

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٤١).
(٢) التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (١٢٥).
(٣) عقيدة السلف للصابوني، ص(٤٢).

أهل السنة أنهم يقولون ينزل كما قال رسول الله ﷺ ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون. والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة»[١]

وقد استدل أهل السنة على ذلك بالأدلة الصريحة الصحيحة والتي منها:

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»[٢].

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٤٣).

(٢) رواه البخاري رقم (١١٤٥)، ومسلم رقم (٧٥٨).

٣ - صفة الكلام :

صفة الكلام صفة ذات. باعتبار نوع الكلام وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله عز وجل ومشيئته فهو سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء يتكلم بصوت يُسمع. يسمعه من شاء من خلقه. سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة. وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله. وسيسمعه المؤمنون في الآخرة ممن سبقت لهم من الله الحسنى نرجو الله أن نكون منهم.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يقرر ثبوت هذه الصفة لله سبحانه ويصف من ينكر ذلك بالابتداع فيقول وهو يخاطب المبتدعة:

«يامبتدع: ما يقدر أن يقول أنا الله إلاَّ الله. ربنا عز وجل متكلم ليس بأخرس ولهذا أكَّد الله عز وجل الأمر في كلامه لموسى فقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]»[2].

وما قرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة وإليك بعض أقوالهم:

١ـ قال حنبل قلت لأبي عبدالله: الله يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم، فمن يقضي بين الخلائق إلاَّ الله عز وجل يكلم عبده ويسأله الله متكلم لم يزل الله متكلماً يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء وليس له عدل ولا مثل كيف شاء وأين شاء»[3].

٢ـ يقول الإمام أحمد أيضاً: «وكلم الله موسى تكليماً، من الله سمع

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الستون (٢٠٩).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص(٨٣).

موسى يقيناً، ولم يزل متكلماً عالماً تبارك الله أحسن الخالقين»[١].

٣ـ أما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فعندما عرض أقوال الناس في كلام الله ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة فقال: «وقول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تعالى تكلم به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقاً ولا يقولون إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ولا أن كلام الله تعالى حدث من حيث هو حادث بل مازال متكلماً إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد»[٢].

هذا هو معتقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل والذي يوافق معتقد أهل السنة والجماعة. والله أعلم.

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩).

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٢/ ١٧٣).

حديث: «إن الله خلق آدم على صورته»

في معرض الحديث عن الصانع ـ عز وجل ـ ذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني حديث الصورة فقال:

«**إن الله خلق آدم على صورته**»[١]. ولم يفصل في عود الضمير في كلمة على صورته وهل هو عائد على الله عز وجل أم على آدم عليه السلام. وكلامه هذا جزء من حديث متفق على صحته عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلماخلقه قال: اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن»[٢].

وقد اختلفت أقوال العلماء في إرجاع الضمير في الحديث فذهب كثير من علماء أهل السنة والجماعة، منهم الإمام أحمد بن حنبل إلى أن الهاء في قوله: على صورته عائدة على الله عز وجل وأنكروا على من قال: إنها عائدة على آدم إذ يقول الإمام أحمد: «من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه»[٣].

وقد انتقد الإمام ابن قتيبة رحمه الله من أرجع الضمير في الحديث إلى غير الله عز وجل فقال: «وقال قوم من أصحاب الكلام أراد خلق آدم

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٢٢٧) ومسلم رقم (٢٨٤١).

(٣) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣١٦).

على صورة آدم لم يزد على ذلك ولو كان المراد هذا ما كان في الكلام فائدة ومن يشك في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته والسباع على صورهاوالأنعام على صورها»ثم قال رحمه الله: «والذي عندي والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد»[١].

ومن قال بذلك الإمام الآجري حيث عقد باباً في كتابه الشريعة بعنوان: الإيمان بأن الله خلق آدم على صورته بلا كيف. وأورد عدداً من الأحاديث المصرحة بذلك ثم قال: «هذه هي السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها كيف ولِمَ، بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين» ثم قال في نهاية الباب: «سمعت أباعبدالله الزبيري رحمه الله[٢] وقد سئل عن معنى هذا الحديث ـ أي حديث خلق الله آدم على صورته ـ فذكر مثل ما قيل فيه ثم قال أبوعبدالله: نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كما جاءت، ونؤمن بها إيماناً ولا نقول كيف ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انتهي بنا فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاءت»[٣].

وكذلك الإمام ابن بطة عندما ذكر مسائل العقيدة التي يجب الإيمان بها قال: «ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء ونقله الثقات أهل الآثار عن رسول الله ﷺ ونلقاها بالقبول ولا نرد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف، ولا تحمل على المعقول ولا تضرب لها المقاييس

---

(١) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، ص(٢١٩).
(٢) أبوعبدالله الزبيري: لم أجد له ترجمة.
(٣) الشريعة للآجري ص(٣١٥).

مثل أحاديث الصفات والرؤية ولا يقبح الوجه فإن الله خلق آدم على صورته»[١].

وهناك طائفة من أهل العلم يرون أن الضمير في كلمة «على صورته» عائد على آدم عليه السلام وطائفة يرون أن الضمير عائد على المضروب وجهه ومنهم الإمام ابن خزيمة الذي حمل حملة عنيفة على من أعاد الضمير على الله عز وجل فقال: «توهَّم البعض ممن لم يتحر العلم أن قوله على صورته يريد صورة الرحمن عز ربنا وجلَّ عن أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله خلق آدم على صورته الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذي قبَّح وجهه فزجر النبي ﷺ أن يقول ووجه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجهه فتفهموا رحمكم الله لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال»[٢].

والذي يتمشى مع قواعد أهل السنة والجماعة في الاستدلال هو ما ذهب إليه الإمام أحمد وغيره من علماء السلف من أن الضمير عائد على الله عز وجل مع قطع النظر عن المماثلة والمشابهة بل نكل علم كيفية ذلك إلى الله عز وجل والله أعلم.

---

(١) الشرح والإبانة على أصول الديانة (١٠٧).
(٢) التوحيد لابن خزيمة (٣٧ـ٣٨).

المبحث الرابع
القرآن كلام الله عز وجل المنزل

لعل من المناسب قبل البدء في بيان عقيدة الشيخ عبدالقادر الجيلاني حول القرآن الكريم أن أشير باختصار إلى فتنة القول بخلق القرآن والتي عانت منها أمة الإسلام وعلماء أهل السنة والجماعة الشيء الكثير في أواخر عصر التابعين. وكان أول من أظهر هذه الفتنة الجهم بن صفوان الذي قال بالعديد من الكفريات ومنها القول بخلق القرآن، وقد تلقى هذه المقالة الباطلة عن الجعد بن درهم[1] الذي طارده خلفاء بني أمية بعد إظهاره لهذه المقولة الخبيثة فهرب منهم وسكن في الكوفة وهناك التقى بالجهم بن صفوان، وألقى عليه هذه الفكرة ثم يسَّر الله هلاك الجعد بن درهم على يد خالد بن عبدالله القسري[2] الذي قتله يوم عيدالأضحى بعد أن خطب الناس خطبة العيد ثم قال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ

(١) الجعد بن درهم: من موالي بني مروان سكن دمشق، وكان يتردد على وهب بن منبه يسأله عن الصفات مشككاً ثم خرج على الناس ببدعة خلق القرآن، ونفي صفات الرحمن وأنكر أن يكون الله قد كلم موسى تكليماً، أو اتخذ إبراهيم خليلاً، وقد قبض عليه خالد القسري وقتله يوم العيد عام ١١٤هـ.
الكامل لابن الأثير (٤/ ٢٥٥).

(٢) خالد بن عبدالله القسري: أحد خطباء العرب وكرمائهم كان والياً لبني أمية في عدة بلدان، ضحى بالجعد بن درهم يوم الأضحى وكان يرمى بالزندقة والميل إلى دين النصارى لأن أمه نصرانية، سجنه يوسف بن عمر الثقفي ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد.
شذرات الذهب (١/ ١٧٠).

إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه في أصل المنبر وذلك سنة ١١٤هـ»[١].

وقد أخذ الجعد بن درهم هذه البدعة عن رجل يقال له بيان بن سمعان[٢] الذي تلقاها عن طالوت[٣] ابن أخت لبيد بن الأعصم[٤] اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ثم تقلّد هذا المذهب بشر بن غياث المريسي المتكلم شيخ المعتزلة وأحمد بن أبي داؤد[٥] وعندها أخذت هذه البدعة على أيديهما بعداً سياسياً حيث استطاعا إقناع الخليفة العباسي المأمون[٦] الذي كان قد تشبع بأفكار المعتزلة فتبنى هذا القول

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (٣٢٨).

(٢) بيان بن سمعان النهدي: من بني تميم ظهر بالعراق وقال بإلهية علي ثم من بعده ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ثم من بعده في بيان هذا وكتب بهذا كتاباً إلى أبي جعفر الباقر ويخبره بأنه نبي وقد قتله خالد القسري.
انظر: الملل والنحل (١/ ٢٠٣).

(٣) طالوت: زنديق ينادي بزندقته، أخذ عن خاله لبيد بن الأعصم القول بخلق التوراة ثم زعم أن القرآن مخلوق، وتلقى بيان بن سمعان عنه ذلك وعلمه الجعد بن درهم الذي نقله إلى الجهم بن صفوان ثم إلى بشر المريسي.
الكامل لابن الأثير (٥/ ٣٩٤).

(٤) لبيد بن الأعصم: اليهودي اللعين الذي سحر النبي ﷺ كان يقول بخلق التوارة وقد ألقى هذا إلى ابن أخيه طالوت. الكامل (٥/ ٢٩٤).

(٥) أحمد بن أبي دؤاد: رأس المعتزلة وعدو إمام السنة أحمد بن حنبل وداعية القول بخلق القرآن له كرم وسخاء وأدب ومكارم لكنه أطفأ ذلك ببدعته وتأليبه على قتل الإمام أحمد، مات منكوباً في عهد المتوكل.
سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩).

(٦) الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، وقرأ العلم والأدب والفلسفة وفتن الناس ببدعة خلق القرآن وكانت له محاسن في حكمه وسياسته.
سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٢).

أعني القول بخلق القرآن وحمل الناس على القول به وخاض معركة شرسة ضد أئمة السنة لإجبارهم على القول بخلق القرآن وتعرضوا للأذى الشديد والمحن القاسية من الحبس والضرب والقتل بما لم يحدث له مثيل في تاريخ الأمة الإسلامية وماكان هذا ليحدث لو أن علماء أهل السنة والجماعة كانوا هم السابقين إلى قلب الخليفة بإقناعه بالحق وحمله على الوقوف في وجه هذه البدعة المنكرة ومحاربتها والقضاء على القائلين بها كما حصل للجعد بن درهم والجهم بن صفوان ولكن ذكاء بشر المريسي وابن أبي دؤاد وقيامهما باستمالة قلب الخليفة المأمون واستغلال سلطته في نشر هذا المذهب الباطل وحمل الناس عليه بالقوة أدَّى إلى ما حدث من بلاء على الأمة وعلمائها ولعل في هذه الحادثة ما يدعو إلى العظة والاعتبار من قبل العاملين للدعوة في هذا العصر وفي كل زمان فيعملوا على مد جسور التواصل والتواصي مع ولاة الأمر والحكام وإزالة الجفوة المفتعلة التي يفتعلها أعداء هذا الدين؛ لأن الداعية الإيجابي من يَقْدِر على جعل السلطان نصيراً له لا ظهيراً عليه، واستثارة الحكام واكتساب عداوتهم أمر سلبي جرَّ على الدعوات كثيراً من الويلات والمصائب كان بالإمكان تلافيها لو أن الدعاة أحسنوا التعامل مع الحكام بعدم إثارتهم واستقطاب عداوتهم وعملوا على التلطف معهم والدعاء والنصح والتوجيه لهم لأن في معاونة الحاكم للدعاة حماية للدعوة وتحقيقاً لكثير من المصالح، ولعل أقرب مثال على صحة ذلك ما وفق إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١] رحمه الله من

(١) محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الإصلاحية في جزيرة العرب، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ورحل إلى الحجاز والعراق والشام في طلب العلم، وقد دعا إلى العودة إلى منهج السلف الصالح وتجريد التوحيد الخالص=

التعامل السديد مع الحاكم في زمنه وهو الإمام محمد بن سعود[١] الذي تدرج في هدايته وتلطف في دعوته حتى كان في استجابته للدعوة من العون والتأييد والنصر والتمكين لهذا الدين ما سعدت به قلوب المؤمنين وقرَّت به أعين الموحدين منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا فقد أثمرت دعوته ثمارها وأعادت للملة والعقيدة صفاءها وخلوصها وأزالت عنها أوضار الشرك وضلالات البدعة والخرافة وانتشرت هذه الدعوة الإصلاحية حتى عمَّت جميع أرجاء الأرض خصوصاً بعد تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقيامها باستقبال الآلاف من طلبة العلم من جميع الديار ثم تعلمهم للعقيدة الصحيحة وعودتهم إلى بلادهم وأوطانهم دعاة للحق وهداة إلى السنة. أما الابتعاد عن الحاكم وترك المجال خالياً لأهل السوء للوصول إليه وكسب محبته فإن ذلك يولِّد الضغائن ويؤدي إلى سوء الظنون ويجر إلى المحن والمصائب مثل ما وقع من الخليفة المأمون»[٢].

= وترك البدع والخرافات. عرض دعوته على الأمير محمد بن سعود فقبلها، ونصره وآزره حتى مكَّن الله له في الأرض وارتفعت راية التوحيد. مات رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وغيرها.
الأعلام للزركلي (٦/ ٢٥٧).

(١) محمد بن سعود بن محمد بن مرخان: أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، كان مقامه في الدرعية، وقد ولي الإمارة بعد أبيه وحسنت سيرته وقويت شوكته، وقد وفد عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب عارضاً عليه مناصرته فتعاهدا على أن يكون حارساً للدين وناصراً للسنة، وأن يستمر ابن عبدالوهاب على الجهر بالدعوة. توفي بالدرعية عام١١٧٩هـ. الأعلام للزركلي (٦/ ١٣٨).

(٢) انظر المزيد من أخبار محنة القول بخلق القرآن في البداية والنهاية (١٠/ ٢٩، ٢٨٤) لابن كثير.

عقيدة الشيخ عبدالقادر الجيلاني حول القرآن الكريم

لقد قرَّر الشيخ عبدالقادر الجيلاني عقيدته في هذه المسألة الهامة من مسائل العقيدة ببيان أن القرآن الكريم كلام الله المنزل على رسوله ﷺ حيث يقول:

«ونعتقد أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله ﷺ كما قال عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[1]. هو الذي بلغه رسول الله ﷺ أمته امتثالاً لأمر رب العالمين يقول تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾[2]»[3].

وفي وصاياه التي كان يوجهها لطلابه كان يؤكد على وجوب التأدب مع كتاب الله بعدم القول بخلقه فيقول:

«احترموا كتاب الله وتأدبوا معه هو الوصلة بينكم وبين الله لا تجعلوه مخلوقاً يقول الله عز وجل هذا كلامي، وتقولون أنتم لا؛ من رد على الله وجعل القرآن مخلوقاً فقد كفر بالله وبرىء منه. هذا القرآن المتلو هذا المقروء هذا المسموع هذا المنظور هذا المكتوب في المصاحف كلامه عز وجل»[4].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ـ١٩٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) الغنية للجيلاني (١/ ٥٨).

(٤) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الحادي عشر ص(٤١).

وهو بهذا يتفق مع علماء أهل السنة والجماعة في القول بأن القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهذه بعض أقوالهم:

أولاً: ذكر من قال ذلك من الصحابة:

لما كانت مسألة القول بخلق القرآن من المسائل التي وقعت بعد انقراض الصحابة رضوان الله عليهم، فإن الآثار التي رويت عنهم قليلة جدًّا وهذا القليل مشكوك في صحته من ذلك ما روى عن عمرو بن دينار(١) أنه قال: «أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر»(٢).

ثانياً ذكر إجماع التابعين :

١ـ عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: «أدركت مشائخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود»(٣).

٢ـ وعن عبدالله بن المبارك قال: سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثاً بتة قلت ولم ذلك؟ قال: لأن امرأته مسلمة ومسلمة لا تكون تحت كافر قلت أنا ـ أي

---

(١) عمرو بن دينار: الإمام الكبير الحافظ أبومحمد الجمحي أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه ولد سنة ٤٦هـ، وسمع من بعض الصحابة. قال عنه ابن عيينة: عمرو ثقة ثقة ثقة. وقال شعبة: ما رأيت في الحديث أثبت من عمرو بن دينار. وقال عنه النسائي: عمرو ثقة ثبت.
سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢٥٣ـ٢٥٩)، وتعليق المحقق.

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص(١١٧).

اللالكائي ـ فقد لقى عبدالله بن المبارك جماعة من التابعين مثل سليمان التيمي[١] وحميد الطويل[٢] وغيرهما وليس الاسم في وقته أكثر رحلة منه وأكثر طلباً للعلم وأجمعهم له وأجودهم معرفة به وأحسنهم سيرة وأرضاهم طريقه مثله ولعله يروي عن ألف شيخ من التابعين فأي إجماع أقوى من هذا»[٣].

ثالثاً ذكر كلام بعض أئمة الفقهاء المشهورين :

١ـ الإمام أبوحنيفة، كان موقفه من هذه الفتنة هو موقف السلف من علماء أهل السنة والجماعة ولم يثبت بطريق صحيح أنه قال بغير ما قاله علماء أهل السنة وماذكره الإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة من نقولات لم تثبت. بل الثابت خلاف ذلك فقد ذكر البيهقي عن محمد بن أبي أيوب[٤] قال: سألت أبايوسف فقلت أكان أبوحنيفة يقول: القرآن مخلوق قال: معاذ الله ولا أنا أقوله فقلت: أكان يرى رأي جهم فقال: معاذ الله ولا أنا أقوله ثم قال رواته ثقات»[٥]. أما هذا الاتهام الباطل فينفيه الإمام أحمد بن حنبل فيما

(١) سليمان بن قته التيمي المقرىء: من فحول الشعراء عرض ختمة على ابن عباس وسمع من بعض الصحابة، وقد وثقه ابن معين، وقته هي أمه.
سير أعلام النبلاء (٤/٥٩٦).

(٢) حميد بن أبي حميد الطويل الإمام الحافظ أبوعبيدة البصري، ولد سنة ٦٨هـ، كان قصير القامة طويل اليدين مات رحمه الله وهو يصلي سنة ١٤٣هـ.
سير أعلام النبلاء (٦/١٦٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي برقم (٤٠٥).

(٤) لم أجده في مشايخ البيهقي، وإنما وجدت محمد بن أيوب بن ضُريس المحدث الثقة. ولد عام ٢٠٠هـ ومات سنة ٢٩٤هـ. سير أعلام النبلاء ١٣/٤٤٩.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٥١).

يرويه أبوبكر المروزي قال: سمعت أباعبدالله أحمد بن حنبل يقول: لم يصح عندنا أن أباحنيفة كان يقول القرآن مخلوق»[1].

٢ـ قول الإمام مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي أويس[2]، قال: «سمعت خالي مالك بن أنس وجماعة العلماء بالمدينة فذكروا القرآن فقالوا كلام الله وهو منه وليس من الله شيء مخلوق»[3].

٣ـ قول الإمام الشافعي وعن الربيع بن سليمان[4] قال: سمعت الشافعي يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»[5].

٤ـ قول الإمام أحمد بن حنبل روى عنه ابنه عبدالله قوله: «من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر؛ لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله»[6].

ويروى عنه قوله وقد سئل عن القرآن فقال: «كلام الله عز وجل وليس بمخلوق»[7].

وموقف الإمام أحمد بن حنبل من فتنة خلق القرآن موقف عظيم لا أجد كلاماً أفضل مما سطَّره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٨٤).

(٢) إسماعيل بن أبي أويس الإمام الحافظ الصدوق، قرأ القرآن على نافع وكان عالم أهل المدينة ومحدثهم، وثَّقه أحمد وضعفه غيره مات سنة ٢٢٦هـ.
سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩١).

(٣) الشريعة للآجري ص(٧٩).

(٤) الربيع بن سليمان الأزدي سمع من ابن وهب ومن الشافعي، وروى عنه أبوداود والنسائي والطحاوي وآخرون، مات سنة ٢٥٦هـ.
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩١).

(٥) الشريعة للآجري (٨٢).

(٦) كتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد(١/ ١٠٢). تحقيق محمد سعيد القحطاني، برقم ١

(٧) طبقات الحنابلة (١/ ١٨٩).

يقول: «إن الإمام أحمد صار مثلاً سائراً يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق وأنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كل أحد فيقال: الإمام أحمد وهذا مذهب الإمام أحمد لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(١)] فإنه أعطى من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلاَّ الله فبعضهم بالحبس وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وغيره، وبالترغيب في الرياسة والمال ما شاء الله، وبالضرب، وبعضهم بالتشريد والنفي، وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض حتى أصحابه العلماء والصالحون والأبرار وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ولا استعمل التقية بل قد أظهر من سنة رسول الله ﷺ وآثاره ودفع من البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت مثله لعالم من نظرائه وإخوانه المتقدمين والمتأخرين»[(٢)].

٥ـ أوضح الإمام الآجري أن القول بأن القرآن هو كلام الله المنزل غير مخلوق هو قول المسلمين الذين وفقوا للرشاد، فيقول: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق ووفقوا للرشاد قديماً وحديثاً أن القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق لأن القرآن من علم الله تعالى وعلم الله عز وجل لا يكون مخلوقاً تعالى الله عز وجل عن ذلك. دل على ذلك القرآن والسنة

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٤٣٩).

وقول الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقول أئمة المسلمين رحمة الله تعالى عليهم لا ينكر هذا إلاَّ جهمي خبيث»[١].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة على عقيدتهم بأن القرآن الكريم كلام الله المنزل غير مخلوق بأدلة كثيرة اكتفى بإيراد بعضها مما ذكره الإمام أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري[٢]. في كتابه الإبانة حيث يقول:

«إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق قيل له. الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[٣] وأمر الله هو كلامه وقوله فلما أمرهم بالقيام فقامتا لا تهويان كان قيامهما بأمره وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[٤] فالخلق جميع ما

---

(١) الشريعة للآجري (٧٥).

(٢) علي بن إسماعيل الأشعري: العلامة أبوالحسن علي بن إسماعيل من نسل الصحابي الجليل أبوموسى الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، نشأ في أكناف المعتزلة فقد تربى في حجر زوج أمه أبوعلي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وتعلم عليه ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه وصعد للناس وتاب إلى الله تعالى منه ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عوارهم وقد أعلن توبته من مذهب المعتزلة على منبر البصرة، فقد صعد المنبر وقال: إني كنت أقول بخلق القرآن، وإن الله لا يرى بالأبصار وأن الشر فعلي ليس بقدر وإني تائب. وقد أبان رحمه الله عقيدته التي يدين الله بها في كتاب سماه الإبانة عن أصول الديانة قرر فيه أن مذهبه ومعتقده هو مذهب أهل السنة والجماعة يقول قولنا الذي نقول به ديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون.
انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٨٥ـ٨٩). والإبانة للأشعري ص(٨).

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عاماً فحقيقته أنه عامٌ ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كان هذا في جميع الخلق ولما قال والأمر ذكر أمراً غير جميع الخلق فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق».

ثم قال ـ رحمه الله ـ: «ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(١)] فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب مقولاً له كن فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول كن لكان للقول قولاً وهذا يوجب أحد أمرين:

١ـ إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

٢ـ أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية وهو ما يسمى بالدور والتسلسل وذلك محال وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق».

كما استدل ـ رحمه الله ـ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[(٢)]. «فلو كانت البحار مداداً كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلماً لأنه لو لم يكن متكلماً لوجب عليه السكوت والآفات تعالى ربنا عن قول الجهمية علواً كبيراً»[(٣)].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٣) الإبانة لأبي الحسن الأشعري (٧٢) وما بعدها.

وليس المراد هنا هو الاستقصاء والتوسع في إيراد الحجج الدامغة والبراهين الساطعة التي أطلقها علماء أهل السنة والجماعة لإبطال ضلالات ومقولات المبتدعة في هذه المسألة؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخروج عن موضوع الرسالة والبحث وإنما الهدف هو إثبات موافقة اعتقاد الشيخ عبدالقادر الجيلاني لما عليه سلف هذه الأمة.

حكم من قال بخلق القرآن

لم يتردد الشيخ عبدالقادر الجيلاني في إطلاق الكفر على من زعم أن القرآن مخلوق وأن جميع الأحكام المتعلقة بالكافر تنطبق عليه حيث يقول:

«فمن زعم أنه مخلوق أو عبارته أو التلاوة غير المتلو أو قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا يخالط ولا يؤاكل ولا يناكح ولا يجاور بل يهجر ويهان ولا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا تصح ولايته في نكاح وليه، ولا يصلى عليه إذا مات، فإن ظفر به استتيب ثلاثاً كالمرتد فإن تاب وإلاَّ قُتل»(١)

وقد اشتمل كلامه ـ رحمه الله ـ على ثلاث قضايا:

الأولى: الحكم على القائل بخلق القرآن بأنه كافر بالله العظيم.

الثانية: الاستتابة فإن تاب وإلاَّ قُتل.

الثالثة: معاملته معاملة المرتد بهجره وعدم الصلاة خلفه وعدم قبول شهادته أو صحة ولايته.

وهذا يعني أن القائل بخلق القرآن كافر كفراً مخرجاً من الملة.

وهذا الموقف من الشيخ عبدالقادر الجيلاني قد ورد عن جماعة من علماء أهل السنة والجماعة منهم:

١ـ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فعن يحيى بن خلف المقري(٢)

---

(١) الغنية للجيلاني (١/٥٨).

(٢) لم أجد له ترجمة.

قال: «كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين ومائة، فأتاه رجلٌ فقال: ياأبا عبدالله ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال مالك بن أنس: أقتلوه كافر. فقال: ياأبا عبدالله إني لم أقله إنما قلت لك قال إنسان! قال مالك: إنما سمعته منك»[1].

٢ـ قال سفيان بن عيينة ـ وكان عنده مجموعة من العلماء ـ فتشوّش الناس فقال ابن عيينة: ما هذا؟ قالوا: قدم بشر المريسي. قال: ما يقول؟ قالوا: يقول القرآن مخلوق. قال: جيئوني بشاهدين حتى آمر الوالي بضرب عنقه[2].

٣ـ قال عبدالرحمن بن مهدي[3]: «لوددت أن أقوم على رأس الجسر فلا يمر أحد إلاَّ سألته فإن قال القرآن مخلوق ضربت عنقه وألقيته في الماء»[4].

ولكن جمهور العلماء على القول بتكفيرهم تكفيراً مطلقاً حيث أورد اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة أسماء أكثر من خمسمائة وخمسين شخصاً من علماء السلف كلهم قالوا بكفر من قال بخلق القرآن وقد اتفقوا على عبارة واحدة تقريباً وهي: من قال بخلق القرآن فهو كافر[5].

---

(١) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٢٤٧).
(٢) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٥٠١).
(٣) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العبيري أبوسعيد البصري، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال وبالحديث قال عنه ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. مات سنة ٩٨هـ، وعمره ٧٣ سنة. تقريب التهذيب ٣٥١.
(٤) انظر الشريعة للآجري (٧٩).
(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٠٠ـ٣٤٤).

ونظراً لخطورة إطلاق الكفر دون مراعاة للضوابط والقواعد الشرعية التي توضح نوعية الكفر وهل هو مخرج من الملة أم لا، ولأن الجزم بتكفير المعين وإخراجه من دائرة الإسلام فيه خطورة عظيمة، لما يترتب عليه من الآثار والأحكام الشرعية كتحريم زوجته عليه، وعدم حل ذبيحته، وعدم جواز تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وعدم جواز الاستغفار له بعد موته، ولأنه قد ورد الوعيد الشديد لمن أطلق كلمة الكفر على مسلم، ففي الحديث المتفق عليه: «**من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما**»[١].

وبما أن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي ينبغي التحرز فيها إذ ليس كل من قال العلماء بتكفيره يكون كافراً إلاَّ إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين وانتفت الموانع التي تمنع من استحقاقه لذلك الحكم.

والإنسان قد يقول الكفر أو يعمله باجتهادٍ منه يظنه حقًّا ويكون بذلك مخطئاً ولا يكفر لأن الحقيقة لم تتضح له.

وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هذه المسألة تحريراً دقيقاً يقتضي المقام إيراده بكامله لبيان موقف الشيخ عبدالقادر ومن وافقه من السلف الذي يفهم منه الحكم بالردة على من قال بخلق القرآن ليعرف مراد السلف بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٠٣)، ومسلم رقم (٦٠).

وهم المعطلة لصفات الرحمن فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب وحقيقة قولهم جحود الصانع ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله، ولهذا قال عبدالله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية. وقال غير واحد من الأئمة: أنهم أكفر من اليهود والنصارى. يعنون من هذه الجهة، ولهذا كفروا من يقول إن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وأن الله ليس على العرش ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته.

وأما المرجئة فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء، ولهذا يسمى الكلام في مسائلهم «باب الأسماء» وهذا من نزاع الفقهاء، ولكن يتعلق بأصل الدين فكان المنازع فيه مبتدعاً.

وكذلك الشيعة المفضلون لعلي على أبي بكر لا يختلف قوله أنهم لا يكفرون فإن قال ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضاً وإن كانوا يبدعون.

وأما القدرية المقرون بالعلم والروافض الذي ليسوا من الغالية والجهمية والخوارج فيذكر عنه في تكفيرهم روايتان هذا حقيقة قوله المطلق مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم والخوارج مع قوله: ما أعلم قوماً شراً من الخوارج.

ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه في تكفير أهل البدع مطلقاً روايتين حتى يجعلوا المرجئة داخلين في ذلك وليس الأمر كذلك وعنه في تكفير من لا يكفِّر روايتان أصحهما أنه لا يكفر وربما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لا يكفَّر مطلقاً وهو خطأ محض.

والجهمية عند كثير من السلف مثل عبدالله بن المبارك ويوسف بن أسباط[١]، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة التي افترقت عليها هذه الأمة. بل أصول هذه عند هؤلاء هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية»[٢] وهذا هو المأثور عن أحمد وهو المأثور عن عامة أئمة السنة والحديث أنهم كانوا يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ونحو ذلك.

ثم حكى أبونصر السجزي[٣] عنهم في هذا قولين:

---

(١) يوسف بن أسباط: الإمام العابد الزاهد كان أبوه قدرياً وأخواله من الروافض، فأنقذه الله منهم بسفيان الثوري، وثّقه ابن معين، وضعفه أبوحاتم والبخاري، مات سنة ١٩٥هـ. له حكم ومواعظ منها قوله وقد سئل عن التواضع؟ قال: ألاّ تلقى أحداً إلاّ رأيت له الفضل عليك. سير أعلام النبلاء ٩/١٦٩.

(٢) قال عبدالله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنتان وسبعون هوى: القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج، فمن قدم أبابكر وعمر وعثمان وعلياً على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلاّ بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره. ومن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره. ومن قال الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره. ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقدخرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة.
شرح السنة للإمام البربهاري رقم(١٢٢).

(٣) أبونصر السجزي هو الحافظ عبدالله بن سعيد بن حاتم البكري نزيل مصر، كان متقناً بصيراً بالحديث والسنة واسع الرواية سمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر وتوفي بمكة سنة ٤٤٤هـ.

أحدهما: أنه كفر ينقل من الملة. قال: وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنه كفر لا ينقل ولذلك قال الخطابي: إن هذا قالوه على سبيل التغليظ. وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا في تخليد المكفر من هؤلاء فأطلق أكثرهم عليه التخليد كما نقل ذلك عن طائفة من متقدمي علماء الحديث كأبي حاتم[١] وأبي زرعة[٢] وغيرهم وامتنع بعضهم عن القول بالتخليد.

وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافراً فيتعارض عندهم الدليلان وحقيقة الأمر أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله. ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلاَّ إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم

= شذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(١) أبوحاتم محمد بن إدريس بن المنذر الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين كان من بحور العلم طاف البلاد وبرع في المتن والإسناد وجمع وصنَّف وجرح وعدَّل وصحّح وعللَّ، ولد سنة ١٩٥هـ وهو من نظراء البخاري ومن طبقته.
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧).

(٢) أبوزرعة عبدالرحمن بن عمرو الدمشقي، محدث الشام الإمام الصادق جمع وصنف وذاكر الحفاظ وتميز وتقدم على أقرانه لمعرفته وعلو سنده قال عنه ابن أبي حاتم كان ثقة صدوقاً مات سنة ٢٨١هـ.
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١١).

يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه.

فإن الإمام أحمد مثلاً قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ونفي الصفات وامتحنوه وسائر علماء وقته وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاء وغيرهم يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقاً لهم على نفي الصفات مثل القول بخلق القرآن ويحكمون فيهم بحكمهم في الكافر فلا يولونه ولاية، ولا يفتكُّونه من عدو، ولا يعطونه شيئاً من بيت المال، ولا يقبلون له شهادة ولا فتيا، ولا رواية. ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة والافتكاك من الأسر وغير ذلك فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان ومن لم يقر به لم يحكموا بحكم أهل الإيمان. ومن كان داعياً إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه.

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها وإثابة لقائلها وعقوبة تاركها، أعظم من مجرد الدعاء إليها والعقوبة بالقتل لقائها أعظم من العقوبة بالضرب.

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن له ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة. وقد نقل عن أحمد مايدل على أنه كفَّر به قوماً معينين فأما أن يذكر عنه في

المسألة روايتان ففيه نظر أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال: من كفر بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه، ومن لم يكفره بعينه فلإنتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم.

والدليل على هذا الأصل الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار.

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[2].

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن الله تعالى قال: قد فعلت لما دعا النبي ﷺ والمؤمنون بهذا الدعاء**»[3] وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أُعطيت الفاتحة وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وأنه لم يقرأ بحرف منها إلاَّ أعطيه**»[4].

وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان فهذا عام عموماً محفوظاً، وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئاً على خطئه وإن عذب المخطىء من

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) رواه مسلم رقم (١٢٦).
(٤) لم أجده في البخاري كما أشار ـ رحمه الله ـ ولكني وجدت في صحيح مسلم حديثاً هذا نصه: «عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلاَّ اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلاَّ اليوم فسلم وقال: ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلاَّ أعطيته» صحيح مسلم رقم (٨٠٦).

غير هذه الأمة.

وأيضاً قد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إن رجلاً لم يعمل خيراً قط فقال لأهله إذا مات فأحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه فإذا هو قائم بين يديه ثم قال: لم فعلت هذا قال: من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله له»**[1].

وهذا الحديث متواتر عن النبي ﷺ رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد وحذيفة وعقبة بن عمرو وغيرهم عن النبي ﷺ من وجوه متعددة يعلم أهل الحديث أنها تفيدهم العلم اليقيني، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم، ممن لم يشركهم في أسباب العلم، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم بعدما أحرق وذري وعل أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك وهذان أصلان عظيمان:

أحدهما: متعلق بالله تعالى وهو الإيمان بأنه على كل شيء قدير.

والثاني: متعلق باليوم الآخر وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت وقد عمل عملاً صالحاً، هو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح.

وأيضاً فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: **«أن الله يخرج من النار**

---

(١) رواه مسلم ح (٢٧٥٦).

من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان» وفي رواية: «مثقال دينار من خير ثم يخرج من النارمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان». وفي رواية: «من خير ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو خير»[١] وهذا وأمثاله من النصوص المستفيضة عن النبي ﷺ يدل على أنه لا يخلد في النار من معه شيء من الإيمان والخير وإن كان قليلاً وإن الإيمان مما يتعبض ويتجزأ ومعلوم قطعاً أن كثيراً من هؤلاء المخطئين معهم مقدار ما من الإيمان بالله ورسوله، إذ الكلام فيمن يكون كذلك.

وأيضاً فإن السلف أخطأ كثير منهم في كثير من هذه المسائل واتفقوا على عدم التكفير بذلك مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام معروف وكذلك لبعضهم في قتال بعض ولعن بعض وإطلاق تكفير بعض أقوال معروفة.

وكان القاضي شريح[٢] ينكر قراءة من قرأ: ﴿بل عجبت﴾ ويقول إن الله لا يعجب فبلغ ذلك إبراهيم النخعي[٣] فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه كان عبدالله أفقه منه فكان يقول: ﴿بل عجبت﴾ فهذا قد أنكر قراءة ثابتة. وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة، واتفقت الأمة

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٤١٠).

(٢) القاضي شريح بن الحارث بن قيس الكندي قاضي الكوفة قيل له صحبة ولم يصح بل هو ممن أسلم في حياة النبي ﷺ وقدم من اليمن في زمن الصديق وولاه عمر قضاء الكوفة وله نوادر في شئون القضاء مات سنة ٨٠هـ.
سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٠).

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٢.

على أنه إمام من الأئمة، وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن مثل إنكار بعضهم قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾(١) وقال: إنما هي أولم يتبين الذين آمنوا وإنكار الآخر قراءة قوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(٢) وقال: إنما هي ووصى ربك، وبعضهم حذف المعوذتين وآخر يكتب سورة القنوت وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل والتواتر، ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر.

وأيضاً فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحداً إلاّ بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلاّ على إنكار ماقامت عليه الحجة الرسالية.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾(٥) وقوله تعالى:

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾(٤) وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٦) ونحو هذا في القرآن في مواضع متعددة.

فمن كان قد آمن بالله ورسوله ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول فلم يؤمن به تفصيلاً إما أنه لم يسمعه أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به، فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله ورسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها.

وأيضاً فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفه بل ولا يفسق بل ولا يأثم مثل الخطأ في الفروع

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٩.
(٤) سورة الملك، الآية: ٨-٩.
(٥) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٦) سورة القصص، الآية: ٤٧.

العملية، وإن كان بعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن المخطىء فيها آثم وبعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن كل مجتهد فيها مصيب فهذان القولان شاذان ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين فيها ومع ذلك فبعض هذه المسائل قد ثبت خطأ المنازع فيها بالنصوص والإجماع القديم مثل استحلال بعض السلف والخلف لبعض أنواع الربا واستحلال آخرين لبعض أنواع الخمر واستحلال آخرين للقتال في الفتنة.

وأهل السنة والجماعة متفقون على أن المعروفين بالخير كالصحابة المعروفين وغيرهم من أهل الجمل وصفين من الجانبين لا يفسق أحد منهم فضلاً عن أن يكفر حتى عدَّى ذلك من عدَّاه من الفقهاء إلى سائر أهل البغي فإنهم مع إيجابهم لقتالهم منعوا أن يحكم بفسقهم لأجل التأويل كما يقول هؤلاء الأئمة: إن شارب النبيذ المتنازع فيه متأولاً لا يجلد ولا يفسق، وقد قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾[2].

وثبت في الصحاح من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[3] وثبت في الصحيح عن بريدة بن الحصيب أن النبي

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨، ٧٩.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٥.
(٣) رواه البخاري رقم (٧٣٥٢)، ومسلم رقم (١٧١٦).

ﷺ قال: «**إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك وحكم أصحابك فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم**»[(١)] وأدلة هذا الأصل كثيرة لها موضع آخر.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة؛ ولأن العذر بالخطأ حكم شرعي فكما أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر والواجبات تنقسم إلى أركان وواجبات ليست أركاناً، فكذلك الخطأ ينقسم إلى مغفور وغير مغفور والنصوص إنما أوجبت رفع المؤاخذة بالخطأ لهذه الأمة وإذا كان كذلك فالمخطىء في بعض هذه المسائل إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة أصول الإيمان، وإما أن يلحق بالمخطئين في مسائل الإيجاب والتحريم مع أنها أيضاً من أصول الإيمان.

فإن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق مع أن المجتهد في بعضها ليس بكافر بالاتفاق مع خطئه.

وإذا كان لابد من إلحاقه بأحد الصنفين فمعلوم أن المخطئين من المؤمنين بالله ورسوله أشد شبهاً منه بالمشركين من أهل الكتاب فوجب أن يلحق بهم وعلى هذا مضى عمل الأمة قديماً وحديثاً في أن عامة المخطئين من هؤلاء تجري عليهم أحكام الإسلام التي تجري على غيرهم، هذا مع العلم بأن كثيراً من المبتدعين منافقون النفاق الأكبر

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٣١).

وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون بل أصل هذه البدع هو من المنافقين الزنادقة، ممن يكون أصل زندقته عن الصابئين والمشركين فهؤلاء كفار في الباطن ومن علم حاله فهو كافر في الظاهر أيضاً.

وأصل ضلال هؤلاء الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة وابتغاء الهدى في خلاف ذلك. فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه مثل من يرى أن الرسالة للعامة دون الخاصة كما يقوله قوم من المتفلسفة وغالية المتكلمة والمتصوفة أو يرى أنه رسول إلى بعض الناس دون بعض كما يقوله كثير من اليهود والنصارى فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين:

أحدهما: أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق فنفي الصفات كفر والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه أو أنه كلم موسى أو أنه اتخذ إبراهيم خليلاً كفر وكذلك ما كان في معنى ذلك وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث.

والأصل الثاني: أن التكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه. وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار فهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه.

ومما ينبغي أن يعلم في هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص في الدنيا إما بقتل أوجلد أو غير ذلك ويكون في الآخرة غير معذب مثل قتال البغاة المتأولين مع بقائهم على العدالة ومثل

إقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة، فإنا نقيم الحد عليه مع ذلك كما أقامه النبي ﷺ على ماعز بن مالك وعلى الغامدية، مع قوله: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»[1]، ومثل إقامة الحد على من شرب النبيذ المتنازع فيه متأولاً[2] مع العلم بأنه باقٍ على العدالة، بخلاف من لا تأويل له فإنه لما شرب الخمر بعض الصحابة واعتقدوا أنها تحل للخاصة تأول قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[3] «اتفق الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا»[4].

وكذلك نعلم أن خلقاً لايعاقبون في الدنيا مع إنهم كفار في الآخرة مثل أهل الذمة المقرين بالجزية على كفرهم، ومثل المنافقين المظهرين الإسلام فإنهم تجري عليهم أحكام الإسلام وهم في الآخرة كافرون، كما دل عليه القرآن في آيات متعددة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ

(١) رواه مسلم رقم (١٦٩٥).
(٢) انظر: المغني لابن قدامة (٨/ ٣١٧، ١٠(٣٤١).
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٣.
(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٧٤).
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ (١) وهذا لأن الجزاء في الحقيقة إنما هو في الدار الآخرة التي هي دار الثواب والعقاب وأما الدنيا فإنما يشرع فيها من العقاب ما يدفع به الظلم والعدوان كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ (٣). وهذا لأن المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب هو إقامة القسط كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (٤).

وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة، ولا بالعكس، ولهذا أكثر السلف يأمرون بقتل الداعي إلى البدعة الذي يضل الناس لأجل إفساده في الدين سواء قالوا هو كافرأو ليس بكافر.

وإذا عُرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الاقدام عليه، إلاَّ بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر.

وهذا الكلام في تكفير جميع المعينين مع أن بعض هذه البدعة أشد

(١) سورة الحديد، الآية: ١٣ـ١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٢.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل عنه ذلك بالشك، بل لا يزول إلاَّ بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[١].

وبهذا التحرير الدقيق المستنبط من نصوص الوحي وكلام السلف يتبين موقف المسلم من أعيان المخالفين وأنهم ليسوا كلهم على درجة واحدة. والله الموفق.

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٤٨٤ ـ ٥٠١).

المبحـــث الخامـــس

رؤيــة الله عــز وجــل

رؤية الله عزوجل في الآخرة من المسائل المهمة في العقيدة والتي تعددت فيها مذاهب الناس نفياً وإثباتاً.

وقد ذهب الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة في الدار الآخرة، حيث يقول:

[**وينظر أهل الجنة إلى وجهه ويرونه لا يضامون في رؤيته، قال** تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]] قيل الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[2][3].

وما يعتقده الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الرؤية وإثباتها هو اعتقاد السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم.

وهذه بعض أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في إثبات الرؤية:

---

(١) يونس: ٢٦.
(٢) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) الغنية ١/ ٥٥.

أولاً: من الصحابة:

١ ـ أبوبكر الصديق وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما اللذان قالا في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١] أن الحسنى الجنة، وأن الزيادة النظر إلى وجه الله[٢].

٢ ـ أبوموسى الأشعري[٣]، حيث قال في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٤] قال: النظر إلى وجه ربهم[٥].

ثانياً: من التابعين:

١ ـ الحسن البصري[٦]، الذي قال في قوله عزوجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[٧]، قال: الناضرة: الحسنة حسنها الله بالنظر إلى ربها عزوجل وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله[٨].

٢ ـ مجاهد بن جبر قال في قوله عزوجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

---

(١) سورة يونس: ٢٦.

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد، تحقيق محمد سعيد القحطاني رقم ٤٧١، ٤٧٣.

(٣) أبوموسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم المشهور باسمه وكنيته معاً، هاجر إلى الحبشة وقيل لم يهاجر استعمله النبي ﷺ على بعض اليمن كزبيد وعدن واستعمله على البصرة وافتتح الأهواز وأصبهان واستعمله عثمان على الكوفة وكان أحد الحكمين في صفين ثم اعتزل الفريقين/ الإصابة لابن حجر ٤/١١٩.

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) التوحيد لابن خزيمة ص١٨٤.

(٦) سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري ثقة فقيه زاهد فاضل كان يرسل كثيراً وكان من أفصح الناس وأجملهم مات سنة ١١٠هـ تقريب التهذيب ١/١٦٥.

(٧) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.

(٨) السنة لعبدالله بن أحمد، تحقيق: د/ محمد سعيد القحطاني برقم ٤٧٩.

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[١]، قال: ضاحكة إلى ربها ناظرة[٢].

٣ ـ عكرمـة[٣] في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، قال: تنظر إليه نظراً[٤].

ثالثاً: من أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة:

١ ـ الإمام مالك، الذي قال: الناس ينظرون إلى الله عزوجل يوم القيامة بأعينهم[٥].

٢ ـ الشافعي، جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[٦] قال الشافعي: فلما أن حجبوا هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا. قيل له: ياأباعبدالله وبه تقول، قال: نعم وبه أدين لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبدالله تعالى[٧].

٣ ـ الإمام أحمد، نقل عنه ابنه عبدالله أنه كان يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها[٨].

٤ ـ ذكر الإمام ابن قتيبة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة فقال: «إن

---

(١) القيامة ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد تحقيق: د/ محمد سعيد القحطاني، برقم ٤٨٠.

(٣) الإمام التابعي مولى بن عباس عكرمة بن عبدالله البربري ثم المدني أحد الأعلام المفسر الكبير كان كثير التنقل في الأقاليم وكان الأمراء يكرمونه ويصلونه مات سنة ١٠٧هـ/ البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٤٤.

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد، تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني برقم ٤٨١.

(٥) الشريعة للآجري ٢٥٤.

(٦) سورة المطففين ١٥.

(٧) الحجة في بيان المحجة ٢/٢٤٨.

(٨) السنة لعبدالله بن أحمد رقم ٤١١.

الله عزوجل احتجب عن جميع خلقه في الدنيا ويتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص فيراه المؤمنون كما يرون القمر ليلة البدر ولا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر... إلى أن قال رحمه الله.

والحديث الصحيح لا يجوز على مثله الكذب لتتابع الروايات عن الثقات به من وجوه كثيرة ولو كان يجوز أن يكون مثله كذباً جاز أن يكون كل ما نحن عليه من أمور ديننا في التشهد الذي لم نعلمه إلا بالخبر وفي صدقه النعم وزكاة النَّاضّ[1] من الأموال والطلاق والعتاق وأشباه ذلك من الأمور التي وصل إلينا علمها بالخبر ولم يأت لها بيان في الكتاب باطلاً.

ولم يقع التشبيه بها على كل حالات القمر في التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه بها على أننا ننظر إليه عزوجل كما ننظر إلى القمر ليلة البدر كما لا يختلف في القمر وقوله في الحديث «لا تضامون في رؤيته» دليل لأن التضام من الناس يكون في أول الشهر عند طلبهم الهلال فيجتمعون ويقول واحد: هو ذاك هو ذاك، ويقول آخر: ليس به وليس القمر، كذلك لأن كل واحد يراه بمكانه ولا يحتاج إلى أن ينضم إلى غيره لطلبه»[2].

٥ ـ عقد الإمام ابن خزيمة باباً بعنوان: [باب ذكر البيان أن رؤية الله يختص بها أولياؤه يوم القيامة] التي ذكر الله في قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[3] ثم قال: ويفضل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه من مشرك ومتهود

---

(١) أهل الحجاز يسمون الدراهم والدنانير النضّ والنَّاضّ/ مختار الصحاح ٢٧٧.

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) القيامة ٢٢ ـ ٢٣.

ومتنصر ومتحمس[١] ومنافق كما أعلم في قوله ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢] وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم جل ثناؤه بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيزيد الله المؤمنين كرامة وإحساناً إلى إحسانه تفضلاً منه وجوداً بإذنه إياهم النظر إليه ويحجب عن ذلك جميع أعدائه[٣].

٦ ـ افتتح الإمام الآجري كتاب التصديق بالنظر إلى وجه الله عزوجل بقوله: «الحمد لله على جميل إحسانه ودوام نعمه حمد من يعلم أن مولاه الكريم يحب الحمد فله الحمد على كل حال وصلى الله على محمد النبي الأمي وسلم وعلى آله أجمعين وحسبي الله ونعم الوكيل.

أما بعد: فإن الله جل ذكره وتقدست أسماؤه خلق خلقه كما أراد لما أراد فجعلهم شقياً وسعيداً.

فأما أهل الشقوة، فكفروا بالله العظيم وعبدوا غيره وعصوا رسله وجحدوا كتبه فأماتهم على ذلك فهم في قبورهم يعذبون وفي القيامة عن النظر إلى الله محجوبون وإلى جهنم واردون وفي أنواع العذاب يتقلبون وللشياطين مقارنون وهم فيها خالدون.

وأما أهل السعادة، فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى فآمنوا

---

(١) قال صاحب اللسان: الحَمْسُ الضلال والهلكة والشر والحُمْسُ قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم والأحمس المتشدد على نفسه في الدين. لسان العرب لابن منظور ٦/٥٧ وابن خزيمة يعني بالمتحمس الإباضية من الخوارج الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة.

(٢) المطففين: ١٥.

(٣) التوحيد لابن خزيمة ١٨٠.

بالله وحده ولم يشركوا به شيئاً وصدَّقوا القول بالفعل فأماتهم على ذلك فهم في قبورهم ينعَّمون وعند المحشر يبشَّرون وفي الموقف إلى الله عزوجل بأعينهم ينظرون وإلى الجنة بعد ذلك وافدون وفي نعيمها يتفكَّهون وللحور العين معانقون والولدان لهم يخدمون وفي جوار مولاهم الكريم أبداً خالدون ولربهم عزوجل في داره زائرون وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذَّذون وله مكلِّمون وبالتحية لهم من الله عزوجل والسلام منه عليهم يكرمون ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فإن اعترض جاهل ممن لا علم معه أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يوفقوا للرشاد ولعب بهم الشيطان وحرموا التوفيق فقال: وهل المؤمنون يرون الله عزوجل يوم القيامة؟

قيل له: نعم والحمد لله على ذلك.

فإن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بهذا.

قيل له: كفرت بالله العظيم.

فإن قال: وما الحجة؟

قيل: لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول علماء المسلمين واتبعت غير سبيل المؤمنين وكنت ممن قال الله عزوجل فيهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[١] ثم ساق الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية[٢].

٧ ـ ينقل الإمام الصابوني شهادة أهل السنة على إثبات رؤية المؤمنين

(١) النساء: ١١٥.
(٢) الشريعة للآجري ٢٥١.

لربهم يوم القيامة فيقول:

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة بأبصارهم وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»(١)، والتشبيه في هذا الخبر وقع للرؤية لا للمرئي(٢).

وهكذا يتبين أن عقيدة سلف هذه الأمة في الرؤية الإثبات بأنها كائنة في الآخرة لأهل الإيمان بلا إحاطة ولا كيفية وتبين كذلك ما وردت به النصوص وما يجيزه العقل وبأن الله تجلى للجبل وهو جماد. فلا مانع أن يتجلى لعباده بالكيفية التي تليق بجلاله وكماله وأن الشيخ عبدالقادر الجيلاني يتفق مع ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري ح٧٤٣٤.
(٢) عقيدة السلف للصابوني ٦٣.

أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية الله عزوجل

استدل أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بالنقل والعقل.

أولاً: من النقل:

أ ـ استدلوا من الكتاب الكريم بعدة آيات منها:

١ ـ ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[1]

ووجه الاستدلال أن الرؤية لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لأنه إما أن يعلم امتناعها أو يجهله فإن علمه فالعاقل لا يطلب الممتنع وإن جهله فالجاهل يمتنع أن يكون نبياً كليماً وأيضاً فإن الله عزوجل لم ينكر على موسى عليه السلام طلب الرؤية ولم يقل له لا تجوز رؤيتي أو أنني لا أُرَى[2].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3]، ووجه الاستدلال أنه سبحانه لو لم تكن رؤيته ممكنة لما حصل التمدح بقوله ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[4] وهذا يفيد أنه

---

(١) الأعراف: ١٤٣.
(٢) حادي الأرواح لابن القيم ٢٢٣.
(٣) الأنعام: ١٠٣.
(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٣/ ١٢٥.

جائز الرؤية»[١] لأن المنفي إنما هو: الإدراك لا أصل الرؤية.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢] فقد فسر كثير من الصحابة والتابعين الحسنى بالجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، كما سبق بيانه.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣] وهذه أيضاً فسرها كثير من السلف كما تقدم بأنها ناظرة أي رائية رؤية بصرية»[٤].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٥] ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه جعل أعظم عقوبة للكفار حجبهم عن رؤيته.[٦]

ب ـ كما استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ومنها:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يارسول الله. قال: «**هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[٧].

٢ ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم**

(١) يونس: ٢٦.
(٢) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص١٢.
(٤) المطففين: ١٥.
(٥) انظر: حادي الأرواح للألوسي ٧٣/٣٠ وحادي الأرواح لابن القيم ص٢٦٥.
(٦) روح المعاني.
(٧) رواه البخاري ح٤٧٣٧ ومسلم ح١٨٢.

عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا»[(١)].

٣ ـ حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عزوجل تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا أم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل»[(٢)].

وأوجه الاستدلال في هذه الأحاديث جلية وظاهرة ولا تحتاج إلى إيضاح.

ثانياً: من جهة العقل:

أما استدلالهم على إثبات الرؤية من جهة العقل فبالرغم من أن أكثر العلماء قد ذهب إلى وجوب الاستدلال على إمكان رؤية الله بالأدلة النقلية فقط لأن الله عزوجل أخبر عن نفسه بأنه يرى يوم القيامة وهو أعلم بما يجوز عليه تعالى وأخبر عنه رسوله ﷺ وهو أعرف الخلق بربه تعالى وأعلمهم بما يجوز عليه تعالى وما يمتنع إلا أن موافقة الدليل العقلي لما ثبت بالنقل يؤيده ويقويه ولذا فسوف أذكر بعض الأدلة العقلية التي ذكرها أهل العلم ومنها:

١ ـ دليل الوجود فإن وجود الله دليل على جواز رؤيته والذي لا يجوز أن يرى هو المعدوم. يقول أبوالحسن الأشعري: «ومما يدل على رؤية الله عزوجل بالأبصار أنه ليس موجود إلا وجائز أن يرى وإنما لا يجوز أن يرى المعدوم. فلما كان الله عزوجل موجوداً مثبتاً كان غير

---

(١) رواه البخاري ح٧٤٣٤.
(٢) رواه مسلم ح١٨١.

مستحيل أن يرينا نفسه عزوجل»[١].

٢ ـ «ومما يدل على رؤية الله بالأبصار أن الله عزوجل يرى الأشياء وإذا كان للأشياء رائياً فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه وإذا كان لنفسه رائياً فجائز أن يرينا نفسه»[٢].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ١٦.

(٢) المصدر السابق ص١٦.

نفاة الرؤية والرد على شبههم

نفاة الرؤية من أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخوارج والروافض يعترضون على أدلة أهل السنة والجماعة باعتراضات باطلة وحجج واهية.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يعرض بهم ويذكر المعتزلة صراحة يقول: «**فإذا جمعهم ليوم حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر كما يرى القمر لا يحجب إلا من أنكر الرؤية من المعتزلة**»(١).

وسأتحدث فقط عن المعتزلة حيث خصهم الشيخ الجيلاني بالذكر من بين النفاه والمعتزلة ينفون عن الله الرؤية مطلقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة لأنهم يرون أن القول بإمكانية الرؤية هدم للتنزيه فوقعوا فيما هو أفظع وهو التعطيل(٢).

وقد استدلوا بأدلة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾(٣).

ووجه الدلالة أنه نفى أن يدرك بالأبصار ومادام الإدراك قد قرن بالبصر فإنه يفيد عدم الرؤية بالبصر وعليه يكون قوله تعالى لا تدركه الأبصار بمعنى لا تراه الأبصار فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك الأبصار(٤).

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني ١٢٨.
(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٥٧.
(٣) الأنعام: ١٠٣.
(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٢٣٢.

وقد أجاب أهل السنة على المعتزلة بما يلي:

١ ـ قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا ـ يعني ابن تيمية ـ وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها.

فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوبياً كتمدحه بنفي السِنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية والغنى، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم. ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل

جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذاً المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به إلى أن قال رحمه الله: فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية[١].

٢ ـ ومن أدلة المعتزلة على نفي الرؤية قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

ووجه استدلالهم. أن: «لن» تفيد التأبيد وأن موسى عليه السلام لما أفاق قال: سبحانك. أي: أنزهك عما لا يجوز عليك وأنه تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية[٣].

وقد أبطل أهل السنة استدلال المعتزلة بهذه الآية بإجابات عديدة نذكر منها إجابة شارح الطحاوية حيث قال:

«وأما دعواهم تأبيد النفي بلن وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة فكيف إذاً أطلقت قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[٤] مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٥] ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص٢٠١.
(٢) الأعراف: ١٤٣.
(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ٢٦٤.
وتفسير الفخر الرازي ١٤/ ٢٣٣، والكشاف للزمخشري ٢/ ١١٥.
(٤) البقرة: ٩٥.
(٥) الزخرف: ٧٧.

تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾(١).

فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد. يقول ابن مالك:

ومن رأى النفي بـ «لن» مؤيداً
فقوله اردد وسواه فاعضدا(٢)

أما قول موسى عليه السلام: سبحانك، فلم اطلع على جواب لأهل السنة عليها، وفي اعتقادي أن موسى عليه السلام إنما نزَّه الله عزوجل بقوله: سبحانك، لما رأى من كمال قدرته وعظمته حيث لم يستطع الجبل أن يتحمل قوة نوره سبحانه.

وقول موسى عليه السلام: «تبت إليك»، قال القرطبي: قال مجاهد في قوله: «تبت إليك» من مسألة الرؤية في الدنيا، وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات كما مرَّ وقد أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية(٣).

وبهذا يتبين تهافت أدلة النفاة في مواجهة الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي صرحت برؤية المؤمنين لله عزوجل في جنات عدن نسأل الله أن يمنَّ علينا جميعاً برؤيته في دار كرامته إنه سميع مجيب.

---

(١) يوسف: ٨٠.
(٢) شرح الطحاوية تحقيق التركي الأرناؤوط ١/ ٢١٤.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٢٧٩.

رؤية النبي ﷺ لربه عزوجل في الدنيا

وقع الخلاف بين أهل السنة والجماعة في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذهب إلى القول بأن النبي ﷺ رأى ربَّه عندما أسري به بعيني رأسه. لا بفؤاده وفي اليقظة لا في المنام فيقول:

«ونؤمن بأن النبي ﷺ رأى ربه عزوجل ليلة الإسراء بعيني رأسه لا بفؤاده ولا في المنام»(١).

وقد استدل على ما ذهب إليه بعدة أحاديث، منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي قال: **«أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ»**(٢).

والخلاف في هذه المسألة قديم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم. على قولين:

القول الأول: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه تبارك وتعالى في الدنيا جاء هذا عن بعض الصحابة منهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فقد روى الإمام أحمد في المسند عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت ربي تبارك وتعالى»** قال عبدالله بن أحمد: وقد سمعت هذا الحديث من أبي أملى علي في موضع آخر(٣).

وهذا الحديث وردت فيه الرؤية مطلقة غير مقيدة بالعين أو بالقلب

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٦٦.

(٢) رواه الآجري بسنده في الشريعة ٤٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٨٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

في حين وردت أحاديث أخرى أصح من هذا الحديث عن ابن عباس نفسه قُيِّدت فيها الرؤية مرة بالقلب كما في حديث عطاء[١] عن ابن عباس قال: «رآه بقلبه»[٢] ومرة بالفؤاد كما في حديث أبي العالية[٣] عن ابن عباس قال: «رآه بفؤاده مرتين»[٤].

وبحمل المطلق على المقيد يزول التعارض الظاهر ويتضح الأمر ويزول اللبس.

القول الثاني: نفي رؤية النبي ﷺ لربه عزوجل في الدنيا بعيني رأسه روي هذا عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم منهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ففي الصحيحين عن مسروق[٥] قال: كنت متكئاً عند

(١) الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم عطاء بن أبي رباح حدث عن كثير من الصحابة وأخذ عنه كبار الأئمة وكان لا يفتي الناس في الحج إلا هو. قال عنه أبوحنيفة ما لقيت أفضل من عطاء وقال الأوزاعي مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس ومع غزارة علمه ما كان يتردد إذا سئل عن شيء لا يعلمه أن يقول لا أدري ومرة سئل عن مسألة فقال لا أدري قيل ألا تقول برأيك قال: إني أستحي من الله أن يدان في الأرض برأيي/ سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٧٨.

(٢) رواه مسلم ح١٧٦.

(٣) رفيع بن مهران الإمام المقرىء الحافظ المجود المشهور بأبي العالية الرياحي أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر. ودخل عليه مات سنة ٩٠/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧.

(٤) رواه مسلم ح١٧٦.

(٥) مسروق بن الأجدع الإمام القدوة العالم الكوفي حدث عن كثير من الصحابة وعداده في كبار التابعين قال عنه الشعبي: ما علمت أن أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق وكان كثير العبادة تحكي عنه امرأته أنه كان يصلي حتى تتورم قدماه وكان كثير السجود يقول لسعيد بن جبير: ما بقي شيء يرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب. قال عنه يحيى بن معين: مسروق ثقة لا يسأل عن مثله مات سنة=

عائشة فقالت: ياأبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست وقلت: ياأم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾[١] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾[٢]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾[٣] أولم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[٤]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[٥]، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٦]، ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين[٧].

ففي هذا الحديث المتفق عليه التصريح من النبي ﷺ بنفي رؤيته لربه عزوجل حين سألته عائشة عن ذلك وإخباره لها بأن الرؤية المذكورة

= ٦٣/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣.

(١) التكوير: ٢٣.

(٢) النجم: ١٣.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) الشورى: ٥١.

(٥) لقمان: ٣٤.

(٦) المائدة: ٦٧.

(٧) رواه البخاري ح٤٨٥٥ ومسلم ح١٧٧.

في الآيتين إنما كانت لجبريل عليه السلام.

وقد نشأ الخلاف بين القائلين بإثبات الرؤية ونفيها من تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[1]، وقوله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[2] فالذين أثبتوا رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا جعلوا الضمائر في رآه في الآيتين عائدة على الله عزوجل. والذين نفوا الرؤية جعلوها عائدة على جبريل عليه السلام.

والذي يتفق مع السياق القرآني أن المرئي هو جبريل لاسيما وقد صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة، منهاحديث عطاء عن أبي هريرة «﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ قال: رأى جبريل»[3].

وبالنظر في أدلة القولين فإن القول بنفي رؤية النبي ﷺ بعيني رأسه في الدنيا أقرب إلى الصواب وأن ما ذهب إليه المثبتون يمكن حمله على رؤية القلب جمعاً بين الأدلة وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني من أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء بعيني رأسه لا بفؤاده قول مرجوح. والله أعلم.

---

(١) النجم: ١٣.
(٢) التكوير: ٢٣.
(٣) رواه مسلم ح١٧٥.

المبحث السادس

القضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر من أصول الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها.

ويعرف أهل اللغة القضاء بأنه الحكم ومنه قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[١] أي: حكم.

ويكون بمعنى الفراغ تقول: قضيت حاجتي أي فرغت منها.

وضربه فقضى عليه، أي، قتله كأنه فرغ منه. وقضى نحبه، أي: مات.

ويأتي بمعنى الصنع والتقدير ومنه، قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٢] ومنه القضاء والقدر[٣].

وعلى هذه المعاني تدور معظم التعريفات التي ذكرها أهل اللغة[٤].

كما يعرفون القدر بأنه القَدْرَ بإسكان الدال أي التقدير وتبيين كمية الشيء وبفتحها ـ القَدَرَ ـ لغتان معروفتان القضاء والحكم ومبلغ

---

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) الصحاح للجوهري ٦/٢٤٦٣.

(٤) انظر النهاية لابن الأثير ٤/٧٨ والمفردات للراغب الأصفهاني ص٤٠٦.

الشيء[١].

وقد اختلفت عبارات العلماء رحمهم الله في تعريف القضاء والقدر شرعاً، أكثرها دلالة ووضوحاً قول السفاريني رحمه الله[٢]: القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأن الله عزوجل قدَّر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدَّرها[٣].

وعن تلازم القضاء والقدر يقرر الإمام الخطابي أن أحدهما لا ينفك عن الآخر فيقول: القضاء والقدر أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه[٤].

والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ومبنى من مبانيه العظام ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حول قصة جبريل عليه السلام ومجيئه إلى النبي ﷺ وتعليمه للصحابة أمور دينهم قوله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان: أن تؤمن

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤/ ٢٢.

(٢) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة ١١١٤ ورحل إلى دمشق لطلب العلم وحصل منه على الشيء الكثير في زمن يسير ثم عاد إلى نابلس واشتهر بالذكاء والفضل وقام بالتدريس والإفتاء وصنف العديد من المؤلفات المفيدة منها شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد. والبحور الزاخرة في علوم الآخرة. ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية في العقيدة وكانت وفاته عام ١١٨٨) مقدمة لوامع الأنوار طبعة المكتب الإسلامي بيروت ١٤١١هـ.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٢٤٨.

(٤) معالم السنن للخطابي ٤/ ٣٢٣.

بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى[١].

وهو أي الإيمان بالقضاء والقدر من الأمور الغيبية التي حجب الله علمها عن البشر وأوجب على المسلم الإيمان الجازم والتسليم الكامل بها لما يرتبه ذلك من السعادة للعبد في الدنيا والآخرة فإنه إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه اطمأن قلبه وهدأت نفسه ورضى بتقدير مولاه فتخف عليه وطأة المصائب ويتعلق القلب بالرب عزوجل وهذا مقتضى الإيمان.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر أن من متطلبات الإيمان الصادق أن يؤمن الإنسان بالقضاء والقدر فيقول:

«وينبغي أن يؤمن بخير القدر وشره وحلو القضاء ومره. وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالحذر وما أخطأه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب، وأن جميع ما كان في سالف الدهور والأزمان، وما يكون إلى يوم البعث والنشور بقضاء الله وقدره المقدور. وأنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور الذي خط في اللوح المسطور»[٢].

وعلى هذا درج سلف هذه الأمة في الإيمان بالقضاء والقدر باعتباره ركناً من أركان الإيمان لا يتم إلا به. وهذه بعض أقوالهم:

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ ـ قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «والله لا يطعم رجل طعم

---

(١) رواه البخاري ح٥٠ ومسلم ح٨.
(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٦٥.

الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت مخرج وأنه مبعوث بعد الموت»[١].

٢ ـ قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد فمن وحَّد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضاً للتوحيد ومن وحد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها»[٢].

ثانياً: أقوال بعض التابعين:

١ ـ قال الحسن البصري رحمه الله: «من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالحق إن الله قدَّر خلقاً وقدَّر أجلاً وقدَّر بلاءاً وقدَّر مصيبة وقدَّر معافاة، من كذب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن»[٣].

٢ ـ قال زيد بن علي رضي الله عنه[٤]: وقد جاءه رجل فقال له: يازيد أنت تزعم أن الله أراد أن يعصى فقال له زيد: أيعصى الله عنوة؟ قال: فأقبل يخطر أي يعدو[٥].

ثالثاً: أقوال بعض علماء أهل السنة والجماعة:

١ ـ سئل الإمام أحمد عن القدر فقال: «القدر قدرة الله على

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة برقم ١٢١٨.

(٢) الشريعة للآجري ص٢١٥.

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة برقم ١٢٥٤.

(٤) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي روى عن والده زين العابدين وأخيه الباقر وعروة بن الزبير وكان ذا علم وجلالة وصلاح خرج على بني أمية، لما لاحظ من اضطهادهم لأهل البيت وقد التف حوله أهل الكوفة ووعدوه بالنصر والمؤازرة ثم تخلوا عنه حتى قتل وصلب سنة ١٢٢هـ/ سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩ وشذرات الذهب ١/ ١٥٨.

(٥) شرح أصول أهل السنة والجماعة برقم ١٢٦٤.

العباد»[١]. وعن وجوب الإيمان به يقول:

ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره[٢] ويقول: القدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله قضاءاً قضاه وقدراً قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عزوجل. ولا يجاوز قضاؤه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له. واقعون فيما قدر عليهم لا محالة وهو عدل منه عز ربنا وجل»[٣].

٢ ـ قال ابن قتيبة رحمه الله: «ونحن نعلم أن كل شيء بقدر الله وقضائه غير أننا ننسب الأفعال إلى فاعليها ونحمد المحسن على إحسانه ونلوم المسيء بإساءته ونعتد على المذنب بذنوبه»[٤].

٣ ـ ويوضح الإمام الآجري بشيء من التفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة فيقول:

«مذهبنا في القدر أن نقول إن الله عزوجل خلق الجنة وخلق النار ولكل واحد منهما أهلاً وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ثم خلق آدم عليه السلام واستخرج من ظهره ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة ثم جعلهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير وخلق إبليس وأمره بالسجود لآدم عليه السلام.

وقد علم أنه لا يسجد للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة

---

(١) مسائل إسحاق بن هاني ٢/ ١٥٥.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٣.
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٥.
(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٢٣٦.

التي سبقت في العلم من الله عزوجل لا معارض لله الكريم في حكمه يفعل في خلقه ما يريد عدلاً من ربنا قضاؤه وقدره وخلق آدم وحواء عليهما السلام وللأرض خلقهما أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغداً ما شاءا ونهاهم عن شجرة واحدة ألا يقرباها.

وقد جرى مقدوره أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة فهو تبارك وتعالى في الظاهر نهاهما وفي الباطن من علمه قد قدَّر عليهما أنهما يأكلان منها ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1] لم يكن لهما بد من أكلهما سبباً للمعصية وسبباً لخروجهما من الجنة إذ كانا للأرض قد خلقا وأنه سيغفر لهما بعد المعصية كل ذلك سابق في علمه لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه إلا وقد جرى مقدوره فيه وأحاط به علماً قبل كونه أنه سيكون.

خلق الخلق كما شاء لما شاء فجعلهم شقياً وسعيداً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا وهم في بطون أمهاتهم وكتب آجالهم وكتب أرزاقهم وكتب أعمالهم ثم أخرجهم إلى الدنيا وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه.

ثم بعث رسله وأنزل عليهم وحيه وأمرهم بالبلاغ لخلقه فبلغوا رسالات ربهم ونصحوا قومهم فمن جرى في مقدور الله عزوجل أن يؤمن آمن ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر قال الله عزوجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[2].

أحب من أراد من عباده فشرح صدره للإيمان والإسلام.

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) التغابن: ٢.

ومقت آخرين فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم. فلن يهتدوا أبداً يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

الخلق كلهم له يفعل في خلقه ما يريد غير ظالم لهم جل ذكره عن أن ينسب ربنا إلى الظلم إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بملك وأما ربنا عزوجل فله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وله الدنيا والآخرة جل ذكره وتقدست أسماؤه أحب الطاعة من عباده وأمر بها فجرت ممن أطاعه بتوفيقه لهم ونهى عن المعاصي وأراد كونها من غير محبة منه لها. ولا بالأمر بها تعالى الله عزوجل أن يأمر بالفحشاء أو يحبها وجل ربنا وعز أن يجرى في ملكه ما لم يرد أن يجري. أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه.

قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وبعد أن يخلقهم قبل أن يعملوا قضاءاً وقدراً. قد جرى القلم بأمره عزوجل في اللوح المحفوظ بما يكون من بر أو فجور يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد ويعدهم عليه الجزاء العظيم ولولا توفيقه لهم ما عملوا ما استوجبوا به منه الجزاء ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[2]. قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى هذا مذهبنا في القدر[3].

٤ ـ قال الإمام ابن بطه في الشرح والإبانة وهو يوضح معتقد أهل السنة

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) الشريعة للآجري ص١٥٠.

والجماعة في مسألة القدر:

ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وقليله وكثيره مقدور واقع من الله عزوجل. على العباد في الوقت الذي أراد أن يقع لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وما تقدم لم يكن ليتأخر وما تأخر لم يكن ليتقدم في هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه ولا يقدر على رده إلا بالافتراء على الله عزوجل ومنازعته في قدره.

وإلى ما وصفناه دعت الرسل وأنزلت الكتب وعليه اتفق أهل التوحيد ممن أقر لله بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية من ملك مقرب ونبي مرسل منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون على أنه ليس شيء كان ولا شيء يكون في السموات ولا في الأرض إلا ما أراده الله عزوجل وشاءه وقضاه والخلق كلهم أضعف في قوتهم وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله عزوجل شيئاً يخالفون فيه مراده ويغلبون مشيئته ويردون قضاءه.

فالإيمان بهذا حق لازم فريضة من الله عزوجل على خلقه فمن خالف ذلك أو خرج عنه أو طعن فيه ولم يثبت المقادير لله عزوجل ويضيفها ويضيف المشيئة إليه فهو أول الزنادقة[1].

٥ ـ لخص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر فقال:

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢١٣.

«مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالق كل شيء ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو القادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه. وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دخل في ذلك أفعال العباد. وغيرها.

وقد قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدَّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم. وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء. وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون»[١].

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٨/ ٤٤٩.

أدلة أهل السنة والجماعة على الإيمان بالقضاء والقدر

استدل أهل السنة والجماعة على الإيمان بقضاء الله وقدره بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ۝١٢﴾[١] قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه في أم الكتاب وهو الإمام المبين. قاله مجاهد وقتادة»[٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[٣] قال ابن كثير: أي قدَّر قدراً وهدى الخلائق إليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل تبرمها وردوا بهذه الآية وما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عهد الصحابة»[٤].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝٣٨﴾[٥] قال ابن جرير الطبري: إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها فأتم في علمه أن

---

(١) يس: ١٢.
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٢/ ٦٥٥.
(٣) القمر: ٤٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٦٧.
(٥) الأحزاب: ٣٨.

يخلق خلقاً ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثواباً لأهل طاعته وعقاباً لأهل معصيته فلما أتم ذلك الأمر قدره فلما قدره كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم. وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم»[1].

ثانياً: من الأحاديث النبوية:

١ ـ ما ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق. «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[2].

٢ ـ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء**»[3].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٢/ ١٥.
(٢) رواه البخاري ح ٣٢٠٨ ومسلم ح٢٦٤٣.
(٣) رواه مسلم ح٢٦٥٣.

٣ ـ ما أخرجه مسلم أيضاً عن طاووس[١] أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبدالله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز**»[٢].

وورجه الاستدلال في الأحاديث السابقة ظاهر وهو سبق علم الله وتقديره لمقادير الخلائق وأعمالهم وآجالهم وما سيصيرون إليه من سعادة أو شقاء.

وهذا العلم هو صفة كمال في الرب عزوجل، إذ أنه لا يعلم ما سيكون في المستقبل إلا الله ولو لم يكن يعلم لاستوى في العلم مع الناس الذين لا يعلمون ما سيكون إلا بعد وقوعه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولكن هذا العلم سابق لا سائق بمعنى أن علم الله الذي سبق أن فلاناً من الناس سيخلق وسيبلغ سن التكليف وسيقوم بأوامر الله ويبتعد عن نواهيه باختياره وبموجب ما منحه الله من قدرة على سلك سبيل الخير أو الشر فسلك سبيل الخير وترتب على هذا علم الله بأنه سيكون سعيداً من أهل الجنة هذا العلم السابق غير سائق لهذا الإنسان بحيث لا يقدر إلا على فعل الخير فقط والله عزوجل لن يسأل الناس عما قضاه وقدره عليهم ولكنه سيسألهم عما عملوه وكسبوه في هذه الحياة.

---

(١) طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن سمع من بعض الصحابة ولازم ابن عباس، حج أربعين حجة قال عنه عمرو بن دينار ما رأيت مثل طاووس وقال عنه ابن معين وأبوزرعة طاووس ثقة مات سنة ١٠٦/ سير أعلام النبلاء ٣٨/٥.

(٢) رواه مسلم ح٢٦٥٥.

ذكر ابن عبدالبر أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الحسن البصري: إن الله لا يطالب خلقه بما قضى عليهم وقدر ولكن يطالبهم بما نهاهم عنه وأمر فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك والسلام ثم قال ابن عبدالبر وروينا أن الناس لما خاضوا في القدر بالبصرة اجتمع مسلم بن يسار[١] ورفيع أبوالعالية فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتى ننظر فيما خاض الناس فيه هذا الأمر قال: فقعدا ففكرا فاتفق رأيهما أنه يكفى المؤمن من هذا الأمر أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله عليه وأنه مجزي بعمله»[٢].

(١) مسلم بن يسار القدوة الفقيه الزاهد روى عن ابن عباس وابن عمر. قال عنه ابن سعد كان ثقة فاضلاً عابداً ورعاً قال في القضاء والقدر: هما واديان عميقان يسلك فيهما الناس لن يدرك غورهما فاعمل عمل رجل تعلم أنه لن ينجيك إلا عملك وتوكل توكل رجل تعلم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك مات سنة ١٠٠/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ١٨/ ١٨.

أفعـال العبـاد

١ - يقرر القرآن الكريم أن الله عزوجل خالق كل شيء فلا يخرج عن التقدير شيء لا الإنسان ولا أفعاله قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾[(١)].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر عقيدته في هذه القضية ويقرر أن أفعال العباد خلق الله عزوجل وهي في نفس الوقت كسب لهم فيقول:

«ونعتقد أن أفعال العباد خلق الله عزوجل وكسب لهم خيرها وشرها حسنها وقبيحها ما كان منها طاعة ومعصية لا على معنى أنه أمر بالمعصية لكن قضى بها وقدرها وجعلها على حسب قصده وأنه قسم الأرزاق وقدَّرها فلا يصدها صاد ولا يمنعها مانع لا زائدها ينقص ولا ناقصها يزيد ولا ناعمها يخشن ولا خشنها ينعم ورزق غد لا يؤكل اليوم وقسم زيد لا ينقل إلى عمرو وأنه تعالى يرزق الحرام كما يرزق الحلال على معنى أنه يجعله غذاءً للأبدان وقواماً للأجسام لا على معنى إباحة الحرام. وكذلك القاتل لم يقطع أجل المقتول المقدر له. بل يموت بأجله وكذلك الغريق ومن هدم عليه الحائط وألقى من شاهق ومن أكله سبع وكذلك هداية المسلمين والمؤمنين وضلالة الكافرين. إليه عزوجل جميع ذلك فعل له وصنعه لا شريك له في ملكه»[(٢)].

---

(١) الزمر: ٦٢.

(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٦٤.

وما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو معتقد أهل السنة والجماعة الذين يقررون أن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله وقضائه وقدره فقد علم الله ما سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وخلقهم الله كما شاء ومضى فيهم قدره فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم وهدى الله من كتب لهم السعادة وأضل من كتب لهم الشقاوة وعلم أهل الجنة فيسَّرهم لعمل أهلها نسأل الله أن يجعلنا منهم، وعلم أهل النار ويسَّرهم لعمل أهلها نعوذ بالله من ذلك وهذا لا يعني أن العبد مجبور على التصرف مسلوب الإرادة فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن العبد فاعل على الحقيقة وأن له مشيئته وقدرته ولكنها غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته بل هي تابعة لها. وهذه بعض أقوالهم:

١ـ قال حنبل: سمعت أباعبدالله يقول: أفاعيل العباد مخلوقة وأفاعيل العباد مقضية بقضاء وقدر. قلت: الخير والشر مكتوبان على العباد؟ قال: المعاصي بقدر.

قال: وسمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: المعاصي بقدر. قال أبوعبدالله: والخير والشر بقدر والطاعة والمعصية بقدر وأفاعيل العباد كلها بقدر.

وقال حنبل عن رجل عن عبدالرحمن بن مهدي قال: من قال المعاصي ليست بقدرفقد أعظم على الله الفرية قال أبوعبدالله ما أحسن ما قال عبدالرحمن قال أبوعبدالله: فمن لم يؤمن بالقدر ورده فقد ضاد الله عزوجل في أمره ورد على رسول الله ﷺ ما جاء به وجحد

القرآن وما أنزل الله عزوجل»[١].

٢ ـ يحرر شيخ الإسلام بن تيمية مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد بقوله:

«مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير. وبكل شيء عليم. والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. منهي عن معصيته ومعصية رسوله ﷺ. فإن أطاع كان ذلك نعمة وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب وكان لله عليه الحجة البالغة ولا حجة لأحد على الله تعالى.

وكل ذلك كائن بقضائه وقدره ومشيئته وقدرته. لكن يحب الطاعة ويأمر بها ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم ويبغض المعصية وينهى عنها ويعاقب أهلها ويهينهم وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه»[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عزوجل. بالكتاب والسنة:

أولاً: من الكتاب الكريم.

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٣] يقول ابن كثير يحتمل أن تكون ﴿ما﴾ مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم

---

(١) كتاب السنة للخلال ٣/ ٥٤٤.
(٢) فتاوى ابن تيمية ٨/ ٦٣.
(٣) الصافات: ٩٦.

ويحتمل أن تكون بمعنى الذي وتقديره «والله خلقكم والذي تعملون» وكلا القولين متلازم والأول أظهر»[١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾[٢] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يخبر الله تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلائته»[٣].

ثانياً: من السنة المطهرة:

ما أخرجه البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[٤].

ووجه الاستدلال ظاهر في أن أفعال العباد هي من الله خلقاً وتقديراً وهي من العباد كسباً وفعلاً. فالله هو الخالق لهم ولأفعالهم وهم الفاعلون لها. والله أعلم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/١٣.
(٢) الزمر: ٦٢.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٦١.
(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٥.

الفرق التي ضلت في القدر

مسألة القدر من أخطر المسائل العقدية التي حار فيها العقلاء والنظار في القديم والحديث فلم يصلوا إلى اليقين والصواب فيها لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه فتعبوا وأتعبوا وضلوا وأضلوا وأساءوا الظن بربهم.

ولقد وفق الله أهل السنة والجماعة للحق في هذه المسألة وفي جميع المسائل لاتباعهم لكتاب الله عزوجل ولسنة رسوله ﷺ. إذ لا يمكن الوصول إلى الحق في هذه القضية وفي كل قضية إلا عن طريقهما وبالفهم الصحيح الذي فهمه سلف هذه الأمة لهما.

وممن ضل عن طريق الحق في هذه المسألة الجبرية والقدرية وقد أشار الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى ضلالهما وانحرافهما عن منهج الحق فقال:

«وإنما أثبتنا للعباد كسباً لموضع توجه الأمر والنهي والخطاب إليه ثم استحقاق الثواب والعقاب لديه. كما وعد وضمن جلَّ وعزَّ قال الله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾[1]، وقال عزوجل: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا

---

(١) السجدة ١٧ والأحقاف ١٤ والواقعة ٢٤.

(٢) الرعد ٢٤.

(٣) المدثر: ٤٢ ـ ٤٤.

تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[٢] وغير ذلك من الآيات فعلق سبحانه الجزاء على أفعالهم فأثبت لهم كسباً خلاف ما قالت الجهمية[٣] (الجبرية) من أنه لا كسب للعباد وأنهم كالباب يرد ويفتح والشجرة تحرك وتهتز وهم الجاحدون للحق الرادون للكتاب والسنة والدليل على أن ذلك خلق الله عز وجل وكسب للعباد خلافاً للقدرية في قولهم: إن جميع ذلك خلق للعباد دون الله عزوجل. تباً لهم وهم مجوس هذه الأمة جعلوا لله شركاء ونسبوه إلى العجز وأن يجري في ملكه ما لا يدخل في قدرته ولا إرادته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[٤].

ويقول في موضع آخر وهو يوصي بعض طلابه: «اقطع همك من الناس من سائر الوجوه والأسباب حتى إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله فاخرج من الخلق جداً واجعلهم كالباب يرد ويفتح وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتختل أخرى. وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله جل وعلا لتكون موحداً للرب ولا تنس مع ذلك كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله لا تعبدهم وتنس الله ولا تقل فعلهم دون الله فتكفر فتكون قدرياً ولكن قل هي لله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار لبيان موضع الجزاء من

---

(١) الطور: ١٤.

(٢) الحج: ١٠

(٣) يطلق على الجبرية الجهمية أيضاً لأن عقيدة الجهمية في أفعال العباد أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه) انظر: مقالات الإسلاميين ٢٧٩.

(٤) الغنية للجيلاني ١/ ٦٤.

الثواب والعقاب»[١].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني في كلامه هذا يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة ويرد عقيدة الجبرية والقدرية التي تخالف الكتاب والسنة ومذهب علماء الأمة.

وفيما يلي عرض موجز لعقيدة كل من طائفتي الجبرية والقدرية بإيجاز مع إبطال الشبه التي عرضت لهم:

الطائفة الأولى: الجبريـة:

وهم الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وأنكروا أن يكون للعبد فعل وأن كل ما خلقه الله فقد رضيه وأحبه وأن العباد ليسوا بحاجة إلى العمل والأخذ بالأسباب فما قدر عليهم سوف يأتيهم وزعموا أن العباد مجبورون على أفعالهم وأن الإنسان لا قدرة له تؤثر في الفعل بل هو كالريشة في مهب الريح. ولذا تركوا العمل احتجاجاً بالقدر وإذا عملوا أعمالاً مخالفة للشرع تنصلوا عن المسئولية فيها واحتجوا بالقدر على وقوعها[٢].

وترتب على هذه العقيدة الفاسدة تعطيل قدرات الإنسان نحو الإصلاح واستسلامه لشهواته وغرائزه والوقوع في الذنوب والمعاصي باعتبار أن ذلك مما قدر الله عليهم. وأحبه ورضيه وأن كل ما قدره على العبد سيصيبه فلا داعي لمجاهدة النفس لأن ذلك لا يرد القدر.

وقد أدَّى بهم ذلك إلى ترك الأعمال الصالحة والأخذ بالأسباب

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني ص٢٢، المقالة العاشرة.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ٢١١.

المنجية من عذاب الله من صلاة وصيام ودعاء لأنه لا فائدة من ذلك فالذي قدره الله كائن لا ينفع معه دعاء ولا عمل. فتركوا الأمر بالمعروف ولم يهتموا بإقامة الحدود لأن الجرائم قدر لابد منها ورضوا بظلم الظالمين وإفساد المفسدين لأن ما يفعله هؤلاء قد قدره الله وأراده.

وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة لمزاعم هؤلاء الضالين بالإبطال والرد لما ذهبوا إليه وبينوا أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة على الإتيان بها دلَّ على ذلك الشرع والعقل.

فمن الشرع آيات وأحاديث كثيرة وردت مثبتة لقدرة الله عزوجل وقدرة الإنسان.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾(١).

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(٢).

ووجه الاستدلال في الآيتين وغيرهما في القرآن كثير أن الله أثبت للعباد مشيئة في إتخاذ السبيل الموصل إلى مرضاته وأثبت لهم مشيئة في إتيان زوجاتهم في موضع الحرث كيف شاءوا.

ثانياً: من السنة المطهرة:

قوله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**»، فقالوا يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال:

---

(١) النبأ: ٣٩.

(٢) البقرة: ٢٢٣.

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له» إلخ الحديث[١].

ثالثاً: من جهة العقل:

فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدره يفعل بهما مايريد ويترك ما يريد وأنه يفرق بين ما وقع بإرادته ويتحمل مسئوليته وبين ما يقع قسراً عليه ولا يشعر بالمسئولية تجاهه كالاحتلام في نهار رمضان الذي لا تأثير له على الصيام لوقوعه بدون اختيار من العبد بينما لو تعمد الإنسان الاستمناء حتى أمنى لأفسد صومه لوقوع ذلك بإرادته واختياره[٢].

ولكن هذه المشيئة والقدرة داخلة ضمن مشيئة الله وقدرته يقول عزوجل: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٣]، فالآية أثبتت للعبد مشيئة داخلة ضمن مشيئة الرب عزوجل.

قال الإمام أحمد وقد سئل عن رجل يقول إن الله جبر العباد على أفعالهم. فقال: هكذا لا نقول وأنكر هذا وقال: يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجاءه رجل فقال إن فلاناً قال إن الله جبر العباد على الطاعة قال: بئس ما قاله»[٤].

وقد هتك الله أستار هؤلاء بما سلطه عليهم من شهب الحق التي قذفهم بها العلامة ابن القيم في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل حيث يقول عن الجبرية في مقدمة ذلك

---

(١) رواه البخاري ح٤٩٤٩ ومسلم ٢٦٤٧.
(٢) انظر: المغني لابن قدامة.
(٣) التكوير: ٢٨ ـ ٢٩.
(٤) السنة للخلال ٣/ ٥٥٠.

الكتاب.

«ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية ـ يعني الجبرية ـ فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية ـ ولا اختيار ـ كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور وأنه غير ميسر لما خلق له. بل هو عليه مقسور ومجبور ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين ولمنهاجهم مقتفين فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحققوه وزادوا عليه. أن تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف بما لا يطاق وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق فالتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل العبد ولا هو له بمقدور وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير فكلف عباده بأفعال وليسوا عليها قادرين، ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين. إلى أن قال رحمه الله:

وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون وللقدر مثبتون ولأقوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطففوا في الميزان غاية التطفيف وحمَّلوا ذنوبهم على الأقدار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والأوزار وقالوا إنها في الحقيقة فعل الخلاق العليم. وإذا سمع المنزه لربه هذا قال سبحانك هذا بهتان عظيم فالشر ليس إليك والخير كله في يديك.

ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن ونسبته إلى أقبح الظلم وقالوا إن أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات وكتكليف الميت إحياء الأموات والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل ما لا يقدرون على تركه وعلى ترك ما لا يقدرون على فعله بل يعاقبهم

على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور وليس أحد ميسر له. بل هو عليه مقهور ونرى العارف منهم ينشد مترنماً ومن ربه متشكياً ومتظلماً.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء.

وليس عند القوم في نفس الأمر سبب ولا غاية ولا حكمة ولا قوة في الأجسام ولا طبيعة ولا غريزة فليس في الماء قوة التبريد ولا في النار قوة التسخين ولا في الأغذية قوة الغذاء ولا في الأدوية قوة الدواء. ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن قوة السماع، ولا في الأنف قوة الشم، ولا في الحيوان قوة فاعله ولا جاذبة ولا ممسكة ولا دافعة والرب تعالى لم يفعل شيئاً بشيء ولا شيئاً لشيء فليس في أفعاله باء تسبيب ولا لام تعليل وما ورد من ذلك فمحمول على باء المصاحبة ولام العاقبة وزادوا على ذلك أن الأفعال لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح ولا فرق في نفس الأمر بين الصدق الكذب والبر والفجور والعدل والظلم والسجود للرحمن والسجود للشيطان والإحسان إلى الخلق والإساءة إليهم. ومسبة الخالق والثناء عليه. وإنما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهي. ولذلك يجوز النهي عن كل ما أمر به والأمر بكل ما نهى عنه ولو فعل ذلك لكان هذا قبيحاً وهذا حسناً»[١].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص٥.

الطائفة الثانية: القدريـة:

هؤلاء هم نفاة القدر الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء قبل حصولها ولا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وإذا أمر عباده ونهاهم فهو لا يعلم من يطيعه منهم ومن يعصيه فإذا أطاعوه أو عصوه علم بعد ذلك السعداء منهم والأشقياء. وأن الإنسان هو الذي يوجد فعل نفسه من غير إرادة الله أو علمه به[١].

وقد نشأ هذا القول الباطل في أواخر عهد الصحابة وأول من قال به معبد الجهني[٢] - ويسمى هؤلاء بالقدرية الأولى - ثم نقله عنه رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء[٣] وعمرو بن عبيد[٤] الذين أقروا بعلم الله عزوجل. ولكنهم أنكروا خلقه لأفعال العباد وزعموا أن العباد هم الخالقون لأفعالهم. وتبنّوا هذه البدعة حتى عرفوا عند أهل السنة

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٣ والفرق بين الفرق للبغدادي ١٨.

(٢) معبد الجهني أول من تكلم في القدر قال أبوحاتم قدم المدينة فأفسد فيها ناساً وقال الدارقطني حديثه صالح ومذهبه رديء وقال الأوزاعي أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر أخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد وقد اختلفوا في موته فقيل صلبه عبدالملك بن مروان وقيل قتله الحجاج بعد أن عذبه سنة ٨٠ هجرية/ تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٢٥.

(٣) واصل بن عطاء البصري المخزومي ولد سنة ٨٠ وكان يتجنب النطق بالراء لأنه يلثغ بها وكان رجلاً فصيحاً بليغاً كان في مجلس الحسن البصري فلما قال بأن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر طرده الحسن البصري وانضم إليه عمرو بن عبيد واعتزلا مجلسه فسموا المعتزلة مات سنة ١٣١هـ/ سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٤.

(٤) عمرو بن عبيد القدري كبير المعتزلة وأولهم. قال النسائي ليس بثقة كان زاهداً قال فيه المنصور كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد قال الذهبي اغتر بزهده وأغفل بدعته مات سنة ١٤٤/ سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٤.

بالقدرية[١]، وهم المعتزلة.

وقد أنكر الصحابة رضوان الله عليهم هذه الضلالة ونهو الناس عن استماع هذه البدعة المنكرة استجابة لخبر رسول الله ﷺ الدال على نبوته والذي يرويه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم[٢].

كما نص الأئمة على كفر هذه الطائفة التي لم تقر بعلم الله عزوجل وممن نص على كفرهم الإمام مالك والشافعي وأحمد[٣].

والقدرية إنما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه بقصد تنزيه الله وتقديسه فزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر وحجتهم أن ذلك يؤدي إلى الظلم إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه.

ولكنهم كما يقول الطحاوي كالمستجير من الرمضاء بالنار لأنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه ويلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى فإن الله قد شاء الإيمان منه على قولهم. والكافر شاء الكفر فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى وهذا من أقبح الاعتقاد

(١) انظر: المقالات لأبي الحسن ٢/ ٢٢١ وشرح الأصول الخمسة ٢٩٩.
(٢) أخرجه أبوداود في السنن باب القدر ح٤٦٩١ والحاكم في المستدرك ١/ ٨٥ عن أبي حازم عن ابن عمر وهو منقطع لأن أباحازم سلمه بن دينار لم يسمع من ابن عمر. ورواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة برقم ١١٥٠ من طريق زكريا بن منظور وهو ضعيف وقد قال الألباني عن الحديث في صحيح الجامع الصغير بأنه حسن انظر صحيح الجامع للسيوطي رقم ٥١٦٣.
(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ٨/ ٢٨٨.

وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل[١].

والحقيقة أن مشيئة الله الكونية القدرية ليست ظلماً كما يدعي القدرية. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فله الحجة البالغة والعدل المطلق والحكمة في كل شيء ففي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي[٢] قال: قال لي عمران بن الحصين[٣] رضي الله عنه: «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قد قضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم. فقلت: بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم فقال: أفلا يكون ظلماً ففزعت فزعاً شديداً وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق. أو فيما يستقبلون به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال: لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك من كتاب الله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[٤][٥].

وممن تصدى لهذه الفرقة الضالة وفند ضلالاتها شيخ الإسلام بن

---

(١) شرح الطحاوية بتحقيق التركي والأرناؤوط ١/٣٢١.

(٢) أبوالأسود الدؤلي ويقال الديلي البصري اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ثقة فاضل مخضرم مات سنة ٦٩. انظر: تقريب التهذيب ٦١٩.

(٣) عمران بن الحصين صاحب رسول الله ﷺ سنة ٧ للهجرة. بعثه عمر رضي الله عنه إلى أهل البصرة يفقههم ويعلمهم أمور دينهم. غزا مع النبي ﷺ غير مرة. وكان ممن اعتزل الفتنة مات رضي الله عنه سنة ٥٢/ سير أعلام النبلاء ٣/٥٠٨.

(٤) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٥) رواه مسلم ح ٢٦٥٠.

تيمية رحمه الله حيث يصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة كما وصفهم الشيخ عبدالقادر الجيلاني فيما ذكرنا سابقاً. قال ابن تيمية:

وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محذور أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد والوعيد فهو أعظم ضلالاً وافتراءً على الله ومخالفة لدين الله من أولئك القدرية أن أولئك مشبهون بالمجوس وقد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف»[١].

وبتأمل أقوال كل طائفة يتضح أن كلاً من الجبرية والقدرية قد أصابت في جانب وأخطأ في الجانب الآخر.

فالجبرية أصابت في جعلها أفعال العباد مخلوقة لله ولكنها أخطأت في سلب العبد قدرته على فعل أفعاله.

والقدرية أصابت في تحميل العبد مسئولية فعله ولكنها أخطأت في سلب الرب عزوجل قدرته الغالبة على خلق كل شيء. ومن ذلك أفعال العباد في حين وفق الله أهل الحق وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة والمنعم عليهم وفقهم إلى القول الحق المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فأثبتوا للرب خلقه وفعله وأثبتوا أيضاً للعبد فعله ومسئوليته عن تصرفاته.

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٨/ ٤٥٢.

ولعل من المناسب أن أختم الحديث عن الجبرية والقدرية بكلام نفيس ذكره شارح الطحاوية حول هذا المعنى حيث يقول:

«وقال أهل الحق أفعال العباد بها صاروا طائعين وعصاة وهي مخلوقة لله تعالى والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه فالجبرية غلو في إثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلاً كما غلت المشبهة في إثبات الصفات فشبهوا[1] والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة بل أردأ من المجوس من حيث أن المجوس أثبتوا خَالِقَين وهؤلاء أثبتوا خالِقِين.

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. فكل دليل صحيح. يقيمه الجبري فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير. وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد له مختار له حقيقة. وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق ولايدل

---

(١) التشبيه هو التسوية بين الخالق والمخلوق وهو مذموم لأنه معارض لقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الشورى: ١١، وأول من قال بالتشبه الروافض الغلاة ويسمون البيانية الذين قالوا: أن معبودهم على صورة إنسان في أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه. (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً). انظر الفرق بين الفرق ص٢١٤، والملل والنحل ١/١٠٦.

على أنه غير مقدور لله تعالى أو أنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم وهذا هو الواقع في نفس الأمر فإن أدلة الحق لا تتعارض والحق يصدق بعضه بعضاً»(١).

(١) شرح الطحاوية بتحقيق التركي والأرناؤوط ٢/ ٦٤٠.

منازعة الأقدار

ينسب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني قوله:

«كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا وأنا انفتحت لي فيه روزنة[١] فنازعت[٢] أقدار الحق بالحق للحق والولي من يكون منازعاً للقدر لا من يكون موافقاً له»[٣].

وقد بحثت عن هذا الكلام فيما بين يدي من مؤلفات الشيخ عبدالقادر التي سبق أن أوضحت صحة نسبتها إليه في الباب الأول. فلم أعثر عليه، ولعله مما قاله مشافهة ثم نقل عنه دون أن يدوّن في شيء من كتبه. وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن مقصود الشيخ عبدالقادر الجيلاني فقال:

«جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره، وقد أمرنا الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان ونزيل الكفر بالإيمان والبدعة بالسنة والمعصية بالطاعة، من أنفسنا ومن عندنا، فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب. وإن كان ذلك بقدر الله. وعليه أن يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر بحسب الإمكان، ويجاهد في سبيل الله،

---

(١) الروزنة: الكوة والنافذة/ لسان العرب لابن منظور ١٣/ ١٧٩.

(٢) المنازعة المعاطاة قال تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي يتعاطون والمنازعة المصافحة. والمنازعة المجاذبة في الأعيان والمعاني/ لسان العرب لابن منظور ٨/ ٣٥١.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية ٢/ ٤٥٨، ٨/ ٣٠٦، ٨/ ٥٤٧، ١٠/ ١٥٨.

وإن كان ما يعمله من المنكر والكفر والفسوق والعصيان بقدر الله، ليس للإنسان أن يدع السعي فيما ينفعه الله به متكلاً على القدر، بل يفعل ما أمر الله ورسوله كما روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[١]. فأمر النبي ﷺ أن يحرص على ما ينفعه والذي ينفعه يحتاج إلى منازعة شياطين الإنس والجن ودفع ما قدر من الشر بما قدره الله من الخير، وعليه أن يستعين بالله فإنه لا حول ولا قوة إلاَّ به.

وهذا حقيقة قولك: إياك نعبد والذي قبله حقيقة وإياك نستعين، فعليه أن يعبد الله بفعل المأمور وترك المحذور، وأن يكون مستعيناً بالله على ذلك، وفي عبادة الله وطاعته فيما أقر إزالة ما قدر من الشر بما قدر من الخير، ودفع ما يريده الشيطان ويسعى فيه من الشر قبل أن يصل بما يدفعه الله به من الخير».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «فالذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله»[٢].

ويقول في موضع آخر:

«والشيخ عبدالقادر ـ رضي الله عنه ـ كان يعظم الأمر والنهي ويوصي باتباع ذلك، وينهى عن الاحتجاج بالقدر وكذلك شيخه حماد الدباس، وذلك لما رأوه في كثير من السالكين من الوقوف عند القدر

---

(١) رواه مسلم ح ٢٦٦٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٨/ ٥٤٧.

المعارض للأمر والنهي، والعبد مأمور بأن يجاهد في سبيل الله ويدفع ما قدر من المعاصي بما يقدر من الطاعات فهو منازع للمقدور المحظور بالمقدور المأمور لله تعالى وهذا هو دين الله الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

(١) فتاوى ابن تيمية ١/٣٠٦.

الفصل الثالث

النبـــوات

وتحته أربعة مباحث:

المبحـــث الأول: **مفهوم النبوة والرسالة والفرق بينهما**

المبحـــث الثاني: **الإيمان بنبوة محمد ﷺ**

المبحـــث الثالث: **عموم بعثته ﷺ إلى الثقلين**

المبحـــث الرابع: **معجزاته ودلائل نبوته ﷺ**

المبحث الأول

مفهوم النبوة والرسالة والفرق بينهما

تعريف النبي لغة:

للنبوة عند أهل اللغة ثلاثة استعمالات:

الأول: حينما تكون مشتقة من النبأ فتكون بمعنى الإخبار لأن النبأ معناه الخبر ومنه قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝﴾[١].

الثاني: حينما تشتق من النباوة أي الارتفاع فتكون بمعنى العلو والرفعة والظهور.

الثالث: عند اشتقاقها من النبيء بالهمز أي الطريق الواضح فتكون بمعنى الطريق الموصل إلى مرضاة الله عزوجل[٢].

وكل هذه المعاني موافقة للمعنى الشرعي للنبوة فهي إخبار عن الله عزوجل. بما أوحى إليه من ربه وهي أيضاً رفعة لصاحبها لما فيها من التكريم والتشريف فإن مقام النبوة مقام رفيع لا يكون إلا لمن يقع عليه الاختيار من الله عزوجل بحمل أعباء الرسالة وإبلاغها للناس يقول عزوجل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٣] ويقول سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[٤] كما أنها الطريق الواضح الجلي الذي لا يمكن

---

(١) النبأ: ١ ـ ٢.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ١٦٢ مادة نبأ.

(٣) الأنعام: ١٢٤.

(٤) القصص: ٦٨.

الوصول إلى مراضي الله واجتناب مساخطه والفوز بجنته والنجاة من ناره إلا عن طريقه. إلا أن أخص تلك المعاني بالدلالة هو الاستعمال الأول. لأن وظيفة النبي الرئيسية الإخبار عن الله وإبلاغ الأمة ما أوحي إليه من ربه.

تعريف الرسول لغة:

الرسول مأخوذ من الإرسال. أي البعث والتوجيه والرسول بمعنى الرسالة وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥﴾[٢] وعلى ذلك فالرسل إنما سمو بذلك لأن الله أرسلهم وبعثهم بالرسالات إلى أممهم وكلَّفهم بحملها وتبليغها قال عزوجل: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[٣].

الفرق بين النبي والرسول:

شاع عند العلماء أن النبي هو من أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه فهو رسول. فبينهما عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول[٤].

إلا أن هذا التعريف لا يستقيم مع ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[٥] فإنها

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/ ٢٨٤ مادة رسل.
(٢) النمل: ٣٥.
(٣) المؤمنون: ٤٤.
(٤) انظر لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٩.
(٥) الحج: ٥٢.

قد صرحت بأن كلاً منهما مرسل وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى تعريف أفضل وتفريق أكمل فقال:

والنبي هو الذي ينبؤه الله وهو ينبيء بما أنبأه الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول. إلى أن قال رحمه الله: فقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[1] دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق[2].

وإلى هذا المعنى ذهب أيضاً الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3] في كتابه أضواء البيان حيث يقول: «النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب

---

(١) الحج: ٥٢.

(٢) النبوات لابن تيمية ٢٥٥.

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ولد في موريتانيا عام ١٣٢٥هـ، وحفظ القرآن وبعض المختصرات ثم تبحر في سائر الفنون خصوصاً في الفقه على المذهب المالكي. وفي أصول الفقه والتفسير والمنطق والصرف والبلاغة وقد مارس التدريس والإفتاء والقضاء فترة من الزمن في بلاده حتى تيسرت له فرصة أداء فريضة الحج فعزم على الاستقرار في المملكة العربية السعودية وقد أسندت إليه بعض المهام التعليمية منها التدريس في المسجد النبوي الشريف ثم التدريس في كليتي الشريعة واللغة بالرياض لمدة عشر سنوات ثم التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وأستاذاً زائراً بمعهد القضاء العالي بالرياض إلى جانب اختياره عضواً بهيئة كبار العلماء ورابطة العالم الإسلامي. توفي رحمه الله بعد أداء فريضة الحج عام ١٣٩٣هـ تاركاً ثروة علمية عظيمة منها أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب وغيرها) ترجمة تلميذه الشيخ عطية محمد سالم مع مقدمة أضواء البيان.

وشرع مستقل مع المعجزة. التي تثبت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة»[١].

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٧٣٥.

المبحــث الثــاني

الإيمان بنبوة ورسالة محمد ﷺ

الإيمان بنبوة محمد ﷺ، وأن الله أرسله إلى الناس بشيراً ونذيراً أصل عظيم من أصول الإيمان إذ لا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بأن محمداً رسول رب العالمين.

والشهادة برسالته أحد فرعي الركن الأول من أركان الإسلام المذكورة في الحديث المتفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**»(١).

فيجب على كل مسلم الإيمان الجازم بأن محمداً ﷺ سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وخاتم النبيين وأنه وحده الذي تجب طاعته والاقتداء به حتى ينال العبد محبة الله استجابة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾(٢) وأن يؤمن بأن طاعته طاعة لله ومعصيته معصية لله عزوجل عملاً بقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٣).

---

(١) رواه البخاري ح٨ ومسلم ح١٦.
(٢) آل عمران: ٣١.
(٣) النساء: ٨٠.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر أن هذا هو ما تعتقده أمة الإسلام فيقول:

«ويعتقد أهل الإسلام قاطبة أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم رسول الله وسيد المرسلين وخاتم النبيين عليهم السلام»[(١)].

والإيمان بالرسول ﷺ معلوم من الدين بالضرورة وتقريره مستفيض عند عموم الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها لأنه المبلغ عن الله والمخبر للناس عن سر خلقهم وحكمة إيجادهم وهي عبادة الله وحده لا شريك له. وهناك تلازم دائم بين الإيمان بالله والإيمان بالرسول ﷺ. يوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

«لقد بيَّن القرآن إن الرسل أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له. ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه. وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة. وبيَّن أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة. ولهذا يجمع بينهما في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾[(٢)(٣)].

كما أن الإيمان برسالته صلوات الله وسلامه عليه توجب طاعته واتباعه فقد أمر الله بطاعته في كثير من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٤.
(٢) الأنعام: ١٥٠.
(٣) الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٥٥.

جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[١]
وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢].
إذ لا سعادة للعبد في الدنيا ولا نجاة له في الآخرة إلا باتباع هذا الرسول الكريم. يقول عزوجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[٣].

ومن السنة قوله صلوات الله وسلامه عليه: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»**[٤].

وقوله ﷺ: **«إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال ياقوم إني رأيت الجيش بعيني وأني أنا والله النذير العريان**[٥] **فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل**

---

(١) النساء: ٦٤.
(٢) آل عمران: ٣٢.
(٣) النساء: ١٣ ـ ١٤.
(٤) رواه البخاري ح٧٢٨٠.
(٥) قال النووي قوله ﷺ: «وأنا النذير العريان» قال العلماء أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم. وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم قالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو وقيل معناه أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عرياناً) شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٥٣ الحديث رقم ٢٢٨٣.

من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»[١].

وعن الآثار العظيمة المترتبة على الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته يتحدث بن القيم رحمه الله فيقول:

«والمقصود أنه بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته وجعل شقاوة الدارين في مخالفته. فلاتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة. ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.

وقد أقسم ﷺ بأنه: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٢] وأقسم الله سبحانه بأنه لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره ثم يرضى بحكمه ولا يجد في نفسه حرجاً مما حكم به ثم يسلم له تسليماً وينقاد له انقياداً[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤] فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله فليس لمؤمن أن يختار شيئاً بعد أمره ﷺ بل إذا أمر فأمره حتم»[٥].

---

(١) رواه البخاري ٧٢٨٣ ومسلم ح٢٢٨٣.
(٢) رواه البخاري ح١٥ ومسلم ح٤٤.
(٣) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥.
(٤) الأحزاب: ٣٦.
(٥) مقدمة زاد المعاد لابن القيم ١/ ٣٧.

المبحث الثالث

عموم بعثته ﷺ إلى الثقلين

لقد بعث الله رسوله ﷺ بعد أن انحرف الناس عن تعاليم الرسالات السماوية السابقة وانعدم أو كاد ينعدم أثرها في إصلاح الحياة الإنسانية فجاءت دعوته الخالدة تجديداً لدعوة التوحيد التي دعا إليها جميع الرسل وقد أوضح صلوات الله وسلامه عليه أن رسالته إكمال للرسالات السماوية التي كانت قبله ففي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»**[1].

ولئن كانت رسالة الإسلام قد امتدت بآفاقها إلى الماضي فاعترفت برسالات الأنبياء السابقة وأوجبت على المسلم الإيمان بهم فقد اختصت أيضاً بعمومها وشمولها لجميع الجن والإنس وقد أوضح الشيخ عبدالقادر الجيلاني ذلك بقوله:

«وأنه مبعوث إلى الناس كافة وإلى الجن عامة»[2].

ولا خلاف بين أهل الإسلام في أنه ﷺ قد بعث بالحق والهدى

---

(١) رواه مسلم ح٢٢٨٧.

(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٧٤.

والنور إلى الثقلين الجن والإنس، وهذه بعض أقوال علمائهم.

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عزوجل أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحبوا ما أحبه الله ورسوله. ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله.

وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فمن لم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة وغيرهم»[١].

ويقول شارح الطحاوية: «وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة»[٢].

وقد استدل علماء أهل السنة والجماعة بالكتاب الكريم والسنة المطهرة.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٣] يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد

(١) فتاوى ابن تيمية ٩/١٩.
(٢) شرح الطحاوية ١/ ١٧٠.
(٣) الأعراف: ١٥٨.

ﷺ: قل يامحمد ياأيها الناس، وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي «إني رسول الله إليكم جميعاً وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة»[١].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[٢] يقول ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يامحمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيراً من أطاعك ونذيراً من كذبك»[٣].

ثانياً: من السنة:

ما ثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٤.
(٢) سبأ: ٢٨.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير ١٢/٩٦.
(٤) رواه البخاري ح٣٣٥ ومسلم ح٥٢١.

المبحث الرابع

معجزاته ودلائل نبوته ﷺ[١]

المعجزة اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة[٢] وهي أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى إنه رسول من الله[٣].

ويعرفها بعض أهل العلم بأنها ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية تحفظ على إطلاق لفظ المعجزة على ما يؤيد الله به أنبيائه ورسله من البراهين الدالة على نبوتهم حيث يقول: (والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان إلى أن قال رحمه الله: وأما لفظ المعجزة فإنما يدل على أنه أعجز غيره وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلاً إذا فسر المراد به وذكر شرائطه ولذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة والسلف كأحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً ويقولون لخوارق الأولياء أنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي ﷺ فإن هذا يجب اختصاصه/ التفسير الكبير لابن تيمية ٢/ ١٤٤.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٨٩.

(٣) التعريفات للجرجاني ٢٨٢.

يقدر أحد على مثلها ولا على ما يقاربها[١].

ولقد أقام الله الحجة على الخلق بما بثه في أنفسهم وفي الآفاق حولهم من الآيات الدالة عليه وبما فطرهم عليه وغرز في طباعهم من ضرورة الإيمان به وأيضاً بما منحهم من العقول القادرة على النظر والتأمل إلا أنه سبحانه رحمة بعبادة وقطعاً لحجة الناس اقتضت حكمته أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين يذكرون الناس ويستنقذون فطرهم من ركام الشهوات وطغيان النزوات.

وهؤلاء الرسل وهم يخبرون عن أنفسهم بأنهم رسل من عند الله ويطلبون من الناس فعل ما أمر الله وترك ما حرمه مما تدعو إليه الأنفس والأهواء والشهوات، يحتاجون إلى أدلة وبراهين تبين للناس صدقهم. ولذا أيَّد الله رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم. يقول عزوجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ﴾[٢].

ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه باعتباره خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فقد أمدَّه الله بالعديد من الآيات والمعجزات والدلائل والبينات ما فاق بها جميع الأنبياء قبله.

والمعجزات التي أجراها الله عزوجل على يدي نبينا محمد ﷺ كثيرة. أورد الشيخ عبدالقادر الجيلاني منها ثمان معجزات هي:

أولاً: معجزة القرآن الكريم:

قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهو يذكر ما أعطيه ﷺ من

(١) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٩٠.
(٢) الحديد: ٢٥.

المعجزات منها: القرآن المنظوم على وجه مخصوص مفارق لجميع أوزان العرب ونظمه وترتيبه وبلاغته وفصاحته على وجه جاوز فصاحة كل فصيح وبلاغة كل بليغ وعجزت العرب أن تأتي ولو بسورة منه مع براعتهم وفصاحتهم على أهل زمانهم فلذلك صار القرآن معجزة له ﷺ كالعصا في حق موسى وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص في حق عيسى[(١)].

ومع أن دلالة المعجزات واضحة وبينة على صدق الرسل إلا أن عناد الكفار وجحودهم كان يحول بينهم وبين الإيمان ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[(٢)] ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[(٣)].

ولما كان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة ناسب أن تكون معجزات الرسل السابقين مشاهدة يرونها بأعينهم ثم تنتهي وتبقى خبراً بعد انتهائها كالنار التي جعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم وكالعصا التي ألقاها موسى فتحولت إلى حية تسعى: وكإحياء عيسى الموتى وإبرائه للأعمى والأبرص بإذن الله.

ولما كان رسول الله ﷺ مبعوثاً للعالمين وخاتماً للأنبياء والمرسلين شاء الله أن تكون معجزته نمطاً مخالفاً لمعجزات الرسل قبله. ولقد كان بالإمكان أن ينزل الله معجزة حسية تذهل الناس. يقول الله عزوجل: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾[(٤)]. لكن الله سبحانه

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٤.
(٢) النحل: ١٤.
(٣) الأنعام: ٣٣.
(٤) الشعراء: ٤.

أراد أن تكون معجزة هذا الرسول الكريم رسالة مفتوحة موجهة إلى الأمم كلها لا يحدها زمان ولا يحويها مكان تراها الأجيال ويقول كل مسلم. هذه معجزة نبي الإسلام. في حين لا يستطيع غير المسلم أن يرى الناس معجزة رسوله. وهذا على مر العصور وتكرار الدهور وقد أشار صلوات الله وسلامه عليه إلى اختلاف معجزته عن معجزات الأنبياء قبله. فقال:

«ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي من الآيات ما على مثله آمن البشر، وإنما الذي أوتيت وحياً أوحى إليَّ وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1]ولقد تحقق رجاؤه ﷺ وكثر أتباعه على مر القرون حتى بلغوا في العصر الحاضر ربع سكان الأرض. ولو أنهم التزموا بتعاليم هذا النبي الكريم في عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم وأدركوا مسئوليتهم في الدعوة إلى الله لهيمنت دعوة الإسلام على جميع أمم الأرض ولدخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن سقطت الشعارات وأفلست المذاهب وعانى الناس من التيه والضياع واللهث وراء السراب الخادع.

والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي أشار إليها الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما ذكرنا آنفاً والتي تحدى بها الله الثقلين بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[2] تلك المعجزة الباقية ما بقي الليل والنهار. ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم لا حصر لها. ولا حدود. يقول ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) رواه البخاري ح٧٢٧٤ ومسلم ح١٥٢.
(٢) الإسراء: ٨٨.

«وكون القرآن إنه معجز ليس من جهة فصاحته وبلاغته فقط. أو نظمه وأسلوبه فقط ولا من جهة إخباره بالغيب فقط. ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط. ولا من جهة سلب قدرتهم عن معارضته فقط بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بيَّن فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[3] وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له[4].

ويقول ابن حجر رحمه الله: «ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز. وبلاغته ظاهرة جداً. مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات

---

(١) الكهف: ٥٤.
(٢) الإسراء: ٨٩.
(٣) الزمر: ٢٧ ـ ٢٨.
(٤) التفسير الكبير لابن تيمية ٢/ ١٥٤.

مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم. وبما سيقع فوقع وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه مع تيسر حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند.

ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع من سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكان في ذلك أوضح معجزة»(١).

ومما يدل على أن القرآن الكريم أكبر معجزة للنبي ﷺ اشتماله على أعظم تشريع ينظم حياة البشرية في جميع مجالات الحياة بشكل يجعل الإنسان يجزم بأن هذا القرآن ليس من كلام ولا تنظيم البشر إذ لا يعقل أن يضع هذا التشريع المعجز في كل جزئية من جزئياته رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب وهو الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه. فلقد كان أمياً ولكنه بالرسالة أصبح معلم البشرية. وأستاذ الإنسانية وأميته ﷺ دليل من دلائل نبوته. يقول الله عزوجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(٢).

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٦/ ٦٧٣ باب علامات النبوة في الإسلام.
(٢) العنكبوت: ٤٨ ـ ٤٩.

وخلاصة القول أن القرآن أعظم معجزة أوتيها أكرم رسول صلوات الله وسلامه عليه وهو المعجزة الباقية بقاء الدهر والتي لا تزال الأيام تظهر إعجازه وعجائبه فهو الحجة الدائمة إلى يوم القيامة الذي تكفل الله بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[١].

ثانياً: معجزة نبع الماء:

من المعجزات التي أشار إليها الشيخ عبدالقادر الجيلاني «نبع الماء من بين أصابعه صلوات الله وسلامه عليه»[٢].

وهو يشير بهذا إلى ما حدث كثيراً لرسول الله ﷺ منها ما رواه جابر بن عبدالله[٣] رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة[٤] فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في ركوتك فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا. قيل لجابر: كم كنتم: قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة»[٥].

ومن ذلك أيضاً ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا

---

(١) الحجر: ٩.
(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.
(٣) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الإمام الكبير المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ. من أهل بيعة الرضوان روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ وكان مفتي المدينة في زمانه شهد ليلة العقبة مع والده، مات رضي الله عنه سنة ٧٨هـ/ سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٩.
(٤) الركوة: إناء للماء وجمعها ركاء وركوات/ مختار الصحاح ١٠٧.
(٥) رواه البخاري ح٣٥٧٦.

نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً. كنا مع النبي ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء. فجاءوا بإناء فيه قليل من ماء فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله. ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل[١].

قال ابن حجر رحمه الله: قال عياض[٢]: هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته.

ثالثاً: معجزة تكثير الطعام القليل:

يشير الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى نوع آخر من معجزاته ﷺ (**وهي إطعام الزاد القليل للخلق الكثير**)[٣].

وهذه المعجزة أيضاً وقعت أكثر من مرة وعاش أحداثها بعض الصحابة. فمن ذلك:

---

(١) رواه البخاري ح٣٥٧٩.

(٢) الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام القاضي عياض بن موسى بن عياض الأندلسي ولد سنة ٤٧٦ استبحر من العلوم وجمع وألف وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق توفي سنة ٥٤٤هـ/ سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢.

(٣) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.

١ ـ ما رواه أنس بن مالك[١] قال: قال أبوطلحة[٢] لأم سليم[٣]: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولا ثتني[٤] ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد والناس معه فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ أرسلك أبوطلحة؟ قلت: نعم، قال: بطعام؟ قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أباطلحة فأخبرته فقال أبوطلحة ياأم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبوطلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبوطلحة معه

---

(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الإمام المفتي المقريء المحدث راوية الإسلام خادم سيد البشر روى عن النبي ﷺ علماً غزيراً. حيث لازمه أكمل الملازمة منذ هاجر إلى أن مات وغزا معه غير مرة وبايعه تحت الشجرة مات رضي الله عنه سنة ٩٣هـ/ سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٥.

(٢) صاحب رسول الله ﷺ وأحد أعيان البدريين وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة واسمه زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي. له مناقب كثيرة وغزا بحر الروم وقيل توفي في السفينة والأشهر أنه مات بالمدينة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه سنة ٣٤/ سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧.

(٣) أم سليم الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك مات زوجها مالك بن النضر ثم تزوجها بعده أبوطلحة الأنصاري، تعد من أفاضل النساء شهدت حنيناً وأحداً ومعها خنجراً تقول إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه وكان صداقها في زواجها بأبي طلحة الإسلام/ سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٤.

(٤) لاثتني: أي لفتني به يقال لاث العمامة على رأسه أي عصبها والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه/ انظر: فتح الباري لابن حجر ٦/ ٦٨١.

فقال رسول الله ﷺ هلمي ياأم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففتَّ وعصرت أم سليم عكةً فأَدَمَتْهُ ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول ثم قال: ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال: ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[١].

٢ ـ ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: انكفأت إلى امرأتي في يوم الخندق فقلت هل عندك شيء فقد رأيت بالنبي ﷺ خمصاً[٢] شديداً فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن[٣] فذبحتها. وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة[٤] ثم جئت النبي ﷺ فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي ﷺ: ياأهل الخندق إن جابراً صنع سؤراً[٥] فحي هلا بكم فقال رسول الله ﷺ: لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء وجاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي[٦] من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا

---

(١) رواه البخاري ح٣٥٧٨.
(٢) الخَمْصَة بالفتح الجوعة والمخمص المجاعة/ مختار الصحاح للرازي ٨٠.
(٣) دجن في بيته إذا لزمه وبه سميت دواجن البيوت وهي ما ألف البيت من الشاء وغيرها الواحدة داجنة. لسان العرب لابن منظور ١٤٨/١٣.
(٤) البرمة القدر مختار الصحاح للرازي ٢٠.
(٥) أسأر فلان من طعامه وشرابه سؤراً. وذلك إذا أبقى بقية وبقية كل شيء سؤر/ لسان العرب لابن منظور ٤/ ٣٤٠.
(٦) قدح القدر إذا غرف ما فيها. المصدر السابق ٢/ ٥٥٥.

حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو[١].

وقد جاءت الأخبار عن هذه المعجزة عن جمع كثير من الصحابة رضوان الله عليهم مما يفيد القطع بها وقد أورد بن كثير طرق أحاديثها عن أنس وأبي هريرة وابن مسعود وأم أوس وأم شريك وأبي أيوب وجابر وسمرة بن جندب وعمر بن الخطاب وسلمان وغيرهم. رضي الله عنهم[٢].

رابعاً: معجزة كلام الذراع المسموم:

من المعجزات التي ذكرها الشيخ عبدالقادر الجيلاني كلام الذراع المسموم للنبي ﷺ وقوله: «**لا تأكل مني فإني مسموم**»[٣].

وهذه المعجزة يذكرها ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد عند الحديث عن غزوة خيبر فيقول: وفي هذه الغزاة سُمَّ رسول الله ﷺ، أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية قد سمَّتها وسألت أي اللحم أحب إليه فقالوا الذراع فأكثرت من السم في الذراع فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم فلفظ الأكلة ثم قال: اجمعوا لي مَنْ هاهنا من اليهود فَجُمِعُوا له فقال لهم: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي فيه قالوا: نعم ياأباالقاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان. قال: كذبتم بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت وبررت قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه

---

(١) رواه البخاري ٤١٠٢.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ١٠٤ ـ ١٢٣.
(٣) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.

قالوا: نعم ياأباالقاسم. وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال رسول الله ﷺ: من أهل النار فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها أبداً. ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه قالوا: نعم. قال: أجعلتم في هذه الشاة سماً؟ قالوا: نعم. قال: فما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك»(١).

خامساً معجزة انشقاق القمر:

يذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني هذه المعجزة ضمن دلائل نبوته صلوات الله وسلامه عليه فيذكر منها: «**انشقاق القمر**»(٢).

وهذه المعجزة جاءت بعد سؤال أهل مكة الرسول ﷺ أن يأتيهم بآية تدل على نبوته فانشق القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما، وقد كان القمر عند انشقاقه بدراً وقد سجل الله ذكر هذه المعجزة في القرآن فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾(٣). وقد نقل ابن كثير اتفاق العلماء والأئمة على وقوع هذه الآية وأن الأحاديث قد وردت بذكرها بطرق متعددة تفيد القطع(٤). وساق العديد من الأحاديث نذكر منها:

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣٣٥ والحديث رواه البخاري ح/ ٥٧٧٧.
(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.
(٣) القمر: ١ ـ ٥.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٧٧.

١ ـ ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[١].

٢ ـ ما رواه عبدالله بن مسعود[٢] رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا[٣].

وما أحسن ما قاله ابن كثير بعد أن ساق طرق الأحاديث فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة وشهرة هذا الأمر تغني عن إسناده مع وروده في الكتاب العزيز[٤].

سادساً: معجزة حنين الجذع:

ذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني ضمن معجزاته ﷺ: «**حنين الجذع**»[٥].

يقول ابن كثير: وقد وردت هذه المعجزة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان[٦].

روى البخاري من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن

---

(١) رواه البخاري ٣٦٣٧ ومسلم ح٢٨٠٢.

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي الإمام الحبر فقيه الأمة من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين شهد بدراً وهاجر الهجرتين، ومناقبه غزيرة وروى علماً كثيراً كان متخصصاً في معرفة القرآن الكريم وكان ضعيف الجسم قصير القامة قال عنه ﷺ: وقد تعجب الصحابة من دقة ساقيه: لهما في الميزان أثقل من جبل أحد سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١.

(٣) رواه البخاري ح٣٦٣٦ ومسلم ح٢٨٠٠.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٧٩.

(٥) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.

(٦) البداية والنهاية ٦/ ١٣١.

النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يارسول الله ألا نجعل لك منبراً، قال: إن شئتم. فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها[1].

سابعاً: معجزة كلام البعير:

شكوى البعير على رسول الله ﷺ وكلامه له معجزة ظاهرة من معجزاته صلوات الله وسلامه عليه التي ذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني فيقول: «وكلام البعير»[2].

وهذه المعجزة من رواية عبدالله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ بحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حنَّ وذرفت عيناه فأتاه النبي فمسح سراته إلى سنامه وذفراه[3] فسكن فقال من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل فجاءه فتى من الأنصار فقال: لي يارسول الله، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه[4].

---

(١) رواه البخاري ح٣٥٨٤.
(٢) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.
(٣) ذفري البعير أصل أذنه/ لسان العرب لابن منظور ٤/ ٣٠٧.
(٤) رواه أبوداود ح٢٥٤٩ وقال الألباني عنه بأنه حديث صحيح الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٢٨.

ثامناً: معجزة انقياد الشجر له صلوات الله وسلامه عليه:

ذكر الشيخ عبدالقادر الجيلاني من معجزاته ﷺ «مجيء الشجر إليه»[(١)].

وهي من المعجزات الثابتة له ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة[(٢)] من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان بشاطيء الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما. فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما يعني جمعهما فقال: التئما عليَّ بإذن الله. فالتأمتا.

قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربى فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال: برأسه هكذا وأشار برأسه يميناً وشمالاً ثم أقبل فلما انتهى إليَّ قال: ياجابر هل رأيت مقامي قلت: نعم يارسول الله قال: فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته فانذلق لي فأتيت

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٥.

(٢) الأداوة: المطهرة/ مختار الصحاح للرازي ص٥.

الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ. أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري ثم لحقته فقلت: قد فعلت يارسول الله فعمَّ ذاك قال: إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما مادام الغصنان رطبين[١].

وقد اكتفيت بذكر المعجزات التي ذكرها الشيخ عبدالقادر ولم أتعرض لغيرها وهي كثيرة جداً وكلها تشهد بما لا يدع مجالاً للشك بأنها إنما وقعت للنبي ﷺ للدلالة على أنه رسول من عند الله تجب طاعته ومتابعته وهذه المعجزات لا يقبلها ويؤمن بها إلا من شرح الله صدره ونور بصيرته أما المعاندون الضالون فهؤلاء لا تقنعهم الحجج ولا ترضخهم المعجزات لأنهم في الأصل قد صمموا على العناد والمكابرة كما قال الله فيهم: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[٢].

---

(١) رواه مسلم ح٣٠١٢.
(٢) الأعراف: ١٤٦.

الفصل الرابع
اليوم الآخر

وتحته ثمانية مباحث:

المبحث الأول: **عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير**

المبحث الثاني: **البعث بعد الموت**

المبحث الثالث: **المقام المحمود**

المبحث الرابع: **الشفاعة**

المبحث الخامس: **الحوض**

المبحث السادس: **الصراط**

المبحث السابع: **الميزان**

المبحث الثامن: **الجنة والنار**

المبحث الأول

عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير

القـــبر أول منزل من منازل الآخرة. فبعد موت الإنسان وانقطاع حياته ينتقل إلى الآخرة عن طريق أول منازلها وهو القبر. ليبدأ الجزاء على الأعمال فمن كان محسناً كافأه الله على إحسانه بالنعيم في القبر بتحويله إلى روضة من رياض الجنة. ومن كان مسيئاً والعياذ بالله عاقبه الله في قبره بتحويله إلى حفرة من حفر النار. ثم يستمر النعيم أو العذاب في القبر إلى أن تقوم الساعة ويُبعث الناس من قبورهم للحساب ثم إلى الجنة أو إلى النار.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يقرر وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه. فيقول:

«والإيمان بعذاب القبر وضغطته واجب لأهل المعاصي والكفر وجميع الخلق سوى النبيين ثم يخفف عن المؤمنين برحمة الله. وكذلك النعيم فيه لأهل الطاعة والإيمان»[١].

كما يقرر وجوب الإيمان بمنكر ونكير وأنهما يسألان الميت في قبره فيقول:

«ونؤمن بأن منكراً ونكيراً إلى كل أحد ينزلان سوى النبيين ويسألانه

(١) الغنية للجيلاني ١/٦٦.

ويمتحنانه عما يعتقده من الأديان وهما يأتيان القبر فيرسل فيه الروح ثم يقعد فإذا سئل سُلَّت روحه بلا ألم»[١].

وما ذهب إليه الشيخ الجيلاني من إيجاب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه هو معتقد أهل السنة والجماعة المقرر في أصولهم. وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل[٢].

٢ ـ وقال أبوالحسن الأشعري بعد أن عدَّد أصول أهل السنة والجماعة التي أجمعوا عليها: وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته[٣].

٣ ـ وقال محمد بن حسين الآجري: بعدأن سرد الأحاديث والآثار التي تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه: ما أسوأ حال من كذَّب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً[٤].

٤ ـ وقال ابن عبدالبر بعد أن ذكر الدعاء: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر. وفي هذا الحديث الإقرار بعذاب القبر ولا خلاف بين أهل السنة في جواز تصحيحه واعتقاد ذلك والإيمان به[٥].

---

(١) الغنية للجيلاني ١/٦٦.
(٢) طبقات الحنابلة ١/٦٢.
(٣) رسالة إلى أهل الثغر ٢٧٩ لأبي الحسن الأشعري.
(٤) الشريعة للآجري ٣٦٤.
(٥) التمهيد لابن عبدالبر ١٢/١٨٦.

وقال في موضع آخر بعد ذكره لحديث الخسوف: وأما قوله أوحى إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد مَنْ ربك وما دينك ومن نبيك. والآثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع(١).

٥ ـ وعقد الشيخ الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة فصلاً بعنوان: «الرد على من أنكر عذاب القبر» ثم ساق فيه بعض الأحاديث لإثبات عذاب القبر(٢).

٦ ـ وصنف ابن رجب الحنبلي رحمه الله كتاباً بعنوان أهوال القبور تحدث فيه في الباب السادس عن عذاب القبر ونعيمه فقال: وقد دلَّ القرآن على عذاب القبر في مواضع كثيرة ثم ساق بعض الآيات الكريمة وأقوال المفسرين حولها. كما ذكر كثيراً من الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه(٣).

أدلة أهل السنة والجماعة:

استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من إثبات عذاب القبر ونعيمه بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) المرجع السابق ٢٢/٢٤٧.
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ١/٤٤٩.
(٣) أهوال القبور لابن رجب ٣٩ ـ ٨١.

﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾[1] وقد فسرها النبي ﷺ بأنها نزلت في عذاب القبر فعن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. نزلت في عذاب القبر**»[2].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾[3] قال قتادة: يقال لهم: ياآل فرعون هذه منازلكم توبيخاً وصغاراً ونقيصة. وقال ابن سيرين[4]: كان أبوهريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول عرجت الملائكة وهبطت الملائكة وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلاَّ تعوَّذ بالله من النار[5].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[6] قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في العذاب الذي توعَّد الله به هؤلاء الظلمة دون يوم الصعقة فقال بعضهم هو عذاب القبر، ونقل هذا عن

---

(١) إبراهيم: ٢٧.
(٢) رواه البخاري ١٣٦٩ ومسلم ح٢٨٧١.
(٣) غافر: ٤٦.
(٤) أبوبكر محمد بن سيرين أبوه مولى أنس بن مالك اشتراه أنس ثم كاتبه قال عنه ابن سعد: كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً وهو من التابعين ولد سنة ٣٣، وتوفي ١١٠ بالبصرة روى عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت وغيرهما) انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٢٦٧ والأعلام للزركلي ٦/ ١٥٤.
(٥) ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٩١.
(٦) الطور: ٤٧.

البراء بن عازب وابن عباس رضي الله عنهما[١].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله ﷺ فيقال له. انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال فيراهما جميعاً وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت فيضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين[٢].

قال ابن حجر عند شرح هذا الحديث وغيره: وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر وأنه واقع على الكفار ومن شاء الله من الموحدين[٣].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر قال: نعم عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر[٤].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٧/ ٣٦.
(٢) رواه البخاري ح١٣٧٤ ومسلم ح٢٨٧٠.
(٣) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٨٣.
(٤) رواه البخاري ح١٣٧٢.

٣ ـ حديث أبوهريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(١).

ووجه الاستدلال بالأحاديث على إثبات عذاب القبر ونعيمه ظاهر ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه البخاري ح١٣٧٧ ومسلم ح٥٨٨.

مستقر الأرواح

تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن هذه المسألة باختصار شديد حيث قرَّر أن أرواح الشهداء والمؤمنين في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة فقال:

«وأن أرواح الشهداء والمؤمنين في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل من نور تحت العرش ثم تأتي إلى الأجساد عند النفخة الثانية إلى الأرض للعرض والحساب يوم القيامة»[1].

وقد اختلفت أقوال العلماء في مستقر الأرواح وذلك باختلاف تفاوت درجات تلك الأرواح وقسموها إلى ثلاثة أقسام.

الأول: أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فهذه بلا خلاف عند ربها في أعلى عليين. والدليل ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: **«إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر فلما نُزِلَ به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص ببصره إلى السقف ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. قلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به. قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي ﷺ قوله: اللهم الرفيق الأعلى»**[2].

الثاني: أرواح الشهداء الذين صرحت الأدلة بأن أرواحهم في

---

(١) الغنية للجيلاني ١/٦٩.

(٢) رواه البخاري ح٦٩٠٥.

أجواف طيور خضر معلقة بالعرش منها ما ثبت في صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[١] قال: «**أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال[٢] أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**»[٣].

الثالث: أرواح المكلفين من المؤمنين وغيرهم وهؤلاء تباينت أقوال العلماء حولهم وأرجح الأقوال فيها أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد رحمه الله فقد روى ابنه عبدالله قوله: أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة[٤].

وهو ما يرجحه ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: «وأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار تنعم أرواح المؤمنين وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان»[٥].

---

(١) آل عمران: ١٦٩.
(٢) قال النووي وهذا الحديث مرفوع لقوله إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي ﷺ/ شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/ ٣٤ ح رقم ١٨٨٧.
(٣) رواه مسلم ح١٨٨٧.
(٤) طبقات الحنابلة ١/ ١٨١.
(٥) الفتاوى لابن تيمية ٤/ ٣١١.

أما الفرق بين حياة الشهداء البرزخية في الجنة وحياة من عداهم من المؤمنين فقد أشار إليه ابن رجب بقوله: «والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها. ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد فإن الشهداء بذلوا أجسادهم في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

الثاني: أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت له في حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة وروى يعلقون بفتح اللام وضمها فقيل إنهما بمعنى واحد وأن المراد الأكل من الشجر قال ابن عبدالبر وقيل رواية الضم معناها الأكل ورواية الفتح معناها التعلق ذكره ابن الجوزي وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم»[1].

---

(١) أهوال القبور لابن رجب الحنبلي ١٢٥.

شــبهة وردهــا

يفترض الشيخ عبدالقادر الجيلاني ورود اعتراض على وقوع عذاب القبر ونعيمه فيما إذا لم يدفن الميت في قبر كمن تعرض للغرق أو الحريق أو أكلته السباع فيقول:

«فإن اعترضوا عليها فقالوا: كيف القول في المصلوب والمحترق والغريق ومن أكلته السباع فتفرقت بلحمه والطير معها فحصل أجزاء متعددة»(١).

ثم تولى الإجابة على هذا الاعتراض بالرد والإبطال فقال: **«يقال لهم: أن النبي ﷺ ذكر عذاب القبر والمساءلة على ما هو معهود وعادة في الخلق أنهم يدفنون في القبور وإن وجد ميت على هذه الصفة البعيدة النادرة لا يمتنع أن يقال إن الله يصيِّر روحه إلى الأرض ثم تُضغط وتُسأل وتُعذَّب وتُنعَّم كما أن أرواح الكفار تُعذَّب كل يوم مرتين غدوة وعشية حتى تقوم الساعة ثم تدخل النار مع الأجساد حينئذٍ كما قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾(٢)»**(٣).

وبمثل ما أجاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني على هذا الاعتراض أجاب علماء أهل السنة والجماعة يقول شارح الطحاوية رحمه الله:

«وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٦٩.
(٢) غافر: ٤٦.
(٣) الغنية للجيلاني ١/ ٦٩.

ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً. وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا».

إلى أن قال رحمه الله: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يُحمَّل كلامه ما لا يحتمله ولا يُقصَّر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام. وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول ولاسيما أن أضيف إليه سوء القصد والله المستعان»[1].

(١) شرح الطحاوية ٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨٠.

المبحث الثاني

البعث بعد الموت

البعث بعد الموت حقيقة دلَّت عليه الفطر السليمة وصرحت به جميع الكتب السماوية وأخبر به جميع الأنبياء والرسل. والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقها.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله يشير إلى وجوب الإيمان به فيقول:

«ثم إن الإيمان بالبعث من القبور والنشر عنها واجب كما قال الله عزوجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[1] **وكما قال الله عزوجل:** ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] **وقال جل وعلا:** ﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾[3] **سيحشرهم ويجمعهم جميعاً جل وعلا:** ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[4] **و**﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾[5] **وقال جل جلاله:** ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[6][7].

---

(١) الحج: ٧.

(٢) الأعراف: ٢٩.

(٣) طه: ٥٥.

(٤) طه: ١٥.

(٥) النجم: ٣١.

(٦) الروم: ٤٠.

(٧) الغنية للجيلاني ١/٦٩.

وإلى هذا ذهب أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة حيث يقررون أهمية الإيمان بالبعث بعد الموت لما له من تأثير عظيم في استقامة الإنسان وحمله على العمل الصالح والابتعاد عن المعاصي والظلم والعدوان والبغي والفساد. وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل: «والصور حق ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فيموت الخلق ثم ينفخ فيه أخرى فيقومون لرب العالمين عزوجل للحساب والقصاص والثواب والعقاب، والجنة والنار، ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين ويتولى حسابهم بنفسه لا يولي ذلك غيره عزوجل»[١].

٢ ـ وقال الشيخ الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة وبكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله ﷺ من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هناك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل والإجابة عن المسائل إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر وغيرها»[٢].

٣ ـ وقال ابن عبدالبر: «وفي هذا الحديث من الفقه أن من شرط الشهادة التي بها يخرج من الكفر إلى الإيمان مع الإقرار بألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. الإقرار بالبعث بعد الموت. وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة. وفي

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.
(٢) عقيدة السلف للصابوني ٥٨.

ذلك ما يغني ويكفي مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك)[١].

٤ ـ وقال شارح الطحاوية: «الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه ورد على منكريه في غالب سور القرآن وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة. فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين[٢] وكان هو الحاشر المقفي[٣] بيَّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء»[٤].

٥ ـ وقال السفاريني: واعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دلَّ عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الإيمان به والتصديق بموجبه لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول ودلَّ عليه عند الجمهور صريح المعقول وهو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها لقوله تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٩/١١٦.

(٢) يشير إلى ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه البخاري ح٦٥٠٤ ومسلم ح٢٩٥١.

(٣) ثبت في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» رواه البخاري ح٤٨٩٦ ومسلم ح٢٣٥٤.

(٤) شرح الطحاوية ٢/٥٨٩.

﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾[١] إلى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والأحاديث الساطعة النبوية[٢].

---

(١) يس ٧٩.
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/١٥٧.

أدلـة البعـث بعـد المـوت

الإيمان بالبعث من الإيمان بالغيبيات الذي هو أول ما ينبغي أن يصدِّق به المؤمن وهو الصفة البارزة من صفات المؤمنين المتقين. يقول عزوجل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[١] ولا سبيل إلى معرفة البعث إلا عن طريق النص الموحى به من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة.

أولاً: من القرآن الكريم:

لقد عنى القرآن الكريم بقضية البعث عناية فائقة وجاءت الأدلة الكثيرة وتعددت الأساليب المتنوعة لتقرير هذه العقيدة لما لثباتها في قلب المؤمن من أثر فعال في استقامة خطوه على درب الحياة. وسأكتفي بذكر بعض تلك الأساليب. وهي:

الأول: الاستدلال على وقوع البعث والنشأة الأخرى بما نشاهده يومياً من الخلق والإحياء الدال على قدرة الله وبالتالي القدرة على إعادة خلقهم وإلى هذا أشار الشيخ عبدالقادر الجيلاني بقوله: «**فالذي قدر على إنشاء الخلق قادر على إعادتهم**»[٢]، وقد جاء هذا كثيراً في القرآن الكريم، يقول عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ

(١) البقرة: ٢.
(٢) الغنية للجيلاني ١/٦٩.

وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾[1]. فالقادر على هذا الخلق المشاهد والمعلوم قادر على إعادته مرة أخرى.

ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾[2].

ويقول عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[3].

الثاني: تأكيده وقوع البعث بالأمر للنبي ﷺ بأن يقسم بأنه كائن لا محالة وذلك في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[4]. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾[6].

الثالث: عرض مشاهد لما سيكون من حوار في الآخرة بين أهل

---

(١) الحج: ٥ ـ ٧.
(٢) مريم: ٦٦ ـ ٦٧.
(٣) الروم: ٢٧.
(٤) التغابن: ٧.
(٥) سبأ: ٣.
(٦) يونس: ٥٣.

الإيمان المصدقين بالبعث وهم في الجنة يتنعمون وبين أهل الكفر والتكذيب بالبعث وهم في النار يعذبون وبيان أن كفرهم وتكذيبهم بالبعث بعد الموت أدى بهم إلى هذا المصير السيء: يقول عزوجل: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦١ ﴾(١).

ويقول عزوجل: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١ ﴾(٢).

الرابع: أن مقتضى العدل الذي قامت عليه السموات والأرض أن يبعث الله العباد ليجزيهم على أعمالهم. لأن سوق الحياة ينفض دون أن يتحقق العدل الكامل والإنصاف الشامل في تصرفات الناس فالله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يحبه الله وقد انقسم الناس إلى فريقين فريق استقام على أمر الله وبذل نفسه وماله ومات ولم يجد ثواباً على ذلك وفريق رفض أمر الله وطغى وبغى وملأ الأرض فساداً ومات دون أن يجد عقوبة على فساده فهل يمكن أن يكون مصير الفريقين واحداً إن العقل يجزم بالبعث ويستبعد أن يستوي هؤلاء وهؤلاء. يقول

---

(١) الصافات ٥٠ ـ ٦١.
(٢) الأعراف: ٥٠ ـ ٥١.

عزوجل: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾[(١)] ويقول سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾[(٢)] ويقول عزوجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾[(٣)]

---

(١) القلم: ٣٥ ـ ٣٦.
(٢) الجاثية: ٢١ ـ ٢٢.
(٣) ص: ٢٧ ـ ٢٨.

ثانياً: الأدلة من السنة:

أما أدلة البعث من السنة المطهرة فكثيرة جداً منها:

١ ـ حديث عمر بن الخطاب والمشهور بحديث جبريل وفيه قول النبي ﷺ فأخبرني عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

٢ ـ قوله ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[٢].

٣ ـ قوله ﷺ: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق**»[٣] ووجه الدلالة في هذه الأحاديث على إثبات وقوع البعث بعد الموت واضح ولله الحمد والمنة.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه مسلم ح٢٨٧٨.
(٣) رواه البخاري ح٦٥١٨ ومسلم ح٢٣٧٣.

المبحث الثالث

المقام المحمود

المقام المحمود من الفضائل العظيمة التي وُعد بها نبينا محمد ﷺ يوم القيامة وورد بيانها في السنة المطهرة وقررها ... أهل السنة والجماعة.

وللشيخ عبدالقادر الجيلاني في المقام المحمود قول مرجوح يعارضه الدليل وإن كان هذا القول قد قيل قبله كما سيأتي بيان ذلك بمشيئة الله تعالى.

فأما الشيخ عبدالقادر فقد قال:

«وأهل السنة يعتقدون أن الله يجلس رسوله المختار على سائر رسله وأنبيائه معه على العرش يوم القيامة»[١].

وما نسبه الشيخ عبدالقادر الجيلاني إلى أهل السنة على العموم فيه نظر فقد ذكر ابن حجر في الفتح أن الجمهور على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة وأن الواحدي[٢] قد نقل فيه الإجماع[٣].

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧١.

(٢) الإمام العلامة علي بن أحمد بن محمد الواحدي صاحب التفسير وإمام علماء التأويل له ثلاثة تفاسير البسيط، والوسيط، والوجيز، تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه مات سنة ٤٦٨هـ/ سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/ ٣٣٩.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٣٤.

وعند تفسير الطبري لهذه الآية: «﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ قال: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقوده ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ثم ذكر أسماء من نُقِلَ عنهم أنهم قالوا: إن المقام المحمود هو الشفاعة من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين رحمهم الله وهم: حذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، والحسن البصري، ومجاهد، وسليمان، وقتادة»[١].

ولو أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني أشار إلى الخلاف الواقع في هذه المسألة بين أهل السنة ثم نقل أن هذا رأي بعضهم لكان هذا هو الصواب.

وقد اختلف العلماء في تعيين المقام المحمود الذي وعد الله به نبيه يوم البعث على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الجمهور وغالب أهل العلم كما سبق بيانه أن المقام المحمود هو الشفاعة كما صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة فقد روى البخاري في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان أشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[٢].

كما روى أيضاً في الصحيح عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٤.

(٢) رواه البخاري ح٤٧١٨.

أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[(١)] قال ابن حجر: وقال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة[(٢)].

وقد روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ وسئل عنها قال: «**هي الشفاعة**»[(٣)].

وعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت أنا وأمتي على تل فيكسوني حلة خضراء ثم يأذن لي تبارك وتعالى أن أقول ما شاء الله أن أقول وذلك المقام المحمود**»[(٤)].

القول الثاني: أن المقام المحمود هو إعطاؤه صلوات الله وسلامه عليه لواء الحمد يوم القيامة، وقد جمع الشوكاني بين هذا القول والقول الأول فقال: ويمكن أن يقال إن هذا لا ينافي القول الأول إذ لا منافاة

---

(١) رواه البخاري ح٦١٤.
(٢) فتح الباري ٢/١١٣.
(٣) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن كتاب التفسير باب ١٨ ٥/٣٠٣ وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٦٩، ٢٣٧٠ ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢/٣٥٠.
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٥٦ وابن أبي عاصم في السنة ٢/٣٥٠ وقال عنه الألباني إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات ولطرفه الأخير شاهد من حديث جابر مرفوعاً ـ يعني به حديث البخاري رقم ٦١٤.
كما أخرجه الحاكم ٤/٥٧٠ وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

بين كونه قائماً مقام الشفاعة وبيده لواء الحمد[١].

القول الثالث: أن المقام المحمود هو أن يجلس الرسول ﷺ مع الله سبحانه وتعالى على كرسيه. وقد نقل الطبري ذلك في التفسير عن عبدالله بن سلام ولكن في إسناده مجهول وهو سيف السدوسي[٢].

كما نقل الطبري في تفسيره ذلك عن ليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ قال يجلسه معه على عرشه[٣].

وقد دعم هذا القول الخلال في كتابه السنة ونقله عن عدد كبير من علماء عصره حتى اتهموا من لم يقل به بالكفر والتجهم والزندقة والعياذ بالله[٤].

وبتأمل تلك الأقوال والأدلة التي اعتمد عليها القائلون بها ونظراً إلى أن منهج أهل السنة والجماعة يعتمد في الاستدلال في أمور العقيدة وغيرها على تقديم الكتاب الكريم ثم السنة المطهرة ثم كلام الصحابة رضوان الله عليهم. فإنه يتضح ما يلي:

أولاً: أن القول الأول قد اعتمد على قول الرسول ﷺ في تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة يوم القيامة كما هو واضح من الأدلة

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٥٢.
(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٨ وقد قال الألباني عن سيف السدوسي بأنه لم يجده ولكنه وجد في طبقته سيف السعدي وهو في عداد المجهولين فلعله هو لأن من المحتمل أن السدوسي تحرف على الناسخ من السعدي/ ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ٢/ ٣٥١.
(٣) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٥.
(٤) انظر: السنة للخلال تحقيق الدكتور عطية الزهراني ٢٠٩ ـ ٢٦٩.

الصحيحة التي أوضحناها كما اعتمد على القول الصريح للصحابي الجليل عبدالله بن عمر والذي لا يمكن أن يقول به إلا وقد سمعه من رسول الله ﷺ لأن هذه المسألة من الغيبيات التي لا مجال للاجتهاد فيها.

ثانياً: أن الآثار التي وردت عن مجاهد رحمه الله قد تعارضت فقد روى الطبري في تفسيره عن مجاهد أنه قال: المقام المحمود هو مقام الشفاعة يوم القيامة، وذلك من طريقين: الأول عن ابن أبي نجيح، والثاني عن ابن جريج(١).

ورواية مجاهد إن صحت تعارض بالنصوص الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة ومعارضة بروايته هو كما أسلفنا ولذا أخذ العلماء على مجاهد هذا القول وعدوه من الأقوال المهجورة، فقد قال ابن عبدالبر: «ليس من العلماء أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»، ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل آيتين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما أحدهما هذا ـ أي القول بأن معنى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ تنظر الثواب والآخرة، وقوله في قول الله عزوجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعة)(٢).

فإن الراجح هو القول الأول ونعوذ بالله من الجهمية والزنادقة

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٤٤.
(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٧/ ١٥٧.

وبدعهم كما نعوذ به تعالى من أن ننفي فضيلة ثابتة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بل في إثبات القول بأن المقام المحمود هو الشفاعة أعظم فضيلة يحوز عليها بشر فقد تأخر عنها حتى أولو العزم من الرسل ولم يتقدم لها إلا سيد البشر وخاتم النبيين فأي فضيلة أعظم من هذا. والله أعلم.

المبحث الرابع

الشفاعة

الشفاعة لغة: هي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[١].

واصطلاحاً: سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام[٢].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يقرر وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة فيقول:

«والإيمان بأن الله تعالى يقبل شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر والأوزار واجب قبل دخول النار عاماً للحساب لجميع أمم المؤمنين، وبعد دخولها لأمته خاصة فيخرجون منها بشفاعته ﷺ. وغيره من المؤمنين حتى لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة في عمره مخلصاً لله عزوجل»[٣].

وكلامه هذا اشتمل على بيان عدة شفاعات .

الأولى: شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر قبل دخول النار.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٢٦٣.
(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٥٨.
(٣) الغنية للجيلاني ١/٦٩.

الثانية: شفاعته ﷺ في أهل الكبائر بعد دخولهم النار.

الثالثة: شفاعة المؤمنين لأهل الكبائر لإخراجهم من النار.

وهو بهذا يوافق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين حسبما وردت به الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع نفي الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة.

وتتم الشفاعة ابتداءً حينما يشتد الكرب على الناس في عرصات القيامة ويطول انتظار الخلائق في ذلك الموقف العظيم. فيبحث الناس عمن له منزلة عالية عند الله عزوجل كي يشفع لهم عنده سبحانه في تخليصهم مما هم فيه من الأهوال والكربات. ثم تقع أنواع الشفاعة الأخرى فيما بعد على التفصيل الذي سنذكره إن شاء الله.

وعلماء أهل السنة والجماعة كما أسلفت يثبتون الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة وهذه بعض أقوالهم:

١ - قال الإمام أحمد عن الشفاعة: «وأن الله يخرج أقواماً من النار بشفاعة محمد ﷺ»[١].

٢ - وعقد ابن خزيمة باباً مطولاً في كتابه التوحيد بعنوان: «باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ التي قد خُصَّ بها دون الأنبياء سواه صلوات الله عليه وسلامه لأمته وشفاعة النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وشفاعة بعض أمته لبعض أمته ممن أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعد ما قد عذبوا فيها

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفر الله لهم ولم يتجاوز لهم عنها بفضله وجوده بالله نتعوذ من النار. ثم ساق الأحاديث والآثار التي تثبت الشفاعة للنبي ﷺ»[١].

٣ ـ وقال أبوالحسن الأشعري وهو يرد على منكري الشفاعة:

«وقد أجمع المسلمون أن لرسول الله ﷺ شفاعة: فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أم للمؤمنين المخلصين؟

فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا.

وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعدين بها قيل لهم: فإذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشرين والله عزوجل لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته. وما معنى قولكم: إنهم قد استحقوها على الله عزوجل واستوجبوها عليه سبحانه، وإذا كان الله عزوجل لا يظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلماً وإنما يشفع الشفعاء إلى الله عزوجل في أن لا يظلم على مذهبكم. تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً.

فإن قالوا: يشفع النبي ﷺ إلى الله في أن يزيدهم من فضله لا في أن يدخلهم جناته.

قيل لهم: أوليس قد وعدهم الله عزوجل ذلك فقال تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾[٢] والله عزوجل لا يخلف وعده، فإنما يشفع إلى الله عزوجل عندكم في أن لا يخلف وعده

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ٢٤١.
(٢) النساء: ١٧٣.

وهذا جهل منكم وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقاباً أن يوضع عنه عقابه، أو في من لم يعده شيئاً أن يتفضل به عليه. فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقاً فلا وجه لهذا.

فإن سألوا عن قول الله عزوجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(١)] فالجواب عن ذلك: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ فهم يشفعون له. وقد روى أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر[(٢)]. وروى عن النبي ﷺ (أن المذنبين يخرجون من النار»[(٣)].

٤ ـ عقد الإ مام الآجري باباً بعنوان وجوب الإيمان بالشفاعة قال فيه: «اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها وبأشياء سنذكرها إن شاء الله مما لها أصل في كتاب الله عزوجل وسنن رسول الله ﷺ وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان وقول فقهاء المسلمين. والمعتزلة يخالفون هذا كله لا يلتفتون إلى سنن الرسول ﷺ ولا إلى سنن الصحابة رضي الله عنهم وإنما يعارضون بمتشابه القرآن وبما أراهم العقل عندهم. وليس هذا طريق المسلمين وإنما هذا طريق من قد زاغ عن طريق الحق ولعب به الشيطان وقد حذرنا الله عزوجل ممن هذه صفته وحذرنا هم النبي ﷺ وحذرناهم أئمة

---

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) يشير إلى الحديث الصحيح ولفظه: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وهو حديث صحيح رواه أبوداود رقم ٤٧٣٩ باب الشفاعة. وأحمد في المسند من حديث أنس رضي الله عنه ٣/ ٢١٢ والترمذي رقم ٢٤٣٧ في صفة القيامة وصححه الحاكم ١/ ٦٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني برقم ٣٧١٤ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.

(٣) الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص١٦٢.

المسلمين قديماً وحديثاً»[١].

٥ ـ الإمام الصابوني يقول: ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة النبي ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ.[٢]

وهكذا يتبين موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لما ذهب إليه أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة للنبي ﷺ.

أدلة ثبوت شفاعته صلوات الله وسلامه عليه:

استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الشافعين بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة كعادتهم في إثبات جميع عقائدهم:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[٤].

٣ ـ قوله عزوجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٥]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الشفاعة بعد الإذن من الله عزوجل وفي حالة الرضا عن المشفوع.

---

(١) الشريعة للآجري ٣٣١.

(٢) عقيدة السلف للصابوني ٥٨.

(٣) النجم: ٢٦.

(٤) طه: ١٠٩.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما أدلة السنة المطهرة فكثيرة جداً منها:

١ ـ حديث أبوهريرة الطويل، قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد يبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنوا منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس ألا ترون ما أنتم فيه ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم. فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ثم ذكر أنهم يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام وكلهم يقول: اذهبوا إلى غيري فيأتوني ويقولون: يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يارب أمتي يارب... الحديث»**[١].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»**[٢].

---

(١) رواه البخاري ٤٧١٢ ومسلم ح١٩٤.

(٢) رواه مسلم ح١٩٦.

٣ ـ حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[1].

(١) رواه البخاري ح٦٣٠٥، ومسلم ح١٩٩.

شرط وقوع الشفاعة

الشفاعة التي وردت النصوص الشرعية بإثباتها وردت مقيدة بشرطين أساسيين لا تتحقق الشفاعة إلا بوجودهما وهما:

الأول: الإذن من الله للشافع كي يشفع لأن الشفاعة ملك لله وحده ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾[١] وليس للشافع حق في طلبها إلا بعد الإذن من المالك لها وهو الله.

الثاني: الرضى عن المشفوع فيه بأن يكون أهلاً للشفاعة لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة قال عزوجل: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[٢].

وقد جاء هذان الشرطان في قوله تعالى: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهو الشرط الأول ﴿وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[٣] وهو الشرط الثاني.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[٤] والمعنى أن الشفاعة إنما ينتفع بها من أذن له الرحمن وكان له قول يرضي.

---

(١) الزمر: ٤٤.
(٢) المدثر: ٤٨.
(٣) النجم: ٢٦.
(٤) طه: ١٠٩.

أنـواع الشـفاعـة

أشار الشيخ عبدالقادر الجيلاني في حديثه عن الشفاعة الذي سبق ذكره إلى ثلاثة أنواع من الشفاعة وهي:

١ ـ شفاعته ﷺ في أهل الكبائر والأوزار قبل دخول النار.

٢ ـ شفاعته العامة للحساب لجميع أمم المؤمنين.

٣ ـ شفاعته لأمته خاصة في إخراج من دخل إلى النار حتى لا يبقى فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وهذه الأنواع الثلاثة خاصة بالنبي ﷺ إلا أنه رحمه الله أشار إلى شفاعة غير النبي ﷺ ولكنها لا تقع إلا في إخراج أصحاب الذنوب من النار.

وقد تحدث علماء أهل السنة والجماعة وبسطوا القول في أنواع الشفاعة وقسموها إلى قسمين:

الأول: ما اختص به ﷺ وهي:

١ ـ الشفاعة العظمى في الخلائق كلهم ليخلصوا من هول الموقف وليقضى بينهم حين يقف الناس خاضعين أمام خالقهم ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم إلى الله في تخليصهم من كربات هذا اليوم العظيم وينتهي السؤال إليه ﷺ فيقول: أنا لها. وقد سبق بيان دليل هذا النوع[١].

٢ ـ شفاعته ﷺ لأهل الجنة ليدخلوها بعد الفراغ من حسابهم ودليل هذا

---

(١) رواه البخاري ح٤٧١٢ ومسلم ح١٩٤.

النوع حديث أنس بن مالك الذي رواه مسلم[١] والذي سبق ذكره.

٣ ـ شفاعته صلوات الله وسلامه عليه لتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب لما كان يقوم به من حمايته والدفاع عنه ودليل هذا النوع إجابته صلوات الله وسلامه عليه حينما سئل عن عمه أبي طالب وقيل له: هل نفعت أباطالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: نعم هو في ضحضاح[٢] من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار[٣].

٤ ـ الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار أن لا يدخلوها ودليلها كما يقول ابن حجر في الفتح[٤] حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه والذي فيه: فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي اي شيء كمر البرق قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار[٥].

٥ ـ شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ودليل هذا النوع قول ابن عباس: «السابق بالخيرات

---

(١) رواه مسلم ح١٩٦.

(٢) الضحضاح الماء القليل على وجه الأرض والذي لا يبلغ الكعبين/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٧٥.

(٣) رواه البخاري ح٦٥٦٤ رواه مسلم ح٢٠٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٣٦.

(٥) رواه مسلم ح١٩٥.

يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ»[١].

٦ ـ الشفاعة في رفع درجات بعض المؤمنين من أهل الجنة يدل عليها حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ دخل على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه[٢].

٧ ـ الشفاعة في دخول بعض المؤمنين إلى الجنة بغير حساب ولا عذاب كدعائه لعكاشة بن محصن[٣] في أن يكون من ضمن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عرضت عليَّ الأمم فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ح١١٤٥٤ وفي سنده موسى بن عبدالرحمن الصنعاني قال الذهبي في الميزان معروف ليس بثقة فإن ابن حبان قال فيه دجال. وقال ابن عدي منكر الحديث وعد هذا الخبر من منكراته. وقال الهيثمي في المجمع ٣٧٨/١٠ بعد أن نسبه إلى الطبراني في الكبير والأوسط وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني وهو وضاع.

(٢) رواه مسلم ح٩٢٠.

(٣) أحد السابقين الأولين البدريين كان من أجمل الرجال، انكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً من نخل فعاد سيفاً في يده قاتل به، وشهد به المشاهد، بعثه خالد بن الوليد مع ثابت بن أقرم طليعة له فظفر بهما طليحة بن خويلد الأسدي فقتلهما سنة ١٢ للهجرة في خلافة أبي بكر أثناء حروب الردة/ سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٠٧/١.

معه الخمسة والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير قلت: ياجبريل هؤلاء أمتي قال: لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت: ولم قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: اللهم اجعله منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة»[١].

النوع الثاني: الشفاعة المشتركة التي يشاركه صلوات الله وسلامه عليه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون وهو نوع واحد فقط. وهو الشفاعة في أهل الكبائر ممن دخل النار ودليل هذا النوع حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة»[٢]. قال ابن كثير رحمه الله: وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا به في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته[٣].

---

(١) رواه البخاري ح٦٥٤١ ومسلم ح٢٢٠.

(٢) رواه مسلم ح١٩١.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢/ ١٧٩ وانظر فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٣٣ وكتاب التوحيد لابن خزيمة ٢٤١ ولوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢١١ وشرح الطحاوية ١/ ٢٨٢.

المبحث الخامس

الحوض

الحوض في اللغة مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض. ولما ظهر لأم إسماعيل ماء زمزم جعلت تحوِّضه أي تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء[١].

وشرعاً: ما أثبته الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع الماء النازل من نهر الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر أن عقيدة أهل السنة هي الإيمان بوجود حوض النبي ﷺ. فيقول:

«وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا محمد ﷺ حوضاً في القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق على عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر أصله في الجنة وفرعه في الموقف»[٢].

وقد اشتمل كلامه رحمه الله عى عدة مسائل:

١ ـ إثبات الحوض يوم القيامة.

٢ ـ أنه يشرب منه المؤمنون دون الكافرين.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/١٤١ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٤٦١.

(٢) الغنية للجيلاني ١/٧١.

٣ ـ أن مكانه بعد تجاوز الصراط وهو ما اختلف فيه أهل العلم حيث ذهب بعضهم إلى أن الحوض قبل الصراط، وبعضهم يرأى رأي الشيخ عبدالقادر في أن الحوض بعد الصراط. وقد عرض ابن حجر أدلة الفريقين في فتح الباري فقال: «إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط إشارة منه إلى أن الورود على الحوض بعد نصب الصراط والمرور عليه وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض قد نجا من النار فكيف يرد إليها وهو ما رجحه القرطبي في التذكرة»[١]. وبعد ذكر الأدلة رجح ابن حجر أن الحوض يكون قبل المرور على الصراط.

٤ ـ صفات الحوض وأن عرضه مسيرة شهر وماءه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأن أباريقه عدد نجوم السماء وهذه الصفات أخذها من النصوص التي وردت لإثبات الحوض.

٥ ـ كون مائه من الكوثر.

وهذه المسائل الخمس مما اتفق عليها أهل السنة والجماعة ماعدا المسألة الثالثة فقد أشرت إلى الخلاف فيها وترجيح القرطبي وابن حجر أن الحوض قبل الصراط أما المسائل الأربع الأخرى فقد وردت أقوال للعلماء مثبتة لها ومنها:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته عرضه مثل طوله مسيرة شهر آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٧٤.
(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٢.

٢ ـ نقل الآجري أن أنس بن مالك رضي الله عنه دخل على جماعة وهم يتذاكرون الحوض فلما رأوني طلعت عليهم قالوا قد جاءكم أنس فقالوا: ياأنس ما تقول في الحوض فقلت: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلٍّ واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها عزوجل أن يوردها حوض محمد ﷺ قال محمد بن الحسين ـ أي الآجري ـ ألا ترون إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة حتى العجائز يسألن الله عزوجل أن يسقيهن من حوضه ﷺ فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويكذب به وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله عزوجل نبينا محمد ﷺ كفاية عن الإكثار[١].

٣ ـ وقال ابن عبدالبر: الأحاديث في حوضه ﷺ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ. إلى أن قال رحمه الله: والآثار في الحوض أكثر من أن تحصى وأصح ما ينقل ويروى[٢].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض بالكتاب والسنة كما يلي:

---

(١) الشريعة للآجري ٣٥٧.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢/ ٢٩١.

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[١] روى مسلم عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسماً فقلت: ما أضحكك يارسول الله؟ فقال: **«أنزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ:** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ **ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي خيراً كثيراً هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[٢].

وهذه الآية الكريمة تثبت أمرين هما:

الأول: الكوثر وهو نهر من أنهار الجنة وُعِد به رسول الله ﷺ وخصَّ به دون غيره.

الثاني: إثبات الحوض وهو مجمع مصب ماء نهر الكوثر في عرصات القيامة. يرد عليه من تمسك بسنته صلوات الله وسلامه عليه ليشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

ثانياً: من السنة المطهرة:

أما إثبات حوض النبي ﷺ من السنة فقد دلَّت عليه أحاديث كثيرة تبلغ في مجموعها مبلغ التواتر رواها عدد كبير من الصحابة رضوان الله

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) رواه مسلم ح٤٠٠.

عليهم، يقول ابن حجر رحمه الله في الفتح نقلاً عن القرطبي في المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف[1].

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١ ـ حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»**[2].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**[3].

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ليردن عليَّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[4].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٧٥.
(٢) رواه البخاري ح٦٥٨٣ ومسلم ح٢٢٩٠.
(٣) رواه البخاري ح٦٥٨٠ ومسلم ح٢٣٠٣.
(٤) رواه البخاري ح٦٥٨٢ ومسلم ح٢٣٠٤.

ووجه الاستدلال في هذه الأحاديث واضح في إثبات أن للنبي ﷺ حوضاً يوم القيامة نسأل الله أن نكون ممن يرد عليه ويشرب منه بمنه وكرمه.

المبحـــث الســـادس

الصـــراط

الصراط في اللغة: الطريق الواضح[١].

وفي الشرع: جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر عليه يمر الناس على قدر أعمالهم[٢].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يؤكد على وجوب الإيمان به فيقول: **«والإيمان بالصراط على جهنم واجب وهو جسر ممدود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار ويجوز من يشاء ويسقط في جهنم من يشاء، ولهم في تلك الأحوال أنوار على قدر أعمالهم. فهم بين ماشٍ وساعٍ وراكب وزحف وسحب»**[٣].

وتقسيم الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذين يؤخذون إلى النار إلى قسمين إذا أراد به أن المشركين يؤخذون إلى النار قبل الصراط أن هذا قسم ثم الذين يؤخذون من فوق الصراط فيسقطون في النار وهذا قسم ثانٍ فالتقسيم صحيح.

وأما إذا أراد أن الساقطين من فوق الجسر إلى النار أنهم قسمان فهذا غير واضح، أما الذين أشار إليهم بإن لهم أنوار على قدر أعمالهم

(١) لسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٤٠ ومختار الصحاح للرازي ١٥١.
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٩.
(٣) الغنية للجيلاني ١/ ٧٠.

فإنه يعني بهم أولئك الذين لديهم أعمال صالحة حالت بينهم وبين السقوط في جهنم وتمكنوا بها من السير على الصراط ولكن سيرهم يتفاوت بحسب أعمالهم.

وما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني من وجوب الإيمان بالصراط هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة وهذا طرف من بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى فتقول الملائكة يارب من يمر على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي فيقولون: ياربنا ما عبدناك حق عبادتك[(١)].

٢ ـ وقال الإمام أحمد بن حنبل: والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك نسأل الله عزوجل السلامة في الجواز[(٢)].

٣ ـ وقال الإمام ابن بطة العكبري: ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ سلم سلم والصراط كما جاء في الحديث إنه أحدُّ من السيف وأدقُّ من الشعرة[(٣)].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بالصراط:

أولاً: بالإشارة الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) ذكره اللالكائي انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم ٢٢٢١.
(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/ ٢٧.
(٣) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ص٢٢١.
(٤) مريم: ٧١ـ٧٢.

ثانياً: من السنة فقد وردت عدة أحاديث تضمنت ذكر الصراط وصفاته وصفة المرور عليه. منها:

١ ـ حديث حذيفة بن اليمان الطويل، وفيه: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم ترو إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب[1] معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكدوس في النار**»[2].

٢ ـ حديث أبي هريرة وفيه، قوله ﷺ: «**ويضرب الجسر بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم في ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذٍ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان[3] هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلاّ الله عزوجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم:**

---

(١) كلاليب جمع كلوب وهو حديدة معوجة الرأس/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ١٩٥.

(٢) رواه مسلم ح١٩٥.

(٣) السعدان نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٣٦٧.

المخردل ثم ينجو.. إلخ الحديث»[١].

٣ ـ حديث أبوسعيد الخدري الطويل وفيه أن النبي ﷺ قال: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم. قيل يارسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة[٢] فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[٣] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب[٤] فناجٍ مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس على وجهه في النار»[٥].

---

(١) رواه البخاري ح٦٥٧٣ ومسلم ح١٨٢.

(٢) الدحض الزَّلقَ/ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ١٠٤.

(٣) الحسك جمع حسكة وهو شوكة صلبة معروفة/ المصدر السابق ١/ ٣٨٦.

(٤) الركاب الرواحل من الإبل/ المصدر السابق ٢/ ٢٥٦.

(٥) رواه مسلم ح١٨٣.

المبحث السابع
الميزان

الميزان في اللغة: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء والوزن هو معرفة قدر الشيء(١).

وفي الشرع: هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات(٢).

ووزن الأعمال يوم القيامة مما وردت به النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة والشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر أن الإيمان به هو عقيدة أهل السنة، فيقول:

«ويعتقد أهل السنة أن لله تعالى ميزاناً يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة له كفتان ولسان. وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ **تكذيبهم قال الله تعالى:** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٣)، **وقال تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾(٤)

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٥٢٢.
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٤.
(٣) الأنبياء: ٤٧.
(٤) القارعة: ٦ ـ ٩.

والعدل لا يوصف بالخفة والثقل[١].

وبتأمل كلام الشيخ عبدالقادر نجد أنه تضمن عدة أمور:

١ ـ إثبات وتقرير الإيمان بالميزان.

٢ ـ أن الموزون يوم القيامة هو الحسنات والسيئات ال(تي يعملها العباد في هذه الحياة الدنيا.

٣ ـ أن المعتزلة والمرجئة والخوارج قد أنكروا الميزان وقالوا: بأنه بمعنى العدل.

٤ ـ أن الميزان له كفتان ولسان.

فأما ما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر من إثبات الميزان فهو عقيدة أهل السنة والجماعة حيث يثبتون أن الله ينصب الميزان يوم القيامة لوزن حسنات وسيئات العباد إظهاراً للعدل وهذه بعض أقوالهم.

١ ـ قال الإمام أحمد: والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما شاء أن توزن[٢].

٢ ـ عقد الآجري باباً في كتابه الشريعة بعنوان الإيمان بالميزان وأنه حق يوزن به الحسنات والسيئات ثم ساق عدداً كبيراً من الأحاديث والآثار التي تثبت الإيمان بالميزان[٣].

٣ ـ قال ابن بطة العكبري: وقد اتفق أهل العلم بالأخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجب لازم[٤].

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٢.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٧.

(٣) الشريعة للآجري ٣٨٢.

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري ٢٢٣.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إثبات الميزان بما يلي:

أولاً: من الكتاب الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾[3].

ووجه الاستدلال في هذه الآيات الكريمة ظاهر في إثبات الإيمان بالميزان كما قرر ذلك علماء التفسير[4].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**[5].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ نائماً ذات يوم ورأسه في حجري فبكيت فقطرت دموعي على خده فانتبه رسول

---

(١) الأنبياء: ٤٧.
(٢) الأعراف: ٨، ٩.
(٣) القارعة: ٦ ـ ٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٢٢ و١٧/ ٣٣.
(٥) رواه البخاري ح٦٤٠٦ ومسلم ح٢٦٩٤.

الله ﷺ فقال: مالك؟ قلت: ذكرت القيامة وأهوالها فهل يذكر أحدٌ أحداً يومئذٍ فقال ﷺ: **«أما في ثلاثة مواطن فلا، عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أن صحيفته توضع في يمينه أو شماله وعلى الصراط»**[١].

٣ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: **«أنا فاعل»** قلت: يارسول الله فأين أطلبك؟ قال: **«اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»**، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: **«فاطلبني عند الميزان»**، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: **«فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطيء هذه الثلاث المواطن»**[٢].

---

(١) رواه أبوداود ح٤٧٥٥ والإمام أحمد في المسند ٦/١١٠ والحاكم ٤/٥٧٨ وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين.

(٢) رواه الترمذي ح٢٥٦٣ وقال عنه الألباني في صحيح الترمذي بأنه صحيح ح١٩٨١.

ثانياً: ما ذكره الشيخ عبدالقادر أن الموزون يوم القيامة هو الحسنات والسيئات التي يعملها العباد مما اختلف فيه أهل العلم على أقوال:

الأول: أن الذي يوزن هي الأعمال نفسها وأنها توضع في الميزان حيث تأتي الأعمال الحسنة على صورة حسنة، والأعمال السيئة على صورة قبيحة، ودليل أصحاب هذا القول حديث أبي هريرة الصحيح وهو قوله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[1] وقد وردت نصوص كثيرة تدل على أن الأعمال تأتي يوم القيامة على هيئة أشكال تحاجان عن صاحبهما فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه واقرأوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان**[2] **أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**».
قال معاوية ـ يعني ابن سلام[3] ـ بلغني أن البطلة السحرة[4] وهذا القول هو ما ذهب إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق بيانه.

---

(١) رواه البخاري ح٦٤٠٦ ومسلم ح٢٦٩٤.
(٢) قال النووي: الغمامة كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامة/ شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ٣٣٨.
(٣) معاوية ابن الإمام أبي سلام الحبشي العربي الشامي وثقه النسائي وغيره وكان من أئمة الدين وقال يحيى بن معين أعده محدث أهل الشام في زمانه وقال عنه أحمد بن حنبل ثقة مات سنة ١٧٠هـ سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٧.
(٤) رواه مسلم ح٨٠٤.

الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه وأن العباد يوزنون يوم القيامة فيثقلون أو يخفون بقدر إيمانهم لا بضخامة أجسامهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرؤا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾**[1]»[2].

الثالث: أن الموزون صحائف الأعمال فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً كل سجل مثل مدَّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة ما هذه السجلات فقال: فإنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء**»[3].

وقد رجَّح القرطبي هذا القول فقال: والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف. قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى

---

(١) سورة الكهف: ١٠٥.

(٢) رواه البخاري ح٤٧٢٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٧٣ بلفظ قريب منه ورواه الترمذي ح٢٧٨٩ وابن ماجه ح٤٣٠٠ وقال عنه الألباني بأنه حديث صحيح وله سند آخر بمعناه انظر: صحيح الترمذي للألباني ٢/ ٣٣٣.

الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله[١].

كما مال إلى هذا القول السفاريني فقال: «والحق أن الموزون صحائف الأعمال وصححه ابن عبدالبر وغيرهما وذهب إليه جمهور من المفسرين»[٢].

ويمكن الجمع بين ما دلت عليه النصوص التي أوردها أصحاب كل قول بالقول بأن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله وهو ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله. بعد أن أضاف قولاً رابعاً هو بمعنى القول الأول حيث يقول:

والذي استظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عزوجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل الميزان[٣] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق

---

(١) التذكرة للقرطبي ٣١٣.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ١٨٧.

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة[١].

ثالثاً: قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ بأن المعتزلة والمرجئة والخوارج قد أنكروا الميزان وقالوا بأنه بمعنى العدل.

فأما المعتزلة فقد نقل الأيجي[٢] في المواقف أنهم ينكرون الميزان لأن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها[٣].

ولكن القاضي عبدالجبار في شرح الأصول الخمسة يقول: «ولم يُرِد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف بيننا دون العدل وغيره على ما يقول بعض الناس، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز يبين ذلك ويوضحه أنه لو كان الميزان إنما هو العدل لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين»[٤].

ومعنى كلام القاضي عبدالجبار أنه يثبت الميزان على حقيقته وذلك يدل على أن المعتزلة لا يقولون بأجمعهم بأن الميزان هو العدل كما ذكر الأيجي وهو ما ذكره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق بيانه.

وأما المرجئة فلم نجد لهم قولاً في إنكار الميزان وإنما النص الوارد عنهم أنهم يثبتون الوزن يوم القيامة فقد نقل أبوالحسن الأشعري

---

(١) معارج القبول لحافظ الحكمي ٢/ ٨٤٨.

(٢) عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار الإيجي عالم بالأصول والمعاني والعربية له مصنفات منها المواقف في علم الكلام توفي سنة ٧٥٦هـ/ الأعلام للزركلي ٣/ ٢٩٥.

(٣) المواقف للإيجي ٣٨٤.

(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ٧٣٥.

اختلافهم في الميزان على مقالين: إذ قال قائلون منهم: الإيمان يحبط عقاب الفسق لأنه أوزن منه وإن الله لا يعذِّب موحداً وهذا قول مقاتل بن سليمان.

وقال قائلون منهم بتجويز عذاب الموحدين وأن الله يوازن حسناتهم بسيئاتهم فإن رجحت حسناتهم أدخلهم الجنة، وإن رجحت سيئاتهم كان له أن يعذبهم وله أن يتفضل عليهم وإن لم ترجح حسناتهم على سيئاتهم ولا رجحت سيئاتهم على حسناتهم تفضل عليهم بالجنة»[1].

أما الخوارج فلم أجد فيما بين يدي من كتب الفرق من نسب إليهم القول بإنكار الميزان ولعل الشيخ عبدالقادر الجيلاني نسبه إليهم بناءً أصلهم بأن صاحب الكبيرة كافر ومخلد في النار وعلى هذا فلا معنى لوزن حسناته وسيئاته والله أعلم.

رابعاً: كون الميزان له كفتان ولسان هذا ما قرره الشيخ عبدالقادر ولكن في ذلك نظر فقد تتبعت الأحاديث والآثار التي وردت في ذكر الميزان فلم أجد ذكر اللسان الذي أشار إليه الشيخ عبدالقادر أما الكفتان فقد جاء ذكرهما في حديث ليس في الصحيحين وهو ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مدَّ البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يارب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك**

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ١٥١.

اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فيقول: أحضروه فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[1].

فإذا صح هذا الحديث فلعله يشهد لذلك إلا أنني أود الإشارة إلى أن محاولة إخضاع الغيبيات لتصورات البشر بغير دليل شرعي صحيح. من السلبيات التي وقع فيها بعض أهل السنة انطلاقاً من مقصدهم النبيل وهو الإثبات وعدم التأويل والرد على المعطلة ولكن المغالاة في ذلك بغير دليل ربما أوقع في سلبية التكييف أو التشبيه وسواء كان ذلك في صفات الباري سبحانه أو في أفعاله يوم القيامة ومنها وزن الأعمال فإن المعطلة كما أسلفنا يقولون بأن معنى الوزن أي العدل نافين بذلك حقيقة الوزن مما دفع ببعض أهل السنة إلى مقابلتهم بإثبات الميزان على الوجه الحقيقي المعروف للناس وأن له لسان وكفتان وهذا تكييف بغير دليل إذ لا يلزم من وجود الميزان وجود كفتين ولسان فقد شاهدنا في حياتنا المعاصرة موازين دقيقة من غير كفتين ولا لسان وهي موازين درجات الحرارة وضغط الدم، وموازين الذهب الألكترونية وغيرها. والله سبحانه قادر على إيجاد موازين يوم القيامة لوزن الأعمال من غير كفتين أو لسان والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه.

المبحـــث الثـــامـــن

الجنـــة والنـــار

الجنة هي الدار التي أعدَّها الله لعباده المؤمنين الخاضعين لشريعته والمتبعين لرسله وهي دار النعيم والثواب المقيم أعدَّ الله فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[(١)] ومن دخلها فقد فاز الفوز العظيم وربح الربح الذي ليس بعده خسارة، يقول عزوجل: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[(٢)].

والنار هي الدار التي أعدَّها الله للكافرين به المكذبين لرسله المتمردين على شريعته فهي الخزي الأكبر والخسران العظيم يقول عزوجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٣)] أعدَّ الله فيها من العذاب والنكال ما لا تتصوره العقول يقول الله عزوجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(٤)].

والإيمان بالجنة والنار من أهم قضايا الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان مما لا يتم الإيمان إلا بها.

---

(١) السجدة: ١٧.
(٢) آل عمران: ١٨٥.
(٣) التوبة: ٦٣.
(٤) الزمر: ٤٧.

وقد تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن الجنة والنار فقال:

«ويعتقد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وهما داران أعدهما الله تعالى إحداهما للنعيم والثواب لأهل الطاعة والإيمان والأخرى للعقاب والنكال لأهل المعاصي والطغيان وهما منذ خلقهما الله تعالى باقيتان لا تفنيان أبداً. وهي الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام، وإبليس اللعين ثم أخرجا منها للقصة المشهورة. وقد أنكرت المعتزلة ذلك فأما الجنة فلا يدخلونها وأما النار فلعمري هم فيها داخلون مخلدون لأنكارهم ولحكمهم بذلك للمؤمن الموحد المطيع لله عزوجل سبعين سنة بكبيرة واحدة»[(١)].

وقد تضمن كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني خمس مسائل رئيسية هي:

الأولى: اعتقاد أهل السنة والجماعة بوجود الجنة والنار.
الثانية: أنهما لا تفنيان أبداً.
الثالثة: أن الجنة هي الجنة التي كان فيها آدم وحواء.
الرابعة: إنكار المعتزلة لوجودهما الآن وإنكارهم بقائها.
الخامسة: الحكم على المعتزلة بعدم دخول الجنة.

وفيما يلي عرض لمذهب أهل السنة والجماعة في كل مسألة من هذه المسائل بإيجاز.

أولاً: أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن:

ما ذكره الشيخ عبدالقادر الجيلاني من أن الجنة والنار داران

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٣.

مخلوقتان موجودتان الآن معتقد أهل السنة والجماعة وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله: «وأن الله خلق الجنة قبل الخلق وخلق لها أهلاً ونعيمها دائم ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلاً وعذابها دائم»[١].

٢ ـ وقال أبوالحسن الأشعري عن عقيدة أصحاب الحديث: «ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان»[٢].

٣ ـ وعقد الآجري كتاباً مطولاً في كتابه الشريعة بعنوان: «كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان ثم قال اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد على أن الله عزوجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الإيمان دل على ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله ممن كذب بهذا، ثم أورد كثيراً من نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة يثبت بها ما ذكره»[٣].

٤ ـ قال الإمام الصابوني وهو يستعرض عقيدة السلف وأصحاب الحديث: «ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان»[٤].

٥ ـ قال ابن عبدالبر عند ذكره لحديث صلاة الكسوف: «وفي الحديث

---

(١) رسالة الإمام أحمد التي بعثها لمسدد بن مسرهد ذكرها أبويعلى في طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٤.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٢٩٦.

(٣) الشريعة للآجري ٣٨٧.

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ٦٤.

أيضاً من ذكر الجنة والنار دليل على أنهما مخلوقتان وعلى ذلك جماعة أهل العلم وأنهما لا يبيدان من بين سائر المخلوقات وأهل البدع ينكرون ذلك»[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من القول بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن بالأدلة الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى عن الجنة: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[٢].

٢ ـ قوله تعالى عن الجنة أيضاً: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾[٣].

٣ ـ قوله جل جلاله عن النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾[٤].

٤ ـ قوله عزوجل عن النار أيضاً: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾[٥].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة ثم ركع فأطال ثم رفع رأسه ثم استفتح بسورة

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٣/ ٣٢٠.
(٢) آل عمران: ١٣٣.
(٣) الحديد: ٢١.
(٤) البقرة: ٢٣٤، آل عمران: ١٣١.
(٥) الفتح: ٦.

أخرى ثم ركع حتى قضاها وسجد ثم فعل ذلك في الثانية ثم قال: «**إنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى يفرج عنكم لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها عمرو بن لُحَيٍّ[١] وهو الذي سيب السوائب**»[٢].

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف فإني أراكم من أمامي ومن خلفي ثم قال: والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قالوا: وما رأيت يارسول الله قال: رأيت الجنة والنار**»[٣].

٣ ـ حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[٤].

ووجه الاستدلال في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ظاهر فإن الله أخبر أنه أعد الجنة وما فيها لأهل التقوى والإيمان وأعد النار وما

---

(١) عمرو بن لُحيٍّ بن حارثة الأزدي أول من بدل دين إسماعيل ودعى العرب إلى عبادة الأوثان كنيته أبوثمامة كان قد تولى حجابة البيت الحرام بمكة وزار بلاد الشام فوجد أهلها يعبدون الأصنام وأعجب عمرو بتلك الأصنام فأخذ عدداً منها ونصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها/ الأعلام للزركلي ٥/ ٨٤.

(٢) رواه البخاري ح١٢١٢ ومسلم ح٩٠١.

(٣) رواه مسلم ح٤٢٦.

(٤) رواه البخاري ٦٥٤٦ ومسلم ح٢٧٣٧.

فيها لأهل الكفر والنفاق والإعداد فيه التصريح بثبوت الشيء وتحققه وأنه مخلوق وموجود الآن كما أن الرسول ﷺ أخبر أنه رأى الجنة والنار واطلع عليهما وعلى أهلهما ومعنى هذا أنهما مخلوقتان وموجودتان الآن وهو معتقد أهل السنة والجماعة وهو أيضاً ما قرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق.

ثانياً: أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً:

يذهب الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا إلى القول ببقاء الجنة والنار وأبديتهما وعدم فنائهما ويذكر أن هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وهذه المسألة مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة حيث يقولون بعدم فنائهما وإلى أنهما باقيتان أبد الآبدين وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ قال الإمام أحمد رحمه الله وقد خلقت النار وما فيها وخلقت الجنة وما فيها خلقهما الله عزوجل ثم خلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عزوجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1] وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عزوجل عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا[2].

٢ ـ قال الإمام عبيد الله بن بطة العكبري: «ثم الإيمان بأن الله عزوجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق ونعيم الجنة لا يزول دائم أبداً في النضرة والنعيم والأزواج من الحور العين لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن ولا ينقطع ثمارها ونعيمها كما قال عزوجل: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[3] وأما عذاب النار فدائم أبداً بدوام الله وأهلها فيها مخلدون خالدون من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك

(١) القصص: ٨٨.
(٢) طبقات الحنابلة ١/٢٨.
(٣) الرعد: ٣٥.

بالسنة[١].

٣ ـ قال ابن عبدالبر رحمه الله: قال أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تبيدان لأنهما إذا كانتا لا تبيدان حتى تبيد الدنيا ومعلوم أن الدنيا إذا انقرضت بقيام الساعة جاءت الاخرة والآخرة غير خالية من جهنم كما أنها غير خالية من الجنة لأن الجنة رحمة الله تعالى والنار عذابه يصيب بها من يشاء من عباده[٢].

٤ ـ قال ابن تيمية رحمه الله: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[٣].

وقد استدل عامة أهل السنة على ما ذهبوا إليه من القول بخلود الدارين ـ أعني الجنة والنار وعدم فنائهما ـ بأدلة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾[٤].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ

(١) الشرح والإبانة لابن بطة العكبري ٢٢٨.
(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٥/ ١٠.
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٣٠٧.
(٤) النساء: ٥٧

وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١).

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾(٢).

٤ ـ وقال تعالى في النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾(٣).

٥ ـ ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾(٤).

٦ ـ ويقول جل وعلا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٥).

ووجه الاستدلال في تلك الآيات أن الله ذكر أن أهل النعيم يتنعمون في الجنة بصفة أبدية دائمة وأنهم لن يخرجوا منها كما أخبر عن أهل النار أنهم أيضاً يعذبون فيها بشكل دائم وبصورة متواصلة وأنهم لن يخرجوا منها.

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم ياأهل النار لا موت**

---

(١) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.
(٢) الحجر: ٤٧ ـ ٤٨.
(٣) النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٤) المائدة: ٣٧.
(٥) البقرة: ١٦٧.

ياأهل الجنة لا موت. خلود»[١].

٢ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال ياأهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون[٢] وينظرون ويقولون نعم: هذا الموت. ويقال ياأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح ثم يقال: ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت». قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[٣]»[٤].

٣ ـ حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً فذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٥][٦].

ودلالة هذه الأحاديث على بقاء الجنة والنار وبقاء أهلها بها للنعيم أو للعذاب ظاهرة ولله الحمد والمنة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال في

---

(١) رواه البخاري ٦٥٤٤ ومسلم ح٢٨٥٠.
(٢) يشرئبون: أي يرفعون رؤوسهم لينظروا/ النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٥٥.
(٣) مريم: ٣٩.
(٤) رواه البخاري ح٤٧٣٠ ومسلم ح٢٨٤٩.
(٥) الأعراف: ٤٣.
(٦) رواه مسلم ح٢٨٣٧.

أبدية النار قولان معروفان عن السلف والخلف وأن النزاع في ذلك معروف عن التابعين ثم ساق طرق الذين قطعوا بدوام النار وخلودها وعدم فنائها، وهي:

١ ـ اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف حادث وهو من أقوال أهل البدع.

٢ ـ أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر، عنهم وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

٣ ـ أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

٤ ـ أن الرسول ﷺ وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

٥ ـ أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فنائها عن أهل البدع.

٦ ـ أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار لأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت

العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب لرجعت كما كانت يقول عزوجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾[(١)] فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع[(٢)].

ثم ذكر بعد ذلك جواب القائلين بفناء النار على هذه الأدلة بما لا إقناع فيه مع صراحة الأدلة التي تضمنها الكتاب الكريم والسنة المطهرة مما سبق إيراده ولا مجال للعقل في الخوض فيه مادام الله عزوجل ورسوله ﷺ قد أخبرا بشكل صريح وواضح إلى خلود الدارين وخلود أهلهما وعدم فنائهما.

ويلاحظ أن ابن القيم رحمه الله لم يرجح أي القولين أولى بالصواب حيث قال: فهذه نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب فإن قيل فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة قيل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾[(٣)] وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم

---

(١) الأنعام: ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) حادي الأرواح لابن القيم ٢٥٤ بتصرف يسير وشفاء العليل ٥١٨ بأسلوب قريب منه.
(٣) هود: ١٠٧.

يفعل الله بعد ذلك ما يشاء[١].

ورغم أن كلامه في كتابه شفاء العليل يوحي بميله إلى رأي القائلين بفناء النار وعدم أبديتها[٢] فإنه قد صرح بأن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع حيث يقول: «والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة السلف والذين قالوه إنما تلقوه من قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً»[٣].

---

(١) حادي الأرواح ٢٧٤.
وفي شفاء العليل إضافة إلى ذلك قوله رحمه الله: وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء.
وعلى مذهب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: (لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً) وذكر ذلك في تفسير قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الأنعام: ١٢٨.
وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: (انتهى القرآن كله إلى هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ هود: ١٠٧.
وعلى مذهب قتادة حيث يقول في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ الله أعلم بتبيينه على ما وقعت.
وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول (أخبرنا الله الذي يشاء لأهل الجنة فقال ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ هود ١٠٨ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار).
والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك وإلا كان قولاً عليه بغير علم والنصوص لا تفهم ذلك والله أعلم). شفاء العليل لابن القيم ٥٢٢.
(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم ٥٠٦ ـ ٥١٨.
(٣) حادي الأرواح ٢٤٧.

ويقول في الوابل الصيب: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب يشينه خبث وخبث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض»[١].

ومثل ذلك موجود في كثير من مؤلفاته[٢] وهو ما يتفق مع منهجه في الاستدلال باعتباره من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أكابر الدعاة إليها رحمه الله رحمة واسعة.

وقد حاول بعض الباحثين المعاصرين تبرئة الشيخين أعني ابن تيمية وابن القيم مما نسب إليهما أو فهم من كلامهما ومنهم... الدكتور بكر أبوزيد في كتابه «ابن القيم حياته وآثاره» ص١٤٨ والدكتور عبدالله محمد جار النبي في كتابه «ابن القيم وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف» ٥٦٧ والله أعلم.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ٣٣.
(٢) انظر: زاد المعاد ١/٦٦ واجتماع الجيوش الإسلامية ٩١ وطريق الهجرتين ٢٥٤.

ثالثاً: أن الجنة الموعودة هي الجنة التي كان فيها آدم وحواء:

يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا أن الجنة التي أعدها الله للمؤمنين هي التي كان فيها آدم وحواء فيقول:

«**وهي الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام**»(١).

وهذه المسألة محل نزاع بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله وقد ذكر ابن القيم أن للعلماء فيها قولين مشهورين:

الأول: أن الجنة التي أسكنها آدم وحواء ثم إهبطا منها هي جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة أخرى غيرها في موضع عالٍ من الأرض ثم ساق حجج الفريقين فقال:

«حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة.

١ ـ قالوا: قولنا هذا هو الذي فطر الله عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾(٢)

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين:

أ ـ من لفظه اهبطوا فإنه نزول من علو إلى سفل.

ب ـ قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ عقب قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ قد

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٣.

(٢) البقرة: ٣٥، ٣٦.

دلَّ على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض.

٣ ـ لو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1] فإن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن ملكها يبلى.

٤ ـ أن الجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله تعالى: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[2] ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد الرحمن عباده بالغيب فقد صار هذا الإسم علماً عليها بالكلية كالمدينة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظها معرفاً انصرف إلى الجنة المعهودة المعلومة في قلوب المؤمنين.

ثم ساق حجج القائلين بأنها ليست جنة الخلد وإنما هي جنة في الأرض فقال:

١ ـ قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد. وأنها دار المقامة وأن من دخلها أقام بها وأن لها صفات ليست في الجنة التي دخلها آدم من كونها دار خلد ودار ثواب لا دار تكليف ودار سلامة لا دار ابتلاء ودار لا يعصى الله بها. وأنها دار قرار ولم يستقر بها الأبوان وليست دار خوف ولا حزن، وقد حصل للأبوين فيها من الحزن والخوف ما حصل ودار سلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذب وقد سمع فيها آدم من إبليس

---

(١) طه: ١٢٠.

(٢) البقرة: ٣٥.

اللغو والإثم والكذب.

٢ ـ أن الله خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر. لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه.

٣ ـ أن الله أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة أي آدم فكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها.

٤ ـ من المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض وأن ما فوق السموات ليس بمكان للطين الأرضي.

بعد ذلك أورد جواب أرباب القول الثاني على حجج أصحاب القول الأول. فقال:

١ ـ أما قولكم أن قولنا هو الذي فطر الله عليه عباده بحيث لا يعرفون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بإخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة. فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصاحب واحد أو تابع أو أثر صحيح أو حسن بأنها جنة الخلد.

٢ ـ أما استدلالكم بقوله تعالى: ﴿وقلنا اهبطوا﴾ عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض وغايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر فإن كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا

ضحى فاهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله.

٣ ـ أما قولكم أن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله هل أدلك على شجرة الخلد فجوابه من وجهين:

أ ـ أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام وهو في اللغة المكث الطويل.

ب ـ أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه السلام نبوة يعلم بها ذلك.

٤ ـ وأما قولكم أن الجنة وردت معرفة باللام التي للعهد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾[1].

وفي نهاية المحاكمة ساق ردود أصحاب القول الأول على استدلالات أصحاب القول الثاني القائلين بأنها ليست جنة الخلد فقال:

١ ـ أما قولكم أن الله سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد. فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار أما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة فقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأخبر أن أرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة وهذا غير الدخول الذي أخبر الله به يوم القيامة وما ذكرتموه من الصفات التي توجد في الجنة وأنها لا توجد في جنة آدم من العري والنصب والحزن والكذب فهذا حق ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة.

---

(١) القلم: ١٧.

٢ ـ وأما استدلالكم بكون آدم خلق من الأرض فمن أيد لكم أنه كمَّل خلقه فيها مع أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[(١)] دليل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه على السماء لأمر دبَّره وقدَّره فقد أصعد المسيح عليه السلام إلى السماء وقد أسري ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى السماء[(٢)].

هذا ملخص حجج الفريقين وكم كنا نود أن ابن القيم رحمه الله بعد ذلك رجَّح أي القولين أقرب إلى الصواب ولكنه توقف في ذلك لقوة أدلة كل فريق ونحن نتوقف في ذلك كما توقف ونكل علم ذلك إلى علام الغيوب ونستغفر الله من كل ذنب ونتوب.

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) حادي الأرواح لابن القيم ص(١٩).

رابعاً: إنكار المعتزلة لوجود الجنة والنار:

المعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار وهو مذهبهم جميعاً فعود الضمير إليه في كلام الشيخ عبدالقادر السابق أولى لأنه هو المشهور عنهم أما القول بفنائها فهو في الأصل للجهمية حيث يقول الجهم بن صفوان بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان[(١)].

وقد قال بها من المعتزلة شيخهم ومقرر طريقتهم أبوالهذيل[(٢)] حيث يذكر عنه البغدادي ذلك فيقول:

«من فضائح أبي الهذيل: قوله بفناء مقدورات الله عزوجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى حينئذٍ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شيء ولا يقدر الله عزوجل في تلك الحال على إحياء ميت ولا على إماته حي ولا على تحريك ساكن ولا على تسكين متحرك ولا على إحداث شيء ولا على إفناء شيء»[(٣)].

وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة لهذه الضلالات بالرد والإبطال لأنها لا تعتمد على دليل ولم يقل بها أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من أئمة المسلمين. يقول ابن القيم رحمه الله:

«القول بفناء الجنة والنار هو قول قاله جهم بن صفوان إمام

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٢٧٩.

(٢) رأس المعتزلة وشيخهم والمناظر عنهم محمد بن الهذيل البصري العلاف أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل عن واصل بن عطاء وكان رجلاً فاسقاً يشرب الخمر مات سنة ٢٢٦/ شذرات الذهب ٢/ ٨٥ وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٢.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ١٢٢.

المعطلة الجهمية وليس له سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم في أقطار الأرض كما ذكره عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة[١] عن خارجة بن مصعب أنه قال: كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب الله عزوجل يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٢] وهم يقولون لا يدوم ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾[٣] وهم يقولون ينفد ويقول الله عزوجل: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٤]. قال شيخ الإسلام ـ يعني ابن تيمية ـ وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام الذي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي وأبوالهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل لكن قال إن هذا يقتضي فناء الحركات وقد استمر ابن القيم رحمه الله في دحض حججهم وإبطال مزاعمهم إلى أن قال: والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوا إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس

---

(١) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد فقرة ٧٧ ص١٣٠ تحقيق دكتور/ محمد سعيد القحطاني.
(٢) الرعد: ٣٥.
(٣) ص: ٥٤.
(٤) النحل: ٩٦.

فاعتقدوه حقاً وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفي الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول»[١].

وممن تصدى بالرد والإبطال لمزاعم الجهمية والمعتزلة في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول:

«وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها»[٢].

ومما سبق بيانه يتضح بطلان ما ذهب إليه الجهمية والمعتزلة من القول بفناء الجنة والنار وأن ما قاله أهل السنة والجماعة هو الحق وهو الذي قال به الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما أسلفنا والله أعلم.

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم ٢٤٤.
(٢) فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ١٨/ ٣٠٧.

خامساً: الحكم على المعتزلة بعدم دخول الجنة:

رحم الله الشيخ عبدالقادر الجيلاني، فقد دفعته غيرته الدينية وكراهيته لأهل الأهواء والبدع إلى القول بعدم دخول المعتزلة الجنة وتخليدهم في النار وذلك واضح من قوله:

«وقد أنكرت المعتزلة ذلك فأما الجنة فلا يدخلونها وأما النار فلعمري هم فيها داخلون مخلدون لإنكارهم»[١].

ومعنى هذا أنه ـ رحمه الله ـ يرى كفر المعتزلة ولذا حكم عليهم بعدم دخول الجنة وتخليدهم في النار. ومباديء المعتزلة من القول بخلق القرآن وإنكارهم صفات الباري عزوجل، وأنه سبحانه لا يرى في الآخرة هذه المباديء هي فروع نشأت عن أصول الجهمية والقدرية الذين لم يتردد علماء وأئمة أهل السنة والجماعة في تكفيرهم على العموم لا على التعيين:

فعن سلام بن أبي مطيع[٢] أنه قال: الجهمية كفار لا يصلى خلفهم[٣].

وعن سفيان بن عيينة «القرآن كلام الله عزوجل من قال مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر»[٤].

وعن الإمام أحمد: «من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٧٣.

(٢) سلام بن أبي مطيع الخزاعي البصري ثقة صاحب سنة مات سنة ١٦٤هـ/ تقريب التهذيب ٢٦١.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٥١٧.

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة رقم ٢٥ تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني.

القرآن من علم الله عزوجل وفيه أسماء الله عزوجل»[١].

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية تكفير عامة الأئمة لهم قال: «والمشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب»[٢].

كما ذكر ابن القيم رحمه الله كفرهم ونقله عن خمسمائة من علماء السلف فقال:

ولقد تقلّد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ ـهم بل حكاه قبله الطبراني[٣]

وكون المعتزلة من الجهمية فقد قال العلامة جمال الدين القاسمي وهو يتحدث عن الجهمية: «وقد يظن أنها أمست أثراً بعد عن مع أن المعتزلة فرع منها وهي في الكثرة تعد بالملايين»[٤].

أما قضية تكفيرهم على التعيين والقطع لأحدهم بالحرمان من الجنة والخلود في النار فللسلف في هذا موقف آخر قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال إنه جهمي كفره ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات

---

(١) المصدر السابق رقم ١.
(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨٥.
(٣) نونية بن القيم بشرح الهراس ١/ ١١٥.
(٤) تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص٦.

الغليظة لم يكفرهم أحمد وأمثاله بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم»[١].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع. وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة»[٢].

وعلى هذا يحمل قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني في قطعه بعدم دخول المعتزلة إلى الجنة وتخليدهم في النار في أنه يعني على العموم والإطلاق لا على التعيين.

لكننا نود الإشارة إلى أن منهج أهل السنة والجماعة في الحكم على أهل الأهواء كالمعتزلة وغيرهم يتميز بما يلي:

أولاً: أنهم يطلقون الحكم كما أسلفنا على وجه العموم أو الإطلاق دون التعيين وقد ذكرنا الأدلة على ذلك.

ثانياً: أن الأحكام التي يطلقونها تتعلق بالدنيا دون الآخرة فهم مثلاً: يقولون من قال كذا فهو كافر أو مخطيء أو مبتدع أو ضال. ولا يقولون هو مخلد في النار أو أنه لا يدخل الجنة لأن المقالة قد تكون

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ٧/ ٥٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٨٩.

كفراً ولكن لا يلزم تكفير صاحبها[١].

ثالثاً: أنهم لا يردون على المبتدع ببدعة مماثلة فمثلاً بدعة الخوارج وتكفيرهم لصاحب الكبيرة قابلها السلف ببيان خطأ الخوارج دون أن يقولوا من كفر بالكبيرة فهو كافر[٢].

رابعاً: أن المبتدع المؤول الذي يقول بالبدعة أو يعمل بها وعنده شبهة بجواز العمل بها إما لاعتماده على حديث ضعيف أو موضوع أو على حديث صحيح لكن لا وجه لاستدلاله به وكان تأويله سائغاً فأهل السنة والجماعة لا يرون كفره ولا ضلاله وإنما يذكرون خطأه وعدم موافقته للحق، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

«المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية وأما مسائل الاعتقاد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع في ذلك كثير من أتباع الأئمة»[٣] والله أعلم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢٠/ ١٠٤، ٧/ ٥٠٧، ١٠/ ٣٢٩.
(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٢٨٢، ٥/ ٢٤٧، ٧/ ٢١٧.
(٣) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ٦٠.
وقريباً منه أو في معناه ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٥، من الفتاوى.

الفصل الخامس
البدعة وموقف الشيخ
عبدالقادر الجيلاني منها

وتحته أربعة مباحث:

المبحـــث الأول: أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

المبحـــث الثاني: ذم البدع والتحذير منها

المبحـــث الثالث: البدع الاعتقادية

المبحـــث الرابع: البدع العملية في العبادة

المبحث الأول

أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة

مدار سعادة الإنسان في الدارين وفوزه وفلاحه في الحياتين يعتمد على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يقرر ذلك في قوله: «**لا فلاح لك حتى تتبع الكتاب والسنة**»[١].

ويضيف إلى ذلك في مكان آخر ضرورة اتباع العلماء من أئمة الدين في فهم نصوص الكتاب والسنة باعتبارهم أعرف الناس بمفاهيم الكتاب والسنة فيقول:

«**إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبداً**»[٢].

وما يقرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو عين ما يؤكده أئمة أهل السنة والجماعة فهم يرون أن الاعتصام بهما والعمل بهديهما واتباعهما في جميع قضايا الدين أصوله وفروعه هو سبيل النجاة وطريق الفوز والفلاح وهذه بعض أقوالهم:

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والثلاثون ص١٢٨.

(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والثلاثون ص١٢٨.

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه[١] قال: عليكم بالسبيل والسنة ـ يعني بالسبيل الكتاب الكريم ـ فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عزوجل فيعذبه الله وما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكره ـ يعني الرحمن ـ في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات ـ أي تساقط عنها ورقها إلا حط عنه خطاياه كما تحات عن تلك الشجرة ورقها وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم»[٢].

٢ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه[٣] قال: لن تضل ما أخذت بالأثر[٤].

---

(١) أبوالمنذر الأنصاري الخزرجي سيد القراء ومن فضلاء الصحابة شهد العقبة وبدراً وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ وكان رأساً في العلم والعمل. سأله النبي ﷺ في أعظم آية في القرآن فقال: آية الكرسي فضرب في صدره. وقال: ليهنك العلم أباالمنذر، مات رضي الله عنه سنة ١٩ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩، تقريب التهذيب ٩٦.

(٢) ذكره اللالكائي في أصول أهل السنة والجماعة برقم ١٠.

(٣) صاحب رسول الله ﷺ عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي حكيم هذه الأمة وسيد قراء دمشق وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ. ولي القضاء في دمشق في خلافة عثمان رضي الله عنه في أواخر عهد عثمان رضي الله عن الجميع. سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥، وتقريب التهذيب ٤٣٤.

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٣٥٣.

ثانياً: أقوال بعض التابعين:

١ ـ قال الإمام الزهري رحمه الله: كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً فَنَعْشُ العلم ـ أي انتعاشه ورفعته ـ ثبات الدنيا والدين وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله[١].

٢ ـ وقال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز[٢] رحمه الله حين كتب إلى بعض عماله: أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما قد جرت به سنته وكفوا مؤونته[٣].

ثالثاً: أقوال بعض الأئمة:

١ ـ قال سفيان بن سعيد الثوري: كان الفقهاء يقولون لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة[٤].

٢ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل في بعض رسائله: ثم بعد كتاب الله سنة النبي ﷺ والحديث عنه وعن المهديين أصحاب النبي ﷺ واتباع السنة نجاة وهي التي نقلها أهل العلم كابراً عن كابر[٥]..

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي برقم ١٣٦.

(٢) الإمام الزاهد العابد الراشد أمير المؤمنين كان من أئمة الجهاد والاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين سيرته العطرة محل عظة واعتبار، مات رحمه الله سنة ١٠١/ سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤.

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة ١/ ٣٢١.

(٤) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٣٣.

(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/ ٣٤٢.

٣ ـ قال الإمام الأصبهاني: قال بعض علماء السنة كل من صح عنده شيء من أمر رسول الله ﷺ ونهيه صغيره وكبيره بلا معارض له يعرفه من حديثه أو ناسخ له ثم قال: قال رسول الله ﷺ كذا وأنا أقول بخلافه فقد تكلم بعظيم وإن كان ذلك الشيء مما لا يضل الرجل بتركه لأن أدنى معاندة للنبي ﷺ في شيء من أمره ونهيه عظيم فمن قبل عن النبي ﷺ فإنما يقبل عن الله ومن ردَّ عليه فإنما يردُّ على الله قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[١][٢].

٤ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لما بعث الله محمداً ﷺ بكتابه الذي هو الهدي والشفاء والنور وجعله أحسن الحديث وأحسن القصص وجعله الصراط المستقيم لأهل العقل والتدبر ولأهل التلاوة والذكر ولأهل الاستماع والحال فالمعتصمون به علماً وحالاً وتلاوةً وسمعاً باطناً وظاهراً هم المسلمون حقاً خاصة أمة محمد ﷺ ثم لما انحرف من انحرف من أهل الكلام والحروف إلى كلام غيره ومن أهل السماع والصوت إلى سماع غيره كان الانحراف في أربع طوائف متجانسة:

الأولى: قوم تركوا التعلم منه والنظر فيه والتدبر له إلى كلام غيره من كلام الصابئة أو اليهود أو ما هو مولد من ذلك أو مجانس له أو نحو ذلك وهم منحرفة المتكلمة.

الثانية: وبإزائهم قوم أقاموا حروفه وحفظوه وتلوه من غير فقه فيه ولا فهم لمعانيه ولا معرفة للمقالات التي توافقه أو تخالفه،

---

(١) النساء ٨٠.

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٢/٣٩٧.

ووجه بيانه لمسائلها ودلائلها، وهم ظاهرية القراء والمحدثين ونحوهم، وهذان الصنفان: نظير متفقه لا يعرف الحديث، أو صاحب حديث لا يتفقه فيه، وكذلك متكلم لا يتدبر القرآن، أو قارىء لا يعرف من القرآن أنواع الكلام الحق والباطل، فهاتان فرقتان علميتان.

الثالثة: قوم تركوا استماع القلوب له والتنعم به وتحرك القلب عن محركاته، وذوق حلاوته ووجود طعمه إلى سماع أصوات تغيره من شعر أو ملاهي من أصوات الصابئة أو النصارى أو ما هو مولد عن ذلك ومجانس له أو نحو ذلك وهم منحرفة المتصوفة والمتفقرة.

الرابعة: وبإزائهم قوم يصوتون به ويسمعون قراءته من غير تحرك عنه ولا وجد فيه ولا ذوق لحقائقه ومعانيه وهم ظاهرية العباد والمتطوعة والمتقرئة فهذان الصنفان صاحب حال. تحرك الأصوات حاله. وليست تلك الحركة والحال عن الصوت بالقرآن. وصاحب مقال يميز بين الأقوال وينظر فيها. وليس ذلك النظر والمقال عن القرآن وبإزائهما صاحب عبادة ظاهرة معه استماع ظاهر القرآن وتلاوته وصاحب علم ظاهر معه حفظ حروف القرآن أو تفسير حروفه من غريبه وإعرابه وأسباب نزوله ونحو ذلك.

فهذه الأقسام الأربعة الذين وقفوا مع ظاهر العلم والعمل المشروعين والذين خاضوا في باطن العلم والعمل لكن غير المشروعين جاء التفريط والاعتداء منهم[1].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٧٦.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذلك بالأدلة الآتية:

أولاً: من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده مستقيماً لا اعوجاج به عن الحق فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه ولا تسلكوا طريقاً سواه ولا تركبوا منهجاً غيره ولا تبغوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فإنها بدع وضلالات» وقد عزا هذا القول إلى بعض أئمة التفسير كمجاهد وغيره[2].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[3].

قال الإمام القرطبي: «أحسن ما أنزل هو القرآن وكله حسن والمعنى ما قال الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه إلى عالمه، وقال: أنزل الله كتباً التوراة والإنجيل والزبور ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن

(١) الأنعام ١٥٣.
(٢) انظر تفسير ابن جرير بتصرف يسير ٨/ ٨٧.
(٣) الزمر ٥٥.

وهو المعجز. وقيل: هذا أحسن لأنه ناسخ قاضي على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة»[١].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها**»[٢].

٢ ـ حديث أبي شريح الخزاعي[٣] رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. قالوا: بلى، قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»[٤].

ووجه الدلالة في تلك الأحاديث ظاهر وهو أمره صلوات الله وسلامه عليه بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأنهما سبيل السعادة وطريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢٧٠.
(٢) رواه مسلم ح٨٦٧.
(٣) خويلد بن عمرو وقيل عبدالرحمن بن عمرو وقيل غير ذلك، صحابي جليل نزل المدينة ومات سنة ٦٨/ تقريب التهذيب ٦٤٨.
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه رقم ١٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٧٩ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ص٩٣.

المبحث الثاني

ذم البدع والتحذير منها

تعريف البدعة: البدعة في اللغة تطلق على الشيء المخترع على غير مثال سابق أي الأمر المحدث والجديد فيقال لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد ابتدع[١].

والبدعة في الشرع لها عدة تعريفات قالها أهل العلم من أفضلها تعريف الإمام الشاطبي الذي يقول: بأنها طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى[٢].

وكذلك تعريف الإمام ابن رجب الذي يبين المراد بها فيقول: «هي ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه»[٣].

ويمكن القول بأن معالم البدعة تبرز في كونها إحداثاً في دين الله بغير دليل شرعي.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يحذر دائماً من الابتداع في الدين ويوصي بالاتباع ويقرن ذلك بوصيته بالتوحيد وضرورة مجانبة الشرك وكأنه ينزل البدعة في الخطورة منزلة الشرك فيقول:

«اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ووحدوا ولا

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٨/ ٧ والصحاح للجوهري ٣/ ١١٨٣.
(٢) الاعتصام للشاطبي ١/ ٥٠.
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢٦٥.

تشركوا»[١].

ويضيف في مكان آخر أهمية موافقة السنة وعدم مخالفتها فيقول:

«اتبعوا ولا تبتدعوا وافقوا ولا تخالفوا اطيعوا ولا تعصوا أخلصوا ولا تشركوا»[٢].

ويبين أن أساس الخير في متابعة النبي ﷺ فيقول:

«أساس الخير متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله»[٣].

ثم يبين أن الأولى للمؤمن العاقل أن يتبع السنة فيقول:

«والأولى للعاقل المؤمن الكيس أن يتبع ولا يبتدع ولا يغالي ويعمق ويتكلف لئلا يضل ويزل ويهلك»[٤].

وما أشار إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو ما أدركه سلف هذه الأمة من أهل السنة والجماعة من عظيم نعمة الله على عباده بإكمال دينه وإتمام شريعته حتى فارق رسول الله ﷺ الدنيا بعد أن بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وأنزل عليه ربه سبحانه في حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٥] ولقد كان اليهود يغبطون هذه الأمة على هذه الآية فقد جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: «آية في كتابكم تقرؤونها لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال: وأي آية هي قال:

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني المقالة الثانية ص١٠.
(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس السابع والأربعون ص١٥١.
(٣) الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والخمسون ص٢٠٧.
(٤) الغنية للجيلاني ١/ ٧٩.
(٥) المائدة: ٣.

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1].

وقدقال ابن عباس رضي الله عنه في تأويل هذه الآية أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً وقد رضيه فلا يسخطه أبداً[2].

ولذا كانت القرون الثلاثة الأولى هي خير قرون هذه الأمة وذلك لتمسكها بكتاب ربها وسنة رسوله ﷺ ومحاربة البدع والإحداث في دين الله عزوجل لما يفضي إليه الابتداع من لوازم خطيرة ذات أثر سيء على عقيدة المبتدع ودينه منها:

١ ـ أن الابتداع يستلزم اتهام جناب النبي ﷺ بعدم إبلاغ الرسالة إلى الأمة وأنه لم ينفذ أمر الله له بقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[3].

وأذكر أنني كنت في زيارة إحدى الدول الإسلامية للمشاركة في مؤتمر للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة عام ١٤١٥هـ، وحدث أن ناقشني أحد كبار علماء تلك الدولة في بدعة المولد النبوي[4]

---

(١) رواه البخاري ح٤٥ ومسلم ح٣٠١٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢.
(٣) سورة المائدة: ٦٧.
(٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن بدعة المولد النبوي: (وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ. وتعظيماً له منا وهم على=

بعد أن رماني بعدم محبة النبي ﷺ لأنني لا أحتفل بمولده بأبي وأمي هو فأخبرته بأن المانع الوحيد من الاحتفال بمولده هو محبته صلوات الله وسلامه عليه لأن محبته الحقيقية إنماتنبع من متابعته والعمل بشريعته.

ثم سألته عن هذا الاحتفال، أطاعة هو لله أم معصية؟ فأجاب بأنه طاعة يتقربون بها إلى الله يرجون ثوابها.

فقلت له: هل علم رسول الله ﷺ هذه الطاعة أم جهلها وبطبيعة الحال لم يجرؤ على أن يقول أن رسول الله ﷺ جهلها إذ أنه من البديهيات المسلمة أنه صلوات الله وسلامه عليه أعلم الناس بطاعة الله عزوجل فقال: بل علمها.

فقلت: هل بلَّغها لأمته أم كتمها؟ فوقف مبهوتاً حائراً لا يدري بم يجيب ثم قال: بل بلغها، فطلبت منه الأمر النبوي الذي بلَّغ فيه أمته بالاحتفال بمولده فعجز فقلت له: يلزم من عجزك أن الرسول ﷺ كتم الرسالة ولم يبلغها فهناك اعترف بأنها ليست طاعة وبالتالي فهي بدعة وقد وعدني بأن يكون حرباً عليها نسأل الله لنا وله الهداية

= الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراصاً على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يُحَلِّي المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلاً) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٣١٣.

والثبات.

٢ ـ إن الابتداع يعني عدم كمال الدين وهذا معارض لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١]. فقد أخبر سبحانه أن هذا الدين قد كمل وأنه ليس بحاجة إلى إضافة أو زيادة.

من هنا ندرك السر في اهتمام السلف رحمهم الله وتركيزهم على محاربة البدع وهذه بعض أقوالهم.

أولاً: أقوال بعض الصحابة:

١ ـ قال الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة[٢].

٢ ـ قال عثمان الأزدي[٣]: دخلت على ابن عباس فقلت له أوصني فقال: نعم عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع[٤].

٣ ـ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم اتبعوا آثارنا فقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالاً بعيداً[٥].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/١٠٣ وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي.

(٣) عثمان بن حاضر الحميري ويقال الأزدي أبو حاضر القاص روى عن ابن عباس وغيره قال عنه أبوزرعة يماني حميري ثقة/ الجرح والتعديل ٦/١٤٧.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ١/٥٠.

(٥) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى ١/٣٣٦.

ثانياً: أقوال بعض التابعين:

١ ـ قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله عزوجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرهاولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها أبصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولأه الله ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[١].

٢ ـ قال الحسن البصري: اعرفوا المهاجرين بفضلهم واتبعوا آثارهم وإياكم وما أحدث الناس في دينهم فإن شر الأمور المحدثات[٢].

ثالثاً: أقوال بعض الأئمة:

١ ـ قال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم دينا[٤].

٢ ـ قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة ضلالة[٥].

---

(١) انظر الشريعة للآجري ٤٨ والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٨٦.
(٢) ذكره الإمام أحمد في كتاب الزهد ٣٣٤.
(٣) المائدة: ٣.
(٤) الاعتصام للشاطبي ١/ ٦٤.
(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/ ٢٤١.

٣ ـ قال الإمام أبومحمد البربهاري رحمه الله[١]: واحذر صغار المحدثات فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً وكذلك كل بدعة أحدثت في الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فأغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت ديناً يدان به مخالف الصراط المستقيم فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة ولا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء فإن أصبت فيه أثراً عنهم فتمسك به ولا تجاوزه بشيء ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار[٢].

٤ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[٣].

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس

---

(١) الإمام الحافظ أبومحمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري كان قوالاً للحق داعية إلى الأثر والسنة لا يخاف في الله لومة لائم مات سنة ٣٢٩ وعمره ٧٧ سنة/ سير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٠.

(٢) شرح السنة للبربهاري رقم ٢ ص٤٥ ود ذكره أبويعلى في طبقات الحنابلة ٢/ ١٨.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ عن العرباض بن سارية الترمذي ٥/ ٤٤ وأبوداود ٥/ ١٣ والحاكم في المسترك ١/ ٩٦ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٦ وقال عنه الألباني بأنه صحيح برقم ٢١٥٧ صحيح الترمذي.

ويقدمون هدي محمد على هدي كل أحد وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة.

وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة[١].

٥ـ قال ابن القيم رحمه الله: فإن قال قائل: أنتم سميتم أنفسكم أهل السنة ومانراكم في ذلك إلا مدعين لأنا وجدنا كل فرقة من الفرق تنتحل اتباع السنة وتنسب من خالفها إلى البدعة وليس على أصحابكم منها سمة وعلامة أنهم أهلها دون من خالفها من سائر الفرق وكلنا في انتحال هذا اللقب شركاء متكافئون ولستم بأولى بهذا اللقب إلا أن تأتوا بدلالة ظاهرة من الكتاب والسنة أو من إجماع المعقول.

فالجواب: أن الأمر على ما زعمتم إنه لا يصح لأحد دعوى إلا ببينة عادلة أو بدلالة ظاهرة من الكتاب والسنة وهما لنا قائمتان بحمد الله ومنَّه قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢].

فأمرنا باتباعه وطاعته فيما سنه وأمر به وما نهى عنه وما حكم

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٣/١٥٧.
(٢) الحشر: ٧.

به وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[١] وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[٢]، «ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة»[٣] فعرفنا سنته ووجدناها بهذه الآثار المشتهرة التي رويت بالأسانيد الصحيحة المتصلة التي نقلها حفاظ العلماء وثقاتهم بعضهم عن بعض.

ثم نظرنا فرأينا فرقة أصحاب الحديث لها أطلب وفيها أرغب ولها أجمع ولأصحابها أتبع فعلمنا يقيناً أنهم أهلها دون من عداهم من جميع الفرق، فإن صاحب كل حرفة أو صناعة إن لم يكن معه دلالة وآلة من آلات تلك الصناعة والحرفة ثم ادعى تلك الصناعة كان في دعواه مبطلاً فإذا كانت معه آلات الصناعة والحرفة شهدت له تلك الآلات بصناعته بل شهد له كل من عاينه قبل الاختبار كما إذا رأيت رجلاً قد فتح باب دكانه على بز عرفت أنه بزاز أو على تمر علمت أنه تمار أو على عطر علمت أنه عطار أو إذا رأيت بين يديه الكير والسندان والمطرقة علمت أنه حداد وكل صاحب صنعة يستدل على صناعته بآلته فحكم له بها بالمعاينة من غير اختبار.

فلو رأيت بين يدي إنسان قدوماً أو منشاراً ومثقباً وهو مستعد للعمل بها ثم سميته خياطاً جهلت ولو قال صاحب التمر لصاحب العطر أنا عطار وصاحب البناء للبزاز أنا بزاز قال له: كذبت وصدقه الناس على تكذيبه ثم كل صاحب صنعة وحرفة يفتخر بصناعته ويجالس أهلها ويألفهم ويستفيد منهم ويحرص على بلوغ الغاية في

(١) سبق تخريجه.
(٢) رواه البخاري ٥٠٦٣ ومسلم ح١٤٠١.
(٣) لم أجده فيما بين يدي من المراجع الحديثية.

صناعته وأن يكون فيها أستاذاً.

ورأينا أصحاب الحديث قديماً وحديثاً هم الذين رحلوا في هذه الآثار وطلبوها فأخذوه من معادنها وحفظوها واغتبطوا بها ودعوا إلى اتباعها وعابوا من خالفهم وكثرت عندهم وفي أيديهم حتى اشتهروا بها كما يشتهر أصحاب الحرف والصناعات بصناعتهم وحرفهم.

ثم رأينا قوماً انسلخوا من حفظها ومعرفتها وتنكبوا عن اتباع صحيحها وشهيرها وغنوا عن صحبة أهلها وطعنوا فيها وفيهم وزهدوا الناس في حقها وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال ولقبوهم أقبح الألقاب فسموهم نواصب(١) ومشبهة(٢) وحشوية(٣) ومجسمة، فعلمنا

---

(١) من الألقاب الشنيعة التي يطلقها الرافضة على كل من قدَّم أبابكر وعمر وعثمان على علي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ويطلق على الخوارج الذين غلوا في بغض علي بن أبي طالب حتى كفروه، وقيل هم الذين يبغضون أهل بيت رسول الله ﷺ بالقول والعمل.
انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٧٢. والفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٤.

(٢) هذا لقب شنيع أطلقه أهل البدع والأهواء من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة على أهل السنة والجماعة لأنهم يصفون الله سبحانه بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل. وذلك لاعتقادهم الباطل أن ظاهر النصوص يوهم التشبيه فلابدَّ عندهم من تأويلها ولذا اعتبروا كل من أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مشبهاً. وهذا باطل ومردود لأن أهل السنة ما قالوا إلاّ كما قال ربهم وخالقهم عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى ١١. أما أصحاب الأهواء فهم الذين شبهوا ثم عطلوا وأولوا. انظر الفتاوى لابن تيمية ٥/ ١١٠.

(٣) من أقذع الصفات والألقاب التي أطلقها أهل البدع والأهواء على أهل السنة. وقد نسب ابن القيم رحمه الله بجهلة الجهمية أنهم لقبوا أهل السنة بذلك لأنهم بزعمهم جعلوا ربهم حشو هذا الكون بإثباتهم له صفة الفوقية والاستواء وأنه في السماء وأول=

بهذه الدلائل الظاهرة والشواهد القائمة أن أولئك أحق بها من سائر الفرق ومعلوم أن الاتباع هو الأخذ بسنة رسول الله ﷺ التي صحّت عنه والخضوع لها والتسليم لأمر رسول الله ﷺ ووجدنا أهل الأهواء بمعزل عن ذلك فهذه علامة ظاهرة ودليل واضح يشهد لأهل السنة باستحقاقها وعلى أهل البدع والأهواء أنهم ليسوا من أهلها[١].

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذم البدع ومحاربتها بالأدلة الكثيرة من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ وهذا طرف منها:

أولاً من القرآن الكريم:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٢]، وقد فسّر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية بقوله: فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم وأما الذين أسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة[٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[٤].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال

= من عرف أنه تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة وعابدهم. فقد ذكر له أن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يخالف قوله فقال: كان ابن عمر حشوياً. انظر نونية ابن القيم بشرح الهراس ١/ ٣٣٣. وفتاوى ابن تيمية ٣/ ١٨٦.

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٥٢١.
(٢) آل عمران ١٠٥.
(٣) ذكره اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة برقم ٧٤.
(٤) النور: ٦٣.

بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان إلى أن قال: أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك»[١].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ قوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» وفي رواية أخرى: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢]. قال النووي: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات[٣].

٢ ـ قوله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة**»[٤].

ووجه الدلالة في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة السابقة ظاهر في أهمية المتابعة وحرمة الابتداع والإحداث في دين الله.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٧.

(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الاعتصام بالسنة باب إذا اجتهد الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود لقول النبي ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» فتح الباري ١٣/ ٣٢٩ ورواه مسلم ح١٧١٨.

(٣) شرح النووي على مسلم ٦/ ٢٥٧.

(٤) سبق تخريجه.

المبحـــث الثـــالـــث

البـــدع الاعتقاديـــة

يقسم العلماء البدع بحسب حالها إلى قسمين:

بدع اعتقادية.

بدع عملية.

ويعنون بالبدع الاعتقادية ما كان له صلة بالعقيدة وهو مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف هذه الأمة ومن أمثلة تلك البدع بدع الخوارج والمعتزلة والجهمية والقدرية والرافضة والمرجئة وغيرها وهذه البدع تتفاوت في درجاتها بحسب بعدها أو قربها من أصول الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والبدع نوعان، نوع في الأقوال والاعتقادات ونوع في الأفعال والعبادات وهذا الثاني يتضمن الأول كما أن الأول يدعو إلى الثاني فالمنتسبون إلى العلم والنظر وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الأول، والمنتسبون إلى العبادة والنظر والإرادة وما يتبع ذلك يخاف عليهم إذا لم يعتصموا بالكتاب والسنة من القسم الثاني[١].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يبدو أنه حينما يتحدث عن البدع ويحذر منها فإنمايعني البدع الاعتقادية بدليل وقوعه في بعض البدع

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢/٣٠٦، ٣/٣٥٠.

العملية ـ في العبادة ـ كما سيتضح في المبحث الآتي وهو ما يجعلنا نحمل كل تحذيراته على البدع الاعتقادية من ذلك قوله:

«فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة، فالسنة ما سنه رسول الله ﷺ والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين». ثم بعد هذا التعريف لأهل السنة و الجماعة يحذر من أهل البدع فيقول: **«وألا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لأن الإمام أحمد رحمه الله قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه[1] ولقول النبي ﷺ: «أفشوا السلام بينكم تحابوا»[2]. ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الأعياد وأوقات السرور ولا يصلي عليهم إذا ماتوا ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في الله عزوجل معتقداً ومحتسباً بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير»**[3].

وما ألمح إليه الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كلامه السابق من ضرورة مباينة ومعاداة أهل البدع وانتفاء جميع الحقوق التي شرعها الإسلام للمسلم كحق الصلاة عليهم والترحم عليهم[4] يدل دلالة واضحة

---

(١) لم أجد هذا النص عن الإمام أحمد ولكني وجدت نصاً قريباً منه وهو قوله: (لا يجالس صاحب البدعة ولا يكلم لعله أن يرجع) ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧٥.

(٢) الحديث رواه مسلم ح٥٤ بلفظ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم».

(٣) الغنية للجيلاني ١/ ٨٠.

(٤) الصلاة على الميت دعاء له بالمغفرة وطلب له بأن يرحمه الله وقد نهى الله نبيه عن الصلاة على المنافقين بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤] وكذلك نهى الله نبيه عن =

على ما سبق أن ذكرناه من أنه يعني بذلك أهل البدع الاعتقادية ويزيد هذا الأمر وضوحاً تعريف الشيخ عبدالقادر لأهل البدع بعلامات يعرفون بها. فيقول:

«واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها فعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالخشوية وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة ولا اسم لهم إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنبي ﷺ تسمية كفار مكة له ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبياً بريئاً من العاهات كلها»[1].

فانظر كيف ساق وفصَّل أقوالهم ثم وصفهم بأنهم أهل البدعة في قوله: **«ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدعة»**.

وهذا التعريف للشيخ الجيلاني قد سبقه إليه الإمام الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث حيث يقول:

«وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة وأظهر آياتهم وعلاماتهم

= الاستغفار للمشركين بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] أما من مات من المسلمين فالصلاة عليه مشروعة سواءً كان الميت عدلاً أو فاسقاً مادام أنه مسلم لم يأت بما ينقض أصل إسلامه.

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٨٠.

شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم واستخفافهم بهم وتسميتهم إياهم حشويه وجهله وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم في أخبار رسول الله ﷺ أنها بمعزل عن العلم وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهواجس قلوبهم الخالية من الخير وكلماتهم وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[1] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[2] إلى أن قال رحمه الله:

«وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث وقد رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلاً من الله ومنة سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله ﷺ. فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفترياً مختلقاً كذاباً وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً قال الله عزوجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾[3].

وكذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته المعروفين بأصحاب الحديث فسماهم بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم

---

(١) محمد: ٢٣.
(٢) الحج: ١٨.
(٣) الإسراء ٤٨، والفرقان ٩.

ناصبة وبعضهم جبرية.

وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة زكية نقية وليسوا إلا أهل السنة المرضية والسيرة الرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه واتباع أقرب أوليائه والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منهما وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وجعلهم من أتباع أقرب أوليائه وأكرمهم وأعزهم عليه وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله ﷺ **«المرء مع من أحب»**(١)(٢).

---

(١) رواه البخاري ح٦١٦٨ ومسلم ح٢٦٣٠.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص١٠٥.

المبحـــث الرابـــع

البـــدع العمليـــة

هذا القسم من البدع حدث من بعض المتأخرين من العباد والزهاد ولم يحدث منه شيء في زمن الصحابة والتابعين وإذا وقع فبشكل محدود تتم محاربته ومواجهته والقضاء عليه في مهده.

من ذلك بدعة الذكر الجماعي، فعندما كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة في العراق ظهرت تلك البدعة فرد عليها.

فقد روى الإمام الدارمي في سننه أن عمر بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبوموسى الأشعري فقال: أَخَرَجَ إليكم أبوعبدالرحمن بعد؟ قلنا: لا؛ فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبوموسى: ياأباعبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصىً فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقه من تلك الحلق فوقف عليهم

فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: ياأباعبدالله حصىً نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم ياأمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة. قالوا: والله ياأبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه[١].

وقد كانت هذه البدع أكثر انتشاراً في الناس من البدع الاعتقادية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فالبدع الكثيرة التي حصلت في المتأخرين من العباد والزهاد والفقراء[٢] والصوفية ولم يكن عامتها في زمن التابعين وتابعيهم بخلاف أقوال أهل البدع القولية فإنها ظهرت في عصر الصحابة والتابعين فعلم أن الشبهة فيها أقوى وأهلها أعقل وأما بدع هؤلاء فأهلها أجهل وهم أبعد عن متابعة الرسول ﷺ»[٣].

ولما كانت العصمة للأنبياء فقط. وغيرهم معرض للخطأ والزلل فقد وقع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الكثير من البدع العملية التي سوف نوردها ونتحدث عنها بالتفصيل وهذا لا يحط من قدره رحمه الله بل نسلك معه مسلك أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال بإعطائه حقه

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٧٩ وصححه الألباني في السلسلة ح٢٠٠٥.
(٢) الفقراء لقب من ألقاب النساك لأنهم يتعمدون إظهار الفقر وهي أسبق من كلمة التصوف.
(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ٢٧٤.

ومحبته بقدر ما فيه من الإيمان والهدي مع عدم موافقته فيما أخطأ فيه ونحن نجد هذا المنهج مطبقاً أثناء كلامهم على الرجال.

فالذهبي رحمه الله يبدأ بالثناء على الرجل بتبيين محاسنه وأعماله الطيبة ثم يبين ما وقع فيه من الخطأ أو البدع فمثلاً عندما ترجم في السير لابن تومرت البربري قال عنه الشيخ الإمام الفقيه الأصولي الزاهد كان أماراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر قوي النفس زعراً شجاعاً ذا هيبة ووقار. وجلالة في معاملة وتأله. انتفع به خلق. واهتدوا في الجملة وملكوا المدائن وقهروا الملوك. وكان خشن العيش فقيراً قانعاً ثم قال عنه: وهو يوضح بدعته: وكان لهجاً بعلم الكلام خائضاً في مزال الأقدام ربط البربر بادعاء العصمة وأقدم على الدماء إقدام الخوارج»[1].

ونحن نترحم على الشيخ عبدالقادر ونعتذر له ونرجوا الله أن يغفر له وأن يتجاوز عنه فإن هذه الزلات مغمورة ببحر حسناته ومناقبه والخطأ لم يسلم منه أحد من العلماء ومع ذلك لم يقدح في إمامتهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وكثير من مجتهدي السلف قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنها بدعة إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[2]

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/٥٣٩.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

وفي الصحيح أن الله قال قد فعلت[١]»[٢].

وخلال تاريخ الأمة الإسلامية الطويل وقع بعض الأئمة الأعلام في بعض الزلات العظام ولم يتابعوا عليها فقد قال ابن عباس بالمتعة ثم رجع[٣] ولم يحط ذلك من قدره بل له منزلته العالية وقدره الرفيع قبل هذا القول وبعده.

وهذا مجاهد بن جبر يفسر المقام المحمود بجلوس النبي ﷺ مع الله سبحانه وتعالى على العرش وقد أنكر السلف هذا القول ولم يقدح ذلك في إمامة مجاهد وعلو منصبه في التفسير[٤].

وهذا سعيد بن جبير ساهم في الخروج على الولاة مع عبدالرحمن بن الأشعث ولم يقره علماء السلف على هذا الفعل ومع هذا عذروه ولم

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم في الصحيح رقم (١٢٦) ونصه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ قال: دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال قد فعلت، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا﴾ قال قد فعلت.

(٢) فتاوى ابن تيمية ١٩/ ١٩١.

(٣) قال ابن قدامة في المغني عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس لقد كثرت في المتعة حتى قال فيها الشاعر:

أقول وقد طال الثواء بنا معاً ... ياصاح هل لك في فتيا ابن عباس
هل لك في رخصة الأطراف آنسة ... تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقام خطيباً وقال إن المتعة كالميتة والدم ولحم الخنزير وأما إذن رسول الله ﷺ فيها فقد ثبت نسخه) المغني والشرح الكبير ٧/ ٥٧٢.

(٤) انظر الكلام حول المقام المحمود في هذه الرسالة ص ٣٣٧.

ينسوا له فضله[١].

وخلاصة القول: أن ما يقع من هفوة أو زلة من عالم صالح فإن الواجب الاعتذار له والاستغفار له مع بيان تلك الهفوة والتحذير منها وهو ما سنسلكه مع الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله وهذا بيان لتلك البدع:

(١) انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١.

أولاً: بدعة السفر إلى قبر النبي ﷺ:

يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله:

«وينبغي أن يكون سفره لطاعة من الطاعات كالحج أو زيارة النبي ﷺ»[1].

وكلام الشيخ عبدالقادر حول زيارة النبي ﷺ، له احتمالان:

الأول: أن يكون ذلك في حياته ﷺ فلا شك في مشروعية ذلك لأنه قربه من القرب وطاعة من الطاعات.

الاحتمال الثاني: أن يكون ذلك بعد مماته صلوات الله وسلامه عليه أي قصده في قبره بالزيارة فهذا ما فهم سلف الأمة وأئمتها عدم مشروعيته من قوله ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا»**[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد كره مالك وغيره أن يقول الرجل: زرت قبر الرسول ﷺ. لأن هذا اللفظ لم يرد. والأحاديث المروية في زيارة قبره كلها ضعيفة، بل كذب وهذا اللفظ صار مشتركاً في عرف المتأخرين يراد به الزيارة البدعية التي في معنى الشرك كالذي يزور القبر ليسأل أو يسأل الله به أو يسأل الله عنده»[3].

---

(١) الفنية للجيلاني ١/ ٣٤.
(٢) رواه البخاري ح١١٨٩ ومسلم ح١٣٩٧.
(٣) فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٥٥.

ثانياً: قصد القبر للاستغفار والدعاء:

يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

«فإذا منَّ الله تعالى عليه بالعافية وقدم المدينة فالمستحب له أن يأتي مسجد النبي ﷺ ثم يأتي القبر وليكن حذاءه بينه وبين القبلة ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه والمنبر عن يساره وليقم مما يلي المنبر وليقل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته. اللهم صل على روح محمد في الأرواح وصل على جسده في الأجساد كما بلَّغ رسالتك وتلا آياتك وصَدَعَ بأمرك وجاهد في سبيلك وأَمَرَ بطاعتك ونهى عن معصيتك وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين. اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[1] وإني أتيت نبيك تائباً من ذنوبي مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقرَّ عنده بذنوبه فدعا له نبيه فغفرت له. اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقنا به ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبداً غير خزايا ولا

---

(١) النساء: ٦٤.

ناكثين ولا مارقين ولا جاحدين ولا مرتابين ولا مغضوباً عليهم ولا ضالين واجعلنا من أهل شفاعته ثم يتقدم عن يمينه ثم ليقل السلام عليكما ياصاحبي رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته. السلام عليك ياأبابكر الصديق السلام عليك ياعمر الفاروق اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيراً واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ثم يصلي ركعتين ويجلس ويستحب أن يصلي بين القبر والمنبر في الروضة وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركاً به»(١).

وكلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني هذا يتضمن عدة أمور:

- السؤال بحق النبي ﷺ.
- استقبال القبر حال السلام.
- استقبال القبر حال الدعاء للنفس.
- التوجه إلى الله بالنبي ﷺ.
- التبرك بالمنبر بالتمسح به وهذا بيانها.

---

(١) الفتية للجيلاني ١/ ١١ـ١٢.

١ ـ السؤال بحق النبي ﷺ

السؤال والدعاء يرفع من جانب العبد الضعيف المحتاج. إلى الغني الذي لا حدَّ لغناه. والإجابة على الدعاء تأتي تفضلاً من الله ومنة. وليس لأحد أن يلزم الله بالإجابة بناءً على حق أحد كائناً من كان. ولذا لم يكن السلف يسألون الله بحق أحد. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهور عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان. ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم وقد قال عمر: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا»[1]. فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذَّر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن أن يأتوا قبره فيتوسلوابه ويقولوا في دعائهم. في الصحراء بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عزوجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس[2].

(١) رواه البخاري ح١٠١٠.
(٢) فتاوى ابن تيمية ٣١٨/١.

٢ ـ استقبال القبر أثناء السلام على النبي ﷺ

وهذا الفعل لا شك في مشروعيته لفعل الصحابة وأئمة السلف لذلك لأنه مقتضى السلام إذ لا يتوقع ألا يكون السلام إلا مع المواجهة. وقد ورد عن بعضهم عدم استقبال القبر لا عند السلام ولا عند الدعاء وهذا مرجوح. يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

«ومذهب الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة واختلفوا في وقت السلام عليه فقال الثلاثة مالك والشافعي وأحمد يستقبل الحجرة ويسلم عليه من تلقاء وجهه وقال أبوحنيفة لا يستقبل الحجرة وقت السلام كما لا يستقبلها وقت الدعاء باتفاقهم ثم في مذهبه قولان: قيل يستدبر الحجرة، وقيل يجعلها عن يساره»[1].

(١) فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٣٥٢.

٣ ـ الدعاء للنفس أثناء استقبال القبر

يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني مشروعية ذلك كما سبق بيانه في كلامه، والصحيح أن هذا العمل غير مشروع بل نص على بدعيته الإمام مالك رحمه الله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«عن عبدالله بن دينار[1] قال: رأيت عبدالله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي يدعو لأبي بكر وعمر وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون مستقبلي الحجرة. وإن كان قد وقع في بعض ذلك طوائف من الفقهاء والصوفية والعامة ممن لا اعتبار بهم فلم يذهب إلى ذلك إمام متبع في قوله ولا من له في الأمة لسان صدق عام إلى أن قال رحمه الله:

وأما وقت الدعاء فلم يتنازعوا في أنه إنما يستقبل القبلة لا الحجرة والحكاية التي تذكر عن مالك أنه قال للمنصور لما سأله عن استقبال الحجرة فأمره بذلك وقال هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم كذب على مالك ليس لهاإسناد معروف وهو خلاف الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه كما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي[2] وغيره مثل ما

---

(١) الإمام المحدث الحجة أبوعبدالرحمن عبدالله بن دينار العدوي العمري حدث عن ابن عمر وأنس وجماعة وروى عن شعبة ومالك وسفيان الثوري توفي سنة ١٢٧/ سير أعلام النبلاء/ ٥/ ٢٥٣.

(٢) الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام إسماعيل بن إسحاق القاضي صاحب التصانيف ولد سنة ١٩٩ واعتنى بالعلم من الصغر ولي القضاء في بغداد ونشر مذهب مالك له =

ذكروا عنه أنه سئل عن أقوام يطيلون القيام مستقبلي الحجرة يدعون لأنفسهم فأنكر مالك ذلك وذكر أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان وقال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولا ريب أن الأمر كما قاله مالك فإن الآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين تبين أن هذا لم يكن من عملهم وعادتهم ولو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعاً لكانوا هم أعلم بذلك وكانوا أسبق إليه ممن بعدهم. والداعي يدعو الله وحده وقد نهى عن استقبال الحجرة عند دعائه لله تعالى كما نهى عن استقبال الحجرة عند الصلاة لله تعالى كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي مرثد الغنوي[1] أن النبي ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[2]، فلا يجوز أن يصلي إلى شيء من القبور لا قبور الأنبياء ولا غيرهم لهذا الحديث الصحيح[3].

= كتاب (أحكام القرآن ومعاني القرآن) وغيرها. مات سنة ٢٨٢/ سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٩.

(١) مرثد بن أبي مرثد الغنوي صحابي وأبوه صحابي واسمه كنَّاز وهو وأبوه ممن شهد بدراً وقد استشهد رضي الله عنه في غزاة الرجيع سنة ثلاث للهجرة. الإصابة لابن حجر ٦/ ٧٨.

(٢) رواه مسلم ح٩٧٢.

(٣) فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٥٢.

٤ ـ التوجه إلى الله بالنبي ﷺ

حيث يقول الشيخ عبدالقادر: «**يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي**».

هذا سؤال من النبي ﷺ وطلب قضاء حاجة منه والمعلوم عند علماء أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز دعاء الأموات ولا سؤالهم الحاجات لأنه لم يعد بإمكانهم بعد موتهم إجابة دعوة الداعي بدفع ضر أو جلب نفع حتى ولو كان المدعو رسول الله ﷺ. بل إن الأموات هم أهل الحاجة إلى الأحياء بالدعاء لهم والاستغفار يقول الله عزوجل: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[1] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله:

«ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يشرع أن يقصد الصلاة إلى القبر بل هذا من البدع المحدثة وكذلك قصد شيء من القبور لاسيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء فإذا لم يجز قصد استقباله عند الدعاء لله تعالى فدعاء الميت نفسه أولى ألا يجوز كما أنه لا يجوز أن يصلي مستقبله فلأن لا يجوز الصلاة له بطريق الأولى، فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئاً ولا يطلب منه أن يدعو له ولا غير ذلك. ولا يجوز أن يشكي إليه شيء من مصائب الدنيا والدين ولو جاز أن يشكي إليه ذلك في حياته فإن ذلك في حياته لا يفضي إلى الشرك وهذا يفضي إلى الشرك

(١) فاطر: ١٤.

لأنه في حياته مكلف أن يجيب سؤال من سأله لما في ذلك من الأجر والثواب وبعد الموت ليس مكلفاً بل ما يفعله من ذكر لله تعالى ودعاء ونحو ذلك، كما أن موسى يصلي في قبره ـ كما صلى الأنبياء خلف النبي ﷺ ليلة المعراج ببيت المقدس وتسبيح أهل الجنة والملائكة ـ فهم يمتعون بذلك وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسره الله لهم ويقدره لهم. ليس هو من باب التكليف الذي يمتحن به العباد.

وحينئذٍ فسؤال السائل للميت لا يؤثر في ذلك شيئاً بل ما جعله الله فاعلاً له هو يفعله وإن لم يسأله العبد كما يفعل الملائكة بما يؤمرون به وهم أنما يطيعون أمر بهم لا يطيعون أمر مخلوق كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1]، فهم لا يعملون إلا بأمره سبحانه وتعالى ولا يلزم من جواز الشيء في حياته جوازه بعد موته فإن بيته كانت الصلاة فيه مشروعة وكان يجوز أن يجعل مسجداً ولما دفن فيه حرم أن يتخذ مسجداً.

إلى أن قال رحمه الله. . . الثالثة أن يقال أسألك بفلان أو بجاه فلان عندك ونحو ذلك الذي تقدم عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما أنه ينهى عنه وتقدم أيضاً أن هذا ليس بمشهور عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس»[2].

---

(١) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.
(٢) فتاوى ابن تيمية: ١/ ٣٥٤.

٥ ـ يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني جواز التمسح بالمنبر للتبرك

فيقول كما تقدم بيانه: «وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركاً به» ولا شك ولا ريب أن رسول الله ﷺ بركة على أمته وأن التبرك به وبشعره وريقه وبما فضل عن وضوئه مما جوّزه علماء أهل السنة والجماعة لورود الأحاديث الصحيحة الدالة على مشروعيته منها:

* حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فربما جاءه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»[(١)].

* حديث أنس بن مالك أيضاً قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها[(٢)] وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت فقيل لها هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم الفراش ففتحت عتيدتها[(٣)] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال: ما تصنعين ياأم سليم فقالت: يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال:

---

(١) رواه مسلم ح٢٣٢٤.

(٢) قال النووي لأنها كانت محرماً له وفيه الدخول على المحارم والنوم عندهن وفي بيوتهن/ شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٩٤.

(٣) العتيدة بعين مهملة، مفتوحة ثم مثناه من فوق ثم من تحت وهي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها/ المرجع السابق ٨/ ٩٤.

أصبت»[١].

فهذه الأحاديث وغيرها تدل دلالة واضحة على مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ.

أما المنبر والتمسح به فهو مما اختلف العلماء في حكم وضع اليد عليه يوم كان موجوداً فقد كرهه الإمام مالك وغيره لأنه بدعة ولما رأى عطاء يفعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ورخص فيه الإمام أحمد وغيره لفعل ابن عمر له ولكن ذلك التجويز إنما كان للمنبر الذي مات عنه رسول الله ﷺ وكان يخطب عليه في حياته. أما بعد زوال المنبر وتغييره فلم يعد هناك مبرر للتبرك بوضع اليد عليه لأن الرسول ﷺ لم يخطب عليه ولم يمسه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«ولهذا لا يسن باتفاق الأئمة أن يقبل الرجل أو يستلم ركني البيت ـ اللذان يليان الحجر ـ ولا جدران البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله ﷺ لما كان موجوداً فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة وذكر أن مالكاً لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم ورخص فيه أحمد وغيره لأن ابن عمر رضي الله عنهما فعله وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلهم كره ذلك ونهى عنه وذلك لأنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين»[٢].

---

(١) رواه مسلم ح٢٣٣١.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ٧٩.

ثالثاً: بدعة تخصيص رجب ببعض العبادات

يخص أهل البدع والأهواء شهر رجب بعبادات لم يأذن بها الله ولم يشرعها رسوله صلوات الله وسلامه عليه ولا فعلها أصحابه رضوان الله عليهم ولم تعرف في القرون المفضلة وإنما أحدثت عند غلبة الجهل وبُعْد الناس عن السنة ولازالت تقع من العوام والجهلة حتى يومنا هذا وهي ما يسمونه بالعمرة الرجبية وليلة الإسراء والمعراج وغيرها. وقد وقع الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله في شيء من ذلك فقد عقد مجلساً في فضائل شهر رجب بدأه بتعريف لغوي لاسم رجب وقال:

«رجب هو اسم من الأسماء المشتقة واشتقاقه من الترجيب والترجيب هو التعظيم عند العرب يقال: رجبت هذا الشهر إذا عظمته ثم ساق العديد من الأقوال في تسمية رجب ختمها بقوله: فرجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله عزوجل والجيم جود الله تعالى والباء بِرُّ الله تعالى فَمِنْ أوَّلِ هذا الشهر إلى آخرِه منٌّ الله عزوجل بثلاث عطايا للعباد رحمة بلا عذاب وجود بلا بخل وبر بلا جفاء ثم ذكر بعد ذلك أسماء أخرى لشهر رجب وذكر أن الدعاء فيه مستجاب على الظلمة وكل جائر ولهذا كانت الجاهلية يؤخرون دعواتهم على من ظلمهم فيدعون عليه في رجب فلا يرد خائباً. ثم أورد حديثاً استدل به على مشروعية صيام أيام من شهر رجب وهو:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[١] فرجب يقال له: شهر الله الأصم وثلاث أخر متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

ألا أن رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر وأسكن الفردوس الأعلى.

ومن صام منه يومين فله من الأجر ضعفان وزن كل ضعف مثل جبال الدنيا.

ومن صام من رجب ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار خندقاً طوله مسيرة سنة.

ومن صام من رجب أربعة أيام عوفي من البلايا ومن الجنون والجذام والبرص. ومن فتنة المسيح الدجال.

ومن صام منه خمسة أيام وُقِيَ من عذاب القبر.

ومن صام منه ستة أيام خرج من قبره ووجهه أضوأ من القمر في ليلة البدر.

ومن صام منه سبعة أيام فإن لجهنم سبعة أبواب يغلق الله عنه بصوم كل يوم من أيامه باباً من أبوابها.

ومن صام منه ثمانية أيام فإن للجنة ثمانية أبواب يفتح الله له بصوم كل يوم باباً من أبوابها.

ومن صام منه تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادي أشهد ألا إله إلا

---

(١) التوبة: ٣٦.

الله. ولا يرد وجهه دون الجنة.

ومن صام منه عشرة أيام جعل الله تعالى له على كل ميل من الصراط فراشاً يستريح عليه.

ومن صام منه إحدى عشر يوماً لم ير في القيامة أفضل منه إلا من صام مثله أو زاد عليه.

ومن صام من رجب اثني عشر يوماً كساه الله تعالى يوم القيامة حلتين الحلة الواحدة خير من الدنيا وما فيها.

ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوماً يوضع له يوم القيامة مائدة في ظل العرش فيأكل عليها والناس في شدة شديدة.

ومن صام من رجب أربعة عشر يوماً أعطاه الله عزوجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن صام منه خمسة عشر يوماً يوقفه الله تعالى يوم القيامة موقف الآمنين ولا يمر به ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا قال له: طوبى لك إنك من الآمنين».

هذا حديث موضوع تشهد ألفاظه الغريبة وأسلوبه الركيك على أنه لم يخرج من مشكاة النبوة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وقد صرح العلماء بوضعه قال ابن الجوزي حديث موضوع على رسول الله ﷺ. الموضوعات لابن الجوزي/ ٢/ ٢٠٥.

ثم ساق الشيخ عبدالقادر أثراً غريباً: عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً سأله عن صيام رجب فقال: سألت عن شهر كانت الجاهلية تعظمه في جاهليتها وما زاده الإسلام إلا فضلاً وتعظيماً.

ومن صام منه يوماً تطوعاً يحتسب به ثواب الله تعالى ويبتغي به وجهه مخلصاً أطفأ صومه ذلك اليوم غضب الله تعالى، وأغلق عنه باباً من أبواب النار ولو أعطى ملء الأرض ذهباً ما كان جزاءً له. ولا يستكمل أجر شيء من الدنيا دون يوم الحساب وله إذا أمسى عشر دعوات مستجابات فإن دعا به لشيء من عاجل الدنيا أعطيه وإلا ادخر له من الخير كأفضل ما دعا به داعٍ من أولياء الله تعالى وأصفيائه.

ومن صام يومين كان له مثل ذلك وله مع ذلك أجر عشرة من الصديقين في عمرهم بالغة أعمارهم ما بلغت وشفع في مثل ما يشفعون فيه ويكون في زمرتهم حتى يدخل الجنة معهم ويكون من رفقائهم.

ومن صام ثلاثة الأيام كان له مثل ذلك. وقال الله تعالى عند إفطاره لقد وجب حق عبدي هذا ووجبت له محبتي وولايتي أشهدكم ياملائكتي أني قد غفرت له من ذنبه ما تقدم وما تأخر.

ومن صام أربعة أيام كان له مثل ذلك وثواب أولي الألباب التوابين ويعطى كتابه في أوائل الفائزين.

ومن صام خمسة أيام كان له مثل ذلك ويبعث يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ويكتب له عدد رمل عالج حسنات ويدخل الجنة ويقال له تمنَّ على الله ما شئت.

ومن صام ستة أيام كان له مثل ذلك ويعطى سوى ذلك نوراً يستضيء به أهل الجمع في القيامة ويبعث في الآمنين حتى يمر على الصراط بغير حساب ويعافى من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم ويقبل الله عليه بوجهه إذا لقيه يوم القيامة.

ومن صام سبعة أيام كان له مثل ذلك ويغلق عنه سبعة أبواب النار ويحرمه الله على النار، ويوجب له الجنة يتبوأ منها حيث يشاء.

ومن صام ثمانية أيام كان له مثل ذلك وفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أي باب شاء.

ومن صام تسعة أيام كان له مثل ذلك ويرفع كتابه في عليين ويبعث يوم القيامة في الآمنين ويخرج من قبره ووجهه نور يتلألأ ويشرف لأهل الجمع حتى يقولوا هذا نبي مصطفى وإن أدنى ما يعطى أن يدخل الجنة بغير حساب.

ومن صام عشر أيام فبخ فبخ فبخ له فيعطى مثل ذلك وعشرة أضعافه وهو ممن يبدل الله سيئاته حسنات ويكون من المقربين القوامين لله بالقسط وكان كمن عبدالله ألف عام صائماً قائماً صابراً محتسباً.

ومن صام عشرين يوماً كان له مثل ذلك وعشرون ضعفاً وهو ممن يزاحم إبراهيم خليل الله عليه السلام في قبته ويشفع في مثل ربيعة ومضر كلهم من أهل الخطايا والذنوب.

ومن صام ثلاثين يوماً كان له مثل ذلك وثلاثون ضعفاً وينادي منادٍ من السماء أبشر ياولي الله بالكرامة العظمى. قال: وما الكرامة العظمى؟ قال: النظر إلى وجه الله تعالى الجميل ومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً طوبى لك طوبى لك غداً إذا كشف الغطاء وأفضيت إلى جسيم ثواب ربك الكريم فإذا نزل به ملك الموت سقاه الله تعالى عند خروج نفسه شربة من حياض الفردوس ويهون عليه سكرات الموت حتى ما يجد ألم الموت ويظل في قبره ريان حتى يرد حوض النبي ﷺ وإذا خرج من قبره شيعه سبعون ألف ملك معهم

النجائب من الدر والياقوت ومعهم طرائف الحلي والحلل فيقولون له ياولي الله النجاء النجاء إلى ربك عزوجل الذي أظمأت له نهارك وأنحلت له جسدك فهو من أول الناس دخولاً جنات عدن يوم القيامة مع الفائزين رضي الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم، قال: وإن كان له في كل يوم يصومه صدقة على زنة قوته تصدق بها فهيهات هيهات هيهات ثلاثاً لو اجتمع جميع الخلائق أن يقدروا قدر ما أعطى ذلك العبد من الثواب ما بلغوا معشار العشر مما أعطى الله ذلك العبد من الثواب».

هذا الأثر مكذوب وفيه من الدجل والتهاويل ما يشهد بكذبه وقد صرح بوضعه صاحب ذيل اللآليء ص١١٧ وقال هذا الإسناد ظلمات بعضها فوق بعض وداود كذاب وضاع كما صرح بوضعه صاحب تنزيه الشريعة ٢/ ١٦١.

بعدها عقد فصلاً في الأدعية المأثورة في أول ليلة من رجب وَذَكَرَ بعض الأدعية التي لم ترد بها أدلة شرعية ولم تؤثر عن النبي ﷺ.

ثم عقد فصلاً في تأكيد فضيلة صوم أول خميس من رجب والصلاة في أول ليلة جمعة منه مستدلاً بحديث موضوع عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي، قيل يارسول الله مامعنى قولك شهر الله؟ قال ﷺ: لأنه مخصوص بالمغفرة وفيه تحقن الدماء وفيه تاب الله على أنبيائه وفيه أنقذ أولياءه من أعدائه.

ومن صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه وعصمته فيما بقى من عمره وأما الثالث فيأمن العطش يوم العرض الأكبر، فقام شيخ ضعيف فقال يارسول الله إني أعجز عن صيامه

كله فقال رسول الله ﷺ: صم أول يوم منه وأوسط يوم فيه وآخر يوم منه، فإنك تعطى ثواب من صامه كله فإن الحسنة بعشر أمثالها.

ولكن لا تغفلوا عن أول ليلة جمعة في رجب فإنها تسميها الملائكة ليلة الرغائب وذلك أنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك في جميع السموات والأرضين إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها فيطلع الله تعالى عليهم إطلاعه فيقول: ملائكتي سلوني ما شئتم فيقولون: ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوام رجب فيقول الله تعالى: قد فعلت ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: فما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين المغرب والعشاء العتمة يعني ليلة الجمعة اثنتا عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتا عشرة مرة. يفصل بين كل ركعتين بتسليمة فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين مرة يقول: اللهم صلي على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم ثم يسجد سجدة يقول في سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة. ثم يرفع رأسه فيقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة. ثم يسجد الثانية فيقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل الله حاجته في سجوده فإنها تقضى. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وعدد قطر الأمطار ووزن الأشجار وشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته فإذا كان أول ليلة في قبره جاءت ثواب هذه الصلاة بوجه طلق ولسان ذلق فيقول له ياحبيبي أبشر فقد نجوت من كل شدة فيقول من أنت فوالله ما رأيت رجلاً أحسن وجهاً منك ولا سمعت كلاماً أحلى من كلامك ولا

شممت رائحة أحلى من رائحتك فيقول له: ياحبيبي أنا ثواب تلك الصلاة التي صليتها في ليلة كذا في شهر كذا في سنة كذا جئت الليلة لأقضي حاجتك وأؤنس وحدتك وادفع عنك وحشتك فإذا نفخ في الصور أظللتك في عرصات القيامة على رأسك فأبشر فلن تعدم الخير من مولاك أبداً».

هذا الحديث باطل ومكذوب وشواهد البطلان ظاهرة عليه، وقد صرح بوضعه ابن الجوزي فقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ ثم قال: ولقد أبدع من وضع هذه الصلاة فإنه يحتاج من يصليها أن يصوم وربما كان النهار شديد الحر فإذا صام ولم يتمكن من الأكل حتى يصلي المغرب ثم يقف فيها، ويقع في ذلك التسبيح الطويل والسجود الطويل فيتأذى غاية الإيذاء وإني لأغار لرمضان ولصلاة التراويح كيف زوحم بهذه بل هذه عند العوام أعظم وأجل فإنه يحضرها من لا يحضر الجماعات/ الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٢٤.

ثم عقد فصلاً آخر في فضل صيام السابع والعشرين من رجب[١].

وبتأمل تلك الفصول وما أورده من أحاديث نجد أنها تتضمن عدة أمور منها:

١ ـ قوله: أن حروف شهر رجب ثلاثة وأن حرف الراء يدل على رحمة الله سبحانه والجيم على وجود الله عزوجل والباء يدل على بر الله تعالى.

وقوله أن الدعاء على الظلمة مستجاب لأن الجاهلين كانوا يؤخرون دعاءهم على من ظلمهم حتى يدخل رجب.

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ١٧٣ـ١٨٣.

وقوله هذا لا يستند على دليل من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة، إذ كيف يمكن معرفة أن حروف شهر رجب تدل على تلك المعاني التي هي من أمور الغيب الذي لا يعرف إلا بالوحي.

أما كون الدعوة تكون مستجابة في شهر رجب لأن أهل الجاهلية كانوا يدعون على من ظلمهم إذا دخل شهر رجب فهذا أيضاً يحتاج إلى دليل إذ أن معرفة زمن استجابة الدعاء من قبل الرب سبحانه وتعالى لا يعرف إلا بالوحي، وكون أهل الجاهلية يدعون في رجب مدعاة إلى إنكار هذا الفعل ومحاربته لأنه من أفعال الجاهلية التي أمرنا بمخالفتها وعدم الركون إليها.

٢ ـ استشهاده بالأحاديث الموضوعة على فضل شهر رجب والمكذوبة على رسول الله ﷺ كما بينها أهل العلم حسبما أوضحت سابقاً، وبالتالي فإن التعبد بها باطل إذ لا يثبت فعل الطاعة إلا بدليل شرعي صحيح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شيء منها وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل بل عامتها من الموضوعات والمكذوبات»[1].

٣ ـ صلاة أول ليلة من رجب ثم الدعاء فيها ببعض الأدعية وهذه الصلاة تسمى عند العوام صلاة الرغائب قد أوضحت أن الأحاديث التي ذكرها موضوعة ومكذوبة لا أصل لها ولا يحتج بها. يقول ابن تيمية رحمه الله:

«وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها فلا تستحب لا جماعة ولا

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٥/ ٢٩٠.

فرادى والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً» إلى أن قال رحمه الله: «وصلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين لم يسنها رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا استحبها أحد من أئمة الدين كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث وغيرهم، والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث وكذلك الصلاة التي تذكر أول ليلة جمعة من رجب»[١].

ويقول ابن رجب رحمه الله: وأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة من شهر رجب كذب وباطل لا تصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء ومن ذكر ذلك من أعيان العلماء والمتأخرين من الحفاظ إسماعيل الأنصاري[٢] وأبوبكر السمعاني وأبوالفضل بن ناصر[٣] وأبوالفرج ابن الجوزي وغيرهم وإنما لم يذكرها المتقدمون لأنها أحدثت بعدهم. وأول ما ظهرت بعد الأربعمائة»[٤].

---

(١) فتاوى ابن تيمية بتصرف يسير ٢٣/ ١٣٢.

(٢) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير أبوإسحاق الأنصاري مولاهم المدني الإمام الحافظ قال يحيى بن معين عنه ثقة مأمون قليل الخطأ / الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ١٦٢.

(٣) محمد بن منصور بن محمد السمعاني حافظ محدث فقيه أديب توفي بمرو سنة ٥١٠/ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧٢.

(٤) لطائف المعارف لابن رجب ١٢٣.

رابعاً: بدعة تخصيص بعض الأيام وبعض الليالي بصلوات محددة

عقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ غفر الله لنا وله ـ فصلاً في ذكر فضائل الصلوات في أيام الأسبوع ولياليه واستدل على مشروعيتها بأحاديث موضوعة.

فمثلاً استدل على فضل صلاة الأحد بحديث: **«من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة ثم أعطاه الله تعالى في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذخر»**.

هذا حديث موضوع مختلق على رسول الله ﷺ وكذبه واضح في ألفاظه الركيكة وفي كتابة الحسنات بعدد كل نصراني ونصرانية وفي إعطاء الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر. وقد صرح العلماء بوضعه منهم ابن الجوزي في الموضوعات ١١٦/٢ وابن عراق في تنزيه الشريعة ٨٦/٢.

وفي فضل صلاة يوم الاثنين أورد حديثاً موضوعاً عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ:

«من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة فإذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله

له ذنوبه كلها».

هذا أيضاً حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١١٧ وابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٨٦.

وفي فضل صلاة يوم الثلاثاء ساق حديثاً موضوعاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوماً فإن مات إلى سبعين يوماً مات شهيداً وغفر له ذنوب سبعين سنة». وهذا الحديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١١٨.

كما ساق أحاديث موضوعة في فضل صلاة بقية أيام وليالي الأسبوع[١].

وشواهد الوضع ظاهرة على تلك الأحاديث وهي كافية في ردها وعدم العمل والاحتجاج بها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وأشد من ذلك ما يذكره بعض المصنفين من الفضائل في الصلوات الأسبوعية والحولية كصلاة يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت المذكورة في كتاب أبي طالب[٢]

---

(١) الغنية للجيلاني ٢/ ١٣٩-١٤٤.

(٢) شيخ الصوفية أبوطالب محمد بن علي بن عطية المكي كان مجتهداً في العبادة وعظ في بغداد وخلط في كلامه توفي سنة ٣٨٦هـ وله مصنف مشهور وهو قوت القلوب وهو الذي يعنيه شيخ الإسلام رحمه الله/ الأعلام للزركلي ٦/ ٢٧٤.

وأبي حامد[١] وعبدالقادر[٢] وغيرهم وكصلاة الألفية التي في أول رجب ونصف شعبان والصلاة الاثني عشرية التي في أول ليلة جمعة من رجب والصلاة التي في ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الأشهر الثلاثة وصلاة ليلتي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من الصلوات المروية عن النبي ﷺ مع اتفاق أهل المعرفة بحديثه أن ذلك كذب عليه ولكن بلغ ذلك أقواماً من أهل العلم والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم. واجتهادهم لا على مخالفة السنة وأما من تبينت له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال مبتدع بل كافر»[٣].

وهذا الكلام العظيم هو الذي يليق بالشيخ عبدالقادر فإننا إذا تأملنا عقيدته ورغبته في متابعة الكتاب والسنة وتأكيده على ذلك في مثل قوله:

«**وعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه الرسول ﷺ والجماعة ما اتفق عليه أصحاب الرسول ﷺ**»[٤]. علمنا أنه لم يذهب إلى القول بالعمل بتلك الأحاديث الموضوعة إلا لأنه ظن أنها صحيحة فعمل بها، واعتقاد صحة تلك الأحاديث والعمل بها قد يؤجر الشخص عليها إذا استفرغ جهده لمعرفتها أو سؤال المختصين عنها.

أما من يعمد إلى الأحاديث الموضوعة فيعمل بها وهو يعلم أن من

---

(١) زين الدين أبوحامد الغزالي صاحب التصانيف والذكاء المفرط، له نحو مائتي مصنف فيلسوف متصوف ولد سنة ٤٥٠، ومات سنة ٥٠٥هـ/ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٢٢. والأعلام للزركلي ٧/ ٢٢.
(٢) الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه الغنية الذي أشرنا إليه.
(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/ ٢٠١.
(٤) الغنية للجيلاني ١/ ٨٠.

الأحاديث ما هو مكذوب على رسول الله ﷺ. ولا يلحظ ذلك فيما يرويه ويبني عليه أحكاماً فهذا ربما كان ممن لا يشمله الخطأ في الاجتهاد لأنه لم يجتهد كما ينبغي والله أعلم.

خامساً: بدعة تخصيص يوم عاشوراء ببعض العبادات

التطوع بصيام يوم عاشوراء ثابت في سنة رسول الله ﷺ ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال ماهذا قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجَّى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: فأناأحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»[١].

والسنة في هذا اليوم أن يصام فحسب كما صامه ﷺ وأمر بصيامه. وهذا هو الحق في تعظيم هذا اليوم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة.

ولكن الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله ذكر فضائل لمن صام هذا اليوم مستشهداً على ذلك بأحاديث موضوعة منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **من صام يوم عاشوراء من المحرم أعطى ثواب عشرة آلاف ملك.**

ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أعطي ثواب عشرة آلاف شهيد وثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر ومن مسح بيده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة.

ومن فطر مؤمناً ليلة عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، قالوا يارسول الله لقد فضَّل الله تعالى يوم عاشوراء

---

(١) رواه البخاري ح٢٠٠٤ ومسلم ح١١٣٠.

على سائر الأيام قال ﷺ: نعم خلق الله تعالى السموات في يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق البحار في يوم عاشوراء، وخلق القلم يوم عاشوراء، وخلق اللوح يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وأدخله الجنة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم عليه السلام يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وفدى ابنه من الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف الله تعالى البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، وغفر الله تعالى ذنب داود عليه السلام يوم عاشوراء».

هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ وقد صرح بوضعه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٠٢ وصاحب اللآليء المصنوعة ٢/٦١.

كما ذكر أن من آداب هذا اليوم التوسيع على الأهل في النفقة مستدلاً بحديث موضوع عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من وسع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته. هذا الحديث موضوع أيضاً قال ابن الجوزي في الموضوعات نقلاً عن العقيلي الحديث غير محفوظ ولا يثبت عن رسول الله ﷺ في حديث مسند ٢/٢٠٣.

كما استدل بقول سفيان بن عيينة أنه بلغه أن من وسَّع على عياله في يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته وأن سفيان قال: إنه جرَّب ذلك منذ خمسين سنة فلم ير إلا سعةً.

كما أورد آثاراً في فضل الاكتحال في يوم عاشوراء وأنه إنما سُمِّيَ عاشوراء لأن الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

بعشر كرامات[١].

وهذه الفضائل لا تثبت إلا بالدليل الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد سئل عما يفعله بعض الناس في يوم عاشوراء فأجاب:

«الحمد لله رب العالمين لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا استحب من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم. ولا روي أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً لا عن النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين لا صحيحاً ولا ضعيفاً لا في كتب الصحيح ولا في السنن والمسانيد ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث مثل ما رووا أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام وأمثال ذلك.

ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء ورووا أن في يوم عاشوراء توبة آدم واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء إبراهيم من النار، وفداء الذبيح بالكبس ونحو ذلك.

ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ: «أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر السنة».

ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كَذِبْ ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه قال: بلغنا أنه من وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته، وإبراهيم بن محمد بن

---

(١) الغنية للجيلاني ١/ ٥٢ـ٥٧.

المنتشر من أهل الكوفة وأهل الكوفة كان فيهم طائفتان:

طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة وإما جهال وأصحاب هوى.

وطائفة ناصبة تبغض علياً وأصحابه لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى(١).

ثم يقول رحمه الله فصارت طائفة جاهلة ظالمة إما ملحدة منافقة وإما ضالة غاوية تظهر موالاته وموالاة أهل بيته تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة وتظهر فيه شعار الجاهلية من لطم الخدود وشق الجيوب والتعزي بعزاء الجاهلية. إلى أن قال رحمه الله: وعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب والشر بالشر والبدعة بالبدعة فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والاختضاب وتوسيع النفقات على العيال وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسماً كموسم الأعياد والأفراح وأولئك يتخذون مأثماً يقيمون فيه الأحزان والأتراح وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة، وإن كان أولئك أسوأ قصداً وأعظم جهلاً وأظهر ظلماً لكن الله أمر بالعدل والإحسان.

وقد قال النبي ﷺ: **«إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة**

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٢٥/٢٩٩-٣٠١.

ضلالة»[١] ولم يسن رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من هذه الأمور لا شعائر الحزن والترح ولا شعائر السرور والفرح ولكنه ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فقال: ما هذا فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى من الغرق فنحن نصومه فقال: نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه[٢].

إلى أن قال رحمه الله: وأما سائر الأمور: مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة إما حبوب وإما غير حبوب أو تجديد لباس أو توسيع نفقة أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم أو فعل عبادة مختصة كصلاة مختصة به أو قصد الذبح أو إدخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب أو الاكتحال أو الاختضاب أو الاغتسال أو التصافح أو التزاور أو زيارة المساجد أو المشاهد ونحو ذلك فهذا من البدع المنكرة التي لم يسنها رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ولا مالك ولا الثوري ولا الليث بن سعد ولا أبوحنيفة ولا الأوزاعي ولا الشافعي ولا أحمد بن حنبل ولا إسحاق بن راهوية[٣] ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين وعلماء المسلمين وإن كان بعض المتأخرين من أتباع الأئمة قد كانوا يأمرون ببعض ذلك ويروون في ذلك أحاديث وآثاراً ويقولون إن بعض

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه.

(٣) إسحاق بن راهوية الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ ولد سنة ١٦١ قال عنه الحاكم إسحاق إمام عصره في الحفظ والفتوى وقال عنه الإمام أحمد لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً. وقال ابن خزيمة والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه. وكان سريع الحفظ يقول عن نفسه ما سمعت شيئاً إلا حفظته ولاحفظت شيئاً قط فنسيته وقال عنه الذهبي كان مع حفظه إماماً في التفسير رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهاد، سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١.

ذلك صحيح فهم مخطئون غالطون بلا ريب عند أهل المعرفة بحقائق الأمور وقد قال حرب الكرماني[١] في مسائله: سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث: «من وسع على أهله يوم عاشوراء فلم يره شيئاً» وأعلى ما عندهم أثر يروى عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أنه قال: بلغنا «أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» قال سفيان بن عيينة: جربناه منذ ستين عاماً فوجدناه صحيحاً. وإبراهيم بن محمد كان من أهل الكوفة ولم يذكر ممن سمع هذا ولا عمن بلغه فلعل الذي قال هذا من أهل البدع الذين يبغضون علياً وأصحابه ويريدون أن يقابلوا الرافضة بالكذب مقابلة الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة. وأما قول ابن عيينة فإنه لا حجة فيه فإن الله سبحانه أنعم عليه برزقه وليس في إنعام الله بذلك ما يدل على أن سبب ذلك كان التوسيع يوم عاشوراء ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا على أهليهم يوم عاشوراء بخصوصه»[٢].

---

(١) حرب الكرماني الإمام العلامة الفقيه تتلمذ على أحمد بن حنبل ورحل في طلب العلم. له كتاب مسائل حرب من أنفس أكتب الحنابلة في مجلدين، مات سنة ٣٨٠هـ/ سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٤.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٥/ ٣٠٩-٣١٣.

سادساً: بدعة تخصيص ليلة النصف من شعبان ببعض العبادات

عقد الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله. فصلاً عن فضل الصلاة الواردة في ليلة النصف من شعبان وأنها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد عشر مرات وتسمى هذه الصلاة صلاة الخير وتعرف بركتها ثم ذكر أن السلف الصالح كانوا يصلونها جماعة وأن رسول الله ﷺ قال: إن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة»[(١)(٢)].

وليلة النصف من شعبان ورد في فضلها حديث صححه بعض أهل العلم لتعدد طرقه وكثرة من رواه من الصحابة وهو ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عزوجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب»[(٣)].

---

(١) الغنية للجيلاني.

(٢) هذا الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور وقال إن البيهقي قال عنه يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعاً وهو منكر وفي رواته مجهولون/ الدر المنثور للسيوطي ٧/ ٤٠٥.

(٣) هذا الحديث أخرجه الترمذي ح٧٣٩ وقال: سمعت البخاري يضعفه وأخرجه ابن ماجه برقم ١٣٨٩ وضعفه الألباني في ضعيف بن ماجه برقم ٢٩٥ ورواه الإمام أحمد ٦/ ٢٣٨ واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٧٦٤ جميعهم عن عائشة بهذا اللفظ وأخرجه ابن حبان كما في الموارد ح١٩٨٠ من رواية معاذ بن جبل وابن أبي عاصم في السنة ح٥١٢ بلفظ: ((يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان =

وحتى لو صح الحديث فإن ذلك لا يدل على تخصيصها بصلاة أو نهارها بصيام لأن ذلك يفتقر إلى الدليل الشرعي وإنما يدل فقط على فضلها وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«من هذا الباب ليلة النصف من شعبان فقد روى في فضلها من الأحاديث المرفوعة والآثار ما يقتضي أنها ليلة مفضلة وأن من السلف من كان يخصها بالصلاة فيها وصوم شهر شعبان قد جاءت فيه أحاديث صحيحة.

ومن العلماء من السلف من أهل المدينة وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها وطعن في الأحاديث الواردة فيها كحديث إن الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب. وقال لا فرق بينها وبين غيرها. لكن الذي عليه كثير من أهل العلم أو أكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها وعليه يدل نص أحمد لتعدد الأحاديث الواردة فيها وما يصدق ذلك من الآثار السلفية.

وقد روى بعض فضائلها في المسانيد والسنن وإن كان قد وضع فيها أشياء أخر فأما صوم يوم النصف مفرداً فلا أصل له بل إفراده مكروه

= فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك أو مشاحمه) وصحح الألباني هذه الرواية في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح١١٤٤.
كما أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص١٣٦ من رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن أبي عاصم في السنة ح٥٠٩ على نحو لفظ رواية معاذ بن جبل.
وأخرجه ابن ماجه ح١٣٩٠ من رواية أبي موسى الأشعري وللحديث روايات أخرى عن أبي ثعلبة الخشني وأبي هريرة وعبدالله بن عمرو وقد ساق الألباني هذه الروايات في السلسلة الصحيحة ٣/ ١٣٥ـ١٣٨ ثم قال وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب والصحة تثبت بأقل منها عدداً مادامت سالمة من الضعف الشديد.

واتخاذه موسماً تصنع فيه الأطعمة وتظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها.

وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع للصلاة الألفية في المساجد الجامعة ومساجد الأحياء والدور والأسواق فإن هذا الاجتماع لصلاة نافلة مقيدة بزمان وعدد وقدر من القراءة مكروه لم يشرع فإن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع بإتفاق أهل العلم بالحديث[١] وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاة بناءً عليه. وإذا لم يستحب فالعمل المقتضى لاستحبابها مكروه ولو سوغ أن كل ليلة لها نوع فضل تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها لكان يفعل مثل هذه الصلاة أو أزيد أو أنقص ليلتي العيدين وليلة عرفة[٢].

---

(١) انظر: تنزيه الشريعة ٢/ ٩٢.
والموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٢٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/ ٣٢١.

سابعاً: بدعة الصلاة بين الظهر والعصر يوم عرفة

أورد الشيخ عبدالقادر الجيلاني غفر الله لنا وله أحاديث موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى **يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة كتب الله له ألف ألف حسنة ورفع له بكل حرف في القرآن درجة في الجنة ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام. ويزوجه الله بكل حرف سبعين حوراء مع كل حوراء سبعون ألف مائدة من الدر والياقوت على كل مائدة سبعون ألف لون ما بين لحم طير خضر برده برد الثلج وحلاوته حلاوة العسل وريحه ريح المسك لم تمسه نار ولا حديدة يجد لآخره طعماً كما يجد لأوله ثم يأتيهم طائر جناحاه من ياقوتتين حمراوين ومنقاره من ذهب له سبعون ألف جناح فينادي بصوت لم يسمع السامعون بمثله مرحباً بأهل عرفة وقال: يسقط ذلك الطير في صحفة الرجل منهم فيخرج من تحت كل جناح من أجنحته سبعون لوناً من الطعام فيأكل منها ثم ينتفض فيطير فإذا وضع في قبره أضاء له بكل حرف في القرآن نور حتى يرى الطائفين حول البيت ويفتح له باب من أبواب الجنة ثم يقول عند ذلك رب أقم الساعة رب أقم الساعة مما يرى من الثواب والكرامة»**.

هذا الحديث موضوع يستحي ذو العقل السليم والفطرة النقية أن يرويه ولست أدري كيف انطلى أمره على الشيخ عبدالقادر رحمه الله حتى يذكره في كتابه إذ كيف يصدق العقل أن يرتب الله هذا الجزاء الذي لا يمكن تصوره على تلك الصلاة المبتدعة وكيف يتزوج الإنسان بهذا العدد

الهائل من الحوريات وهن بعدد حروف القرآن سبعين مرة. ثم مع كل حورية سبعون ألف مائدة من الدر والياقوت ثم على كل مائدة سبعون ألف لون من الطعام كل هذا من الخرافة والدجل الذي ننزه هذا الدين وهذا الرسول الكريم أن يقول به. وقد صرح ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وفيه ضعاف ومجاهيل انظر: الموضوعات ٢/ ١٣٢.

والمعلوم عند أهل الإسلام قاطبة أن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً يوم عرفة في حجة الوداع ولم ينقل عنه من حج معه من الصحابة وكانوا أكثر من مائة ألف صحابي أنه صلى بين الصلاتين شيئاً فقد روى البخاري في الصحيح عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم[١] أن الحجاج بن يوسف[٢] عام نزل بابن الزبير[٣] رضي الله عنه سأل عبدالله رضي الله عنه كيف تصنع في الموقف يوم عرفة فقال سالم إن كنت تريد السنة فهَجِّر بالصلاة يوم عرفة فقال عبدالله بن عمر صدق إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنة فقلت لسالم:

---

(١) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب الإمام الزاهد الحافظ مفتي المدينة صاحب الأسناد العالي روى عن أبيه وعن عائشة وأبي هريرة وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار ومحمد بن واسع مات رحمه الله سنة ١٠٧هـ/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٧.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي قال عنه الذهبي: كان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن وكان ظلوماً جباراً ناصبياً سفاكاً للدماء حاصر ابن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه وله توحيد في الجملة وأمره إلى الله/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣.

(٣) عبدالله بن الزبير أحد الأعلام أول مولود للمهاجرين بالمدينة سنة ٢ للهجرة وله صحبة وكان كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة ويعد من فرسان قريش في زمانه بويع بالخلافة بعد موت يزيد سنة ٦٤ وحكم الحجاز واليمن ومصر والعراق ولم يستتب له الأمر حيث قاتله عبدالملك بن مروان حتى قتله واستقل بالخلافة سنة ٧٣/ سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٣.

أفعل ذلك رسول الله ﷺ فقال سالم: وهل يتبعون بذلك إلا سنته»[١].

وفي الختام ونحن أمام هذا القدر الكبير من البدع العملية التي وقع فيها الشيخ عبدالقادر الجيلاني ودوَّنها في مؤلفه لا يسعنا إلا أن ندعو له بالمغفرة والعفو كما ندعو إلى عدم متابعته فيها لأن المتابعة في العبادة لا تكون إلا للرسول صلوات الله وسلامه عليه. عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[٢] ومهما كانت منزلة الشيخ عبدالقادر في الفضل والعلم فإن ذلك لا يعني متابعته في الخطأ فإنه لم يسلم من الخطأ أحد من العلماء كما أسلفنا، وكثير من مجتهدي السلف وقع من بعضهم ما يخالف السنة ولم يتابعوا مهما كان صلاحهم وورعهم ومهما كانت عبادتهم فيها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يتبع إلا أن يكون موافقاً لأمر الله ورسوله. إلى أن قال رحمه الله ودين الإسلام مبني على أصلين على ألا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع. لا نعبده بالبدع قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[٣]، فالعمل الصالح ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع المسنون ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[٤].

---

(١) رواه البخاري ح١٦٦٢.
(٢) الحشر: ٧.
(٣) الكهف: ١١٠.
(٤) الفتاوى لابن تيمية ٢٥/ ٣١٤.

الفصل الســادس

طاعة أولي الأمر

طاعة ولاة أمور المسلمين من المسائل المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة. يؤكدون عليها ويقررونها لبالغ أهميتها وعظيم شأنها. حيث لا تنتظم مصالح العباد في دينهم ودنياهم. إلا بالسمع والطاعة لمن ولأه الله أمرهم. وكان اهتمام السلف بارزاً خصوصاً عند ظهور الفتن وبروز القلاقل لما قد يترتب على الجهل بهذا الأمر من الفساد الكبير والخطر العظيم.

والشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله يقرر هذه المسألة بذكر إجماع أهل السنة على ذلك بقوله:

«وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وإتباعهم والصلاة خلف كل بر منهم وفاجر والعادل منهم والجائر ومن ولَّوه ونصبوه واستنابوه».

وهذا ما أكدَّه علماء أهل السنة والجماعة وقرروه لأهميته كي يجتمع شمل الأمة وتتوحد كلمتها وينصرف الإمام إلى واجباته في رعاية مصالح الأمة وتحقيق أهدافها. وهو ما نقل إلينا في أخبارهم ومواقفهم وهذه بعض أقوالهم:

١ ـ يقول عمر بن الخطاب لسويد بن غفله[1]: لعلك أن تخلَّف بعدي

---

(١) سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر الإمام القدوة قيل له صحبة ولم يصح بل اسلم =

فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً وإن ضربك فاصبر وإن دعاك إلى أمر منقصة في دينك فقل سمعاً وطاعةً دمي دون ديني»(١).

قال محمد بن حسين الآجري بعد إيراد هذا الأثر: فإن قال قائل: أين الذي يحتمل قول عمر رضي الله عنه فيما قاله: قيل يحتمل والله تعالى أعلم أن نقول: من أُمِّر عليك من عربي أو غيره أسود أو أبيض أو عجمي فأطعه فيما ليس لله عزوجل فيه معصية وإن ظلمك حقاً لك وإن ضربك ظلماً لك وانتهك عرضك وأخذ مالك فلا يحملك ذلك على أنه تخرج عليه سيفك حتى تقاتله ولا تخرج مع خارجي حتى تقاتله ولا تحرض غيرك على الخروج عليه. ولكن اصبر عليه(٢).

٢ ـ قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: عليك بالسمع والطاعة في يسرك وعسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ولا تنازع الأمر أهله. إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحاً أي جهاراً(٣).

٣ ـ قال عبدالله بن عمر حين قدم إلى عبدالله بن مطيع(٤) بعد أن صار من

= في حياة النبي ﷺ وشهد اليرموك مات سنة ٨٢هـ/ سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٩.

(١) الشريعة للآجري ٤٠.

(٢) الشريعة للآجري ص٤٠.

(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٢/ ٣٩٢.

(٤) عبدالله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني له رؤية وكان رأس قريش يوم الحرة وأمّره بن الزبير على الكوفة ثم قتل سنة ٧٣هـ/ تقريب التهذيب لابن حجر ٣٢٤.
وقصة يوم الحرة أن أهل المدينة خرجوا على يزيد بن معاوية فجهز جيشاً لحربهم يقول عبدالله بن حنظلة الغسيل: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات يشرب الخمر ويدع الصلاة/ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩، ويقول ابن كثير: لما خرج أهل =

أمر الحرة ما صار زمن يزيد بن معاوية فقال عبدالله بن مطيع إطرحوا لأبي عبدالرحمن فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية(١).

٤ ـ قال الإمام أحمد لفقهاء بغداد الذين اجتمعوا إليه وشاوروه في الخروج على الواثق بالله أثناء فتنة القول بخلق القرآن، فقال لهم: عليكم بالنكرة في قلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين. ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين(٢).

وقد استدل أهل السنة والجماعة على وجوب طاعة ولاة الأمر بالكتاب والسنة، كما يلي:

أولاً: من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾(٣).

وفي الآية دلالة واضحة وأمر صريح بوجوب طاعة أولي الأمر،

= المدينة عن طاعة يزيد وولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة لم يذكروا عنه وهم أشد الناس عداوة له إلا ما ذكروه عنه من شرب الخمر وإتيانه بعض القاذورات بل قد كان فاسقاً والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج كما وقع زمن الحرة/ البداية والنهاية ٨/ ٢٣٢.

(١) رواه مسلم ح١٨٥١.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ١٤٤.

(٣) النساء: ٥٩.

قال ابن حجر في الفتح: قال ابن عيينة: سألت زيد بن أسلم عنها أي عن أولي الأمر في هذه الآية ولم يكن بالمدينة أحد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله فقال: اقرأ ما قبلها تعرف، فقرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[١] فقال هذه في الولاة[٢].

وقال الشوكاني: أولو الأمر في هذه الآية هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية[٣].

ويدخل في أولي الأمر العلماء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأولو الأمر أصحابه وذووه وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس[٤].

ثانياً: من السنة المطهرة:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**»[٥].

٢ ـ حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) النساء: ٥٨.
(٢) فتح الباري لابن حجر ١٣/ ١١٩.
(٣) فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٨١.
(٤) الحسبة لابن تيمية ١١٨.
(٥) رواه البخاري ح٧١٣٧ ومسلم ح١٨٣٥.

«إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يارسول الله! كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»[(١)].

٣ ـ حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنرسول الله ﷺ قال: **«السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكَرِهَ ما لم يُؤمر بمعصية فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**[(٢)].

وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة في وجوب طاعة ولاة الأمور ولكنها طاعة مقيدة بأن تكون في المعروف أما إذا أمر بمعصية الله فلا تجوز طاعته بل تحرم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«أهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقاً إنما يطيعونهم في ضمن إطاعة الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[(٣)(٤)].

وبهذا يتضح موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لمذهب السلف في مسألة طاعة ولاة الأمور. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري ٧٠٥٢ ومسلم ح١٨٣٨.
(٢) رواه البخاري ح٧١٤٤.
(٣) النساء: ٥٩.
(٤) منهاج السنة لابن تيمية ٢/٧٦.

الباب الثالث

آراء الشيخ عبدالقادر الجيلاني الصوفية

وتحته ستة فصول:

الفصـــل الأول: **مفهوم التصوف ونشأته وتطوره**

الفصـــل الثاني: **التصوف عند الجيلاني**

الفصـــل الثالث: **الآداب عند الصوفية**

الفصـــل الرابع: **الولاية والكرامة**

الفصل الخامس: **الأحوال والمقامات**

الفصل السادس: **الطريقة القادرية**

الفصل الأول
مفهوم التصوف ونشأته وتطوره

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **تعريف التصوف**

المبحث الثاني: **نشأة التصوف**

المبحث الثالث: **مراحل التصوف وتطوره**

المبحث الأول
تعريف التصوف

التصوّف لغة: تباينت أقوال العلماء في الاشتقاق اللغوي لكلمة التصوف وهل هي مأخوذة من الصفاء أو الصوف أو من الصُفَّة أو الصفّ أو غير ذلك.

فالذين قالوا إنها مشتقة من الصفاء الروحي والشفافية النفسية يعللون هذا القول بأن الصوفية تعني تلك المعاني السامية والمبادىء الرفيعة وممن ذهب إلى ذلك الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث يقول:

«الصوفي من صفا باطنة وظاهرة بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[١].

إلاّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يرد هذا الاشتقاق لعدم صحته لغوياً، «إذ اشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة، وكان حقه أن يقال صفائية أو صفوية»[٢].

ومن الصوفية من ينسبها إلى الصفَّة وهي المكان الذي كان يقيم فيه بعض فقراء المهاجرين بمسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، ممن لم يكن لهم أهل ولا دور ينزلون بها والذين كانوا قد فرّغوا أنفسهم لطلب العلم والتعبد.

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والخمسون (ص٢٠٧).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٦٩).

غير أن القشيري[١] لا يسلِّم بصحة هذه النسبة بقوله: «فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو صوفي»[٢].

وقال بعضهم: إنها منسوبة إلى الصف الذي من معانيه الصف الأول في الصلاة، والصف المقدم بين يدي الله في عموم الطاعات والقربات.

ولكن القشيري يعترض ـ أيضاً ـ على ذلك لغوياً رغم تسليمه بصحة المعنى الدال على أنهم كأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فيقول: «ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له كان حقه أن يقال صَفِّيَة»[٣].

ثم يرجِّح أنه لا يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق وأنه كاللقب[٤].

إلاَّ أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح أن التصوّف منسوب إلى لبس الصوف فيقول:

«وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: القُرَّاء، فيدخل فيهم العلماء والنُسَّاك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية الفقراء واسم الصوفية

---

(١) عبدالكريم بن هوازن القشيري الصوفي، صاحب كتاب الرسالة، المصنف في الكلام على الصوفية وأحوالهم وأخلاقهم. ولد سنة ٣٧٥هـ، وكان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، ويعتبر من شيوخ التصوف في خراسان. مات سنة (٤٦٥هـ).
سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧).

(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٣) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

(٤) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).

هو نسبة إلى لباس الصوف هذا هو الصحيح.

وقد قيل أنه نسبة إلى صفوة الفقهاء.

وقيل إلى صوفة بن أدّ بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يعرفون بالنسك. وقيل إلى أهل الصفة، وقيل إلى الصفا وقيل إلى الصفوة، وقيل إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى. وهذه أقوال ضعيفة فإنه لو كان كذلك لقيل صُفِّي وصفائيٌّ أو صَفَوِيٌّ أو صفِّي ولم يقل صوفي[(١)].

ومع التسليم برجحان هذه النسبة إلاَّ أن القشيري كعادته يعترض على ذلك بأن الصوفية ليسوا وحدهم الذين يلبسون الصوف بل يشاركهم غيرهم فما الداعي لتخصيص الصوفية بهذه النسبة دون غيرهم[(٢)].

وممن تصدى للرد على هذا الاعتراض ابن خلدون[(٣)] من طريقين:
«**الأول**: أنه لو استعرضنا طوائف الناس كالصناع والزراع والعمال لا نجد أن طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب على طائفة الصوفية.
الثاني: أن هذه الطائفة كانت تلبس الصوف زهداً وتورعاً عن لبس فاخر الثياب، أما سائر الناس من غيرهم فيلبسونه لا لهذا الغرض الذي ينشده

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ١٩٥).
(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٠).
(٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة، ولد سنة ٧٣٢هـ، وكان فصيحاً جميل الصورة عاقلاً صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طموحاً للمراتب العالية، له عدة مصنفات من أشهرها العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر وهو سبعة مجلدات أولها المقدمة الذي يعتبر من أصول علم الاجتماع مات سنة (٨٠٨هـ).
الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٠).

الصوفي وحينئذ يكون تميزهم بلبس الصوف أمراً واضحاً»[١].

التصوف اصطلاحاً :

من الصعب تعريف التصوف بعبارة جامعة مانعة لكثرة التعاريف التي وردت على ألسنة كثير من العلماء وبعض كبار المتصوفة والتي لا تخرج في عمومها عن أنه وصف حال الإنسان المنقطع للعبادة الزاهد في الدنيا المعرض عن زخارف الحياة.

وبما أنني سأتحدث عن التصوف عند الجيلاني في مبحث مستقل فيما سيأتي فسوف أذكر هنا تعريف التصوف عند غيره من العلماء وبعض المتصوفة:

١ـ يُعرِّف شيخ الإسلام ابن تيمية التصوف بأنه: «نوع من الصديقية فهو أي الصوفي الصدِّيق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصدِّيق من أهل هذه الطريق كما يقال صدِّيقوا العلماء وصدِّيقوا الأمراء فهو أخصّ من الصدِّيق المطلق ودون الصدِّيق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم»[٢].

٢ـ يُعرِّف ابن خلدون أصل التصوف بأنه: «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يُقْبِل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد للخلوة في العبادة»[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٣٤).
(٢) فتاوى ابن تيمية (١١/ ١٧).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٣٣٣).

٣ـ سهل بن عبدالله التستري[١] يُعرِّف الصوفي بأنه: «من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر»[٢].

٤ـ الجنيد بن محمد[٣] يعرف التصوف بأنه: «ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع»[٤].

وكما هو واضح فإن تعريفات المتصوفة يكتنفها الغموض وتطغى عليها الإشارات العامة والعبارات المنمقة.

---

(١) سهل بن عبدالله التستري: شيخ العارفين الصوفي الزاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق كان يحث على طلب العلم، وعندما سئل إلى متى يكتب الرجل الحديث قال: حتى يموت ويصيب باقي حبره في قبره، ومن كلامه: أصولنا ستة: التمسك بالقرآن والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، والتوبة، وأداء الحقوق. مات سنة (٢٨٣هـ).
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠). وشذرات الذهب (٢/ ١٨٢). وطبقات الشعراني (٦٦/١).

(٢) التعرف للكلابذي (ص٩).

(٣) أبوالقاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد: ولد ببغداد وسمع الحديث ودرس الفقه وصحب السري السقطي حتى صار شيخ زمانه وسيد الطائفة في التصوف توفي في بغداد سنة (٢٩٧هـ) ومذهبه في التصوف مبني على الكتاب والسنة حيث نقل الذهبي عنه قوله: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدىٰ به».
سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦). وطبقات الشعراني (١/ ٧٢).

(٤) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٣).

المبحث الثاني
نشأة التصوف

من الخطأ الواضح أن يفسر سلوك بعض العبّاد في القرنين الأول والثاني والمتمثل في نزعتي الزهد والتقشف وكثرة العبادة والإقبال على الأعمال الصالحة بأن هذا السلوك هو الأساس التاريخي لظاهرة التصوف وإذا كان قد وجد في القرون المفضلة من اختط لنفسه هذا المنهج صقلاً لنفسه وتطهيراً لروحه فإن ذلك لم يكن إلاَّ استجابة للدعوة التي تضمنتها رسالة الإسلام الخالدة في الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا بالمفهوم الشرعي للزهد.

وقد اختلفت آراء الباحثين في نشأة التصوف وفي البيئة التي نبتت فيها بذرته الأولى ويمكن حصر هذه الآراء في رأيين اثنين:

الأول: أن التصوف إسلامي النشأة وأن أصوله العقائدية والسلوكية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة وفعل السلف ويتزعم أصحاب هذا القول ابن خلدون حيث يقول في مقدمته:

«هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشى الإقبال على الدنيا في القرن

الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا: اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[١].

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بأن الأصول التي يبني عليها المتصوفة مذهبهم من أحوال ومقامات ومجاهدات كالتوبة والورع والزهد والذكر والصبر والمراقبة كلها أمور أمر الله بها في كتابه وحث عليها رسوله ﷺ في سنته وطبَّقها وعمل بها صحابته رضوان الله عليهم وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ حتى جعل الشعراني في طبقاته الخلفاء الراشدين أول رجال طبقات الصوفية[٢].

وسبب ذلك هو الخلط بين مفهوم الزهد والورع والمراقبة، والتي هي خلق الأنبياء وعباد الله الصالحين الذين يؤثرون ما عند الله على التنعم والتلذذ والاشتغال بالمباحات والتي يخشون أن تجرهم إلى الوقوع في المخالفات فكانوا يتركون ما لا بأس به مخافة الوقوع فيما به بأس وهذا لكمال علمهم بالله عز وجل ورغبتهم فيما عنده، وبين التصوف بمناهجه وفلسفته وهواتفه وأحواله.

الثاني: أن الإسلام حين جاء كانت الصوفية منتشرة في كل البلاد التي دخلها فكانت منتشرة في جزيرة العرب باسم الكهانة وفي الهند وبلاد فارس لأن ديانتهم تقوم على أساس الرياضة والرؤى والمكاشفات، وكانت منتشرة في النصرانية التي كانت تسيطر على مصر والشام والعراق واليمن. وكذلك اليهودية وكان يطلق على الشيخ اسم الكاهن أو العارف أو العرَّاف أو ما يرادفها في اللغات الأخرى.

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٣٣).
(٢) الطبقات للشعراني (١/ ١٥ـ٢٣).

ولما جاء الإسلام اختبأت وراء الأسوار حتى استطاع كهانها أن يجدوا لها صيغة ملائمة أظهروها بها أمام أعين الناس ثم دعوهم إليها.

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علماء الصوفية القدامى مثل شهاب الدين السهروردي[(١)] الذي يقول:

«وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغوريين رفعت إلى أخي أخميم (أي ذا النون المصري)[(٢)] ومنه نزلت إلى سياد تستر أي (سهل التستري) وشيعته وأما خميرة الخسروانيين في السلوك فهي نازلة إلى سيار بسطام (أبويزيد البسطامي)[(٣)] ومن بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج)[(٤)] ومن بعده إلى سيار آمل وخرقان (أبي الحسن

---

(١) الفيلسوف شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي كان يتوقد ذكاءاً، إلاَّ أنه قليل الدين، وكان بارعاً في أصول الفقه مفرطاً في الذكاء، ولم يناظر أحداً إلاَّ أربى عليه. قال عنه الذهبي: «كان أحمق طياشاً منحلاً». قتل سنة (٥٨٧هـ).
سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٢١).

(٢) ذا النون المصري: شيخ الديار المصرية ثوبان بن إبراهيم كان لا يتقن الحديث، وكان واعظاً فصيحاً عالماً حكيماً، وقد رمي بالزندقة. مات سنة (٢٤٦هـ).
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢). وطبقات الشعراني (١/ ٥٩).

(٣) أبويزيد طيفور بن عيسى البسطامي: كان يقول: «لو نظرت إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي وحفظ حدود الشرع» ونقل عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها ولكن كما يقول الذهبي: الشأن في ثبوتها عنه فتطوى ولا تروى إذ ظاهرها إلحاد مثل سبحاني، وما في الجبة إلاَّ الله، وما المحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل فقد خاطبنا القلب عن الرب. توفي سنة (٢٦١هـ).
سير أعلام النبلاء (٨٦/١٣). وطبقات الشعراني (١/ ٦٥).

(٤) الحلاج هو الحسين بن منصور الصوفي كان جده مجوسياً صحب سهل التستري والجنيد وأكثر الترحال، وقد تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ لسوء سيرته ونسبوه =

الخراقاني)[١]»[٢].

وخلاصة هذا الرأي أن التصوف ليس إسلامي النشأة وإنما هو مزيج من العبادات الفارسية واليونانية والنصرانية واليهودية ودليل أصحاب هذا الرأي بالإضافة إلى ما ذكرنا أن علماء الصوفية إنما نشأوا في بلاد فارس وأن هناك أوجه شبه كثيرة بين الصوفية وبين أهل تلك البلدان في اعتقاداتهم وعباداتهم وخاصة في عقائد الرمز والظاهر والباطن والتأويل وغيرها. ويؤيد هذا الرأي ما ذهب إليه أبونصر السراج[٣] من أن منشأ التصوف كان في الجاهلية قبل الإسلام[٤].

وبالتأمل والنظر في كلا الرأيين نجد أن المبالغة قد طغت على أصحاب كل رأي.

فالرأي الأول بالغ أصحابه فيه حين جعلوا التصوف إسلامي النشأة ووصفوا جميع الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون بأنهم من المتصوفة.

وأصحاب الرأي الثاني بالغوا أيضاً حين جعلوا أصول التصوف مستنبطة من الديانات القديمة ومن المذاهب والفلسفات اليونانية وإن كان

= إلى الحلول والزندقة، قتل مصلُوباً بعد أن قطعت يداه ورجلاه وضرب ألف سوط وأحرقت جثته ونثر رمادها في نهر دجلة سنة (٣٠٩هـ).
سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣). وطبقات الشعراني (١/ ٩٢).

(١) لم أجد له ترجمة في كتب السير والتراجم ولا في طبقات الصوفية.

(٢) ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال (١٧١).

(٣) عبدالله بن علي الطوسي أبونصر السراج: زاهد كان شيخ الصوفية على طريقة السنة، له كتاب اللمع في التصوف. مات سنة (٣٧٨هـ).
شذرات الذهب (٣/ ٩١). الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٤).

(٤) اللمع لأبي نصر السراج (٤٢).

أصحاب هذا الرأي على حق إذا ما عنوا به التصوف المنحرف الذي وصل بأصحابه إلى القول بالحلول ووحدة الوجود.

وأعدل الأقوال في نشأة التصوف هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يذهب إلى أن بداية نشأته كانت في أوائل القرن الثاني لكنه لم يشتهر إلاَّ في القرن الثالث فيقول:

«أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية أصحاب عبدالواحد بن زيد[1] وعبدالواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«ولهذا كان غالب ما يحكى من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عبَّاد أهل البصرة»[2].

وقد حرَّر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ نبذة مختصرة عظيمة الفائدة عن نشأة التصوف وكيف بدأ ثم كيف انتهى به الحال إلى أن أصبح رسوماً وإشارات وبدعاً وضلالات. يقول ـ رحمه الله ـ:

---

(١) عبدالواحد بن زيد الزاهد: كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثرت المناكير في حديثه حتى قال عنه النسائي: متروك الحديث. أصيب بالفالج فدعا الله أن يطلقه وقت الوضوء، فكان إذا أراد أن يتوضأ انطلق، فإذا رجع إلى سريره فلج، وكان ذا وعظ مؤثر لدرجة أن بعض الجالسين في مواعظه يموتون. قال عنه الذهبي: رمي بالقدر وهو من كبار الزهاد والكمال عزيز. مات سنة (١٧٧)هـ.
سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩).

(٢) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٦ـ٧).

«والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاَّب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة حاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى.

وعلى هذا كان أوائل القوم فلبَّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبَّس على من بعدهم من تابعيهم كلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود هو العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبَّهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خُلِقَ للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري...» الخ[١].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(١٩٩) وما بعدها.

المبحث الثالث
مراحل التصوف وتطوره

لقد بدأ التصوف كما رأينا بالزهدوالعبادة في البصرة ثم تطور إلى طرق صوفية منظمة ثم إلى انحرافات عقدية لا تمت إلى الإسلام بصلة وعليه يمكن تقسيم التصوف إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة العبَّاد والزهَّاد والذي كان يغلب على أصحابها العزلة والبعد عن الناس والزهد في الدنيا مع التزامهم في الغالب بآداب الشريعة مع تغليب جانب الخوف الشديد والبكاء المستمر.

ومن أبرز رجال هذه المرحلة عامر بن عبدالله بن الزبير الذي كان يواصل الصيام ويكثر من العبادة حتى قال له والده الصحابي الجليل عبدالله بن الزبير: «يا بني لقد رأيت أبابكر وعمر ولم يكونا هكذا»[١].

ومنهم طلق بن حبيب[٢] الذي كان من الزهاد الكبار ومن العلماء

---

(١) عامر بن عبدالله بن الزبير: الإمام الرباني أحد العُباد. اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني تصدق بديته ست مرات، سمع الأذان وهو يحتضر فقال: خذوا بيدي. فقيل: إنك عليل. فقال: أسمع داعي الله ولا أجيبه. فأخذوا بيده حتى دخل مع الإمام في صلاة المغرب، فركع ركعة ثم مات. قال عنه الإمام مالك: كان عامر ربما انصرف من العتمة فيعرض له الدعاء فلايزال يدعو إلى الفجر.
سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٩).

(٢) طلق بن حبيب العنزي: كان طيب الصوت بالقرآن برًّا بوالديه ممن يخشى الله، لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق للناس: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله =

العاملين، ومنهم بشر الحافي[١] الذي كان رأساً في الإخلاص والورع، والجنيد بن محمد بن الجنيد الذي كان يقول: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدي به»[٢].

وغيرهم كثير ممن كانت مقاصدهم حسنة ولكن ربما وقع بعضهم في بعض التجاوزات إما لقلة علمهم أو لأنهم عملوا بما وقعت عليه أيديهم من الأحاديث الضعيفة وهم لا يدرون. وهؤلاء يعتبرون من أوائل الصوفية في مراحلها الأولى حيث جمعوا بين الزهد والتشدد في الدين والتعمق في الخطرات مما لم يكن معهوداً عند السلف.

وقد استحدث في هذه المرحلة الاستماع إلى القصائد الزهدية التي تلقى بالألحان المطربة. ولعل أبرز سمات هذه المرحلة ما يلي:

١ـ التمسك بالسنة في الغالب عدا بعض التجاوزات[٣].

= على نور من الله مخافة عذاب الله. وكان يقول: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين. قال عنه أبوحاتم: طلق صدوق يرى الإرجاء.
سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١).

(١) بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المشهور بالحافي: الإمام الزاهد ولد سنة (١٥٢هـ) ورحل في طلب العلم وكان يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله وحسنت فيه نيته، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه ومن كل خطوة خطوت فيه. قال عنه إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه ولا أحفظ للسانه. كان في كل شعرة منه عقل وما عرف له غيبة لمسلم. مات سنة (٢٢٧هـ).
سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩). وشذرات الذهب (٢/ ٦٠).

(٢) الرسالة للقشيري (١/ ١١٨).

(٣) المصدر السابق (١/ ١١٨).

٢ـ احترام العلم والعلماء.
٣ـ قلة الفقه في الدين وعدم الاهتمام بالحديث[١].
٤ـ الاهتمام بالوعظ والإكثار من القصص المأخوذة من أهل الكتاب والأمم السالفة[٢].
٥ـ تغليب جانب الخوف والحزن ومواصلة الصوم والاضطراب والصعق والغشي عند سماع القرآن[٣].
٦ـ البعد عن مجالس العلم والقعود عن الكسب[٤].

وهذه السمات لم تكن لها مناهج محددة وإنما كانت سمات شخصية تقع من بعض الأفراد وتنتج غالباً عن الجهل والغفلة.

المرحلة الثانية: مرحلة طلائع الصوفية وما صاحبها من ظهور الطرق والمصطلحات الصوفية الغامضة ونزعات الأهواء والبدع وعلم الإشارات والمكاشفات والذوق إلى غير ذلك.

وفي هذه المرحلة نشأ مايسمى بعلم الظاهر والباطن وإعلان سقوط التكاليف الشرعية عن الأولياء بزعمهم أنهم اطلعوا على علم الحقيقة عن طريق الكشف «الإلهام»[٥].

وأقطاب هذه المرحلة هم مشايخ الطرق الصوفية المشهورون مثل:

١ـ أبي الحسن الشاذلي[٦] شيخ الطائفة الشاذلية الذي يصفه

---

(١) الطبقات للشعراني (١/ ٥٣). واصطلاحات الصوفية للكاشاني (٤٥).
(٢) الطبقات للشعراني (١/ ١٨٦).
(٣) الطبقات للشعراني (١/ ٥٢، ٥٥).
(٤) الطبقات للشعراني (١/ ٥١).
(٥) انظر: فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤١٧)ـ ٤٣٩).
(٦) علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي: شيخ الطائفة الشاذلية الضرير الزاهد نزيل =

الشعراني في طبقاته بقوله: كان كبير المقدار عالي المنار له عبارات فيها رموز وكان قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان حجة الصوفية وعَلَمُ المهتدين وزين العارفين أستاذ الأكابر وزمزم الأسرار ومعدن الأنوار»[١].

وبالرغم من أنه كان يقول: إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة»[٢].

إلاَّ أنه لم يتقيد بهذا المبدأ فقد نقل عنه الشعراني أيضاً قوله وقد سئل عن شيخه فقال:

«كنت أنتسب إلى عبدالسلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر»[٣].

ومن العجيب جدًّا أن يصنف شيخ الجامع الأزهر السابق عبدالحليم محمود كتاباً يمجد فيه الشاذلي ويثني علي طريقته وينقل أن النبي ﷺ كلَّم الشاذلي من داخل حجرته الشريفة فيقول:

«فلما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً وقف على باب الحرم

= الأسكندرية، مات بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة (٦٥٦هـ). الطبقات للشعراني (٢/ ٤).

(١) الطبقات للشعراني (٢/ ٤).
(٢) الطبقات للشعراني (٢/ ٤).
(٣) الطبقات للشعراني (٢/ ٦).

من أول النهار إلى نصفه عريان الرأس حافي القدمين يستأذن على رسول الله ﷺ تسليماً فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة يا علي أدخل»[١].

ولست بحاجة إلى التعليق على هذه الخرافة الباطلة فإن أفضل الأمة وخير القرون أصحاب رسول الله ﷺ من اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه ما كانوا يفعلون هذا الفعل المبتدع وما كانوا يقفون على باب مسجده ﷺ حاسري الرؤوس حفاة الأقدام ينتظرون الإذن لهم بالدخول إلى المسجدثم كيف استطاع الشاذلي أن يسمع صوت النبي ﷺ وقد مات صلوات الله وسلامه عليه بنص قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾[٢] وغير ذلك من الآيات.

٢ـ ومن أقطاب هذه المرحلة أيضاً: أحمد الرفاعي[٣] الذي يزعم أتباعه أنه «لما حج سنة ٥٥٥هـ وقف تجاه الحجرة النبوية وقال: السلام عليكم يا جدي. فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام: عليك السلام يا ولدي. وسمع ذلك كل من في المسجد النبوي ومدَّ له رسول الله يده الشريفة من قبره فقبّلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل ثم قالوا: وإنكار هذه الكرامة كفر»[٤].

---

(١) المدرسة الشاذلية الحديثة للدكتور عبدالحليم محمود (ص٣٢).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) أحمد بن علي: بن يحيى الرفاعي الزاهد مؤسس الطريقة الرفاعية وتسمى الأحمدية، والبطائحية، ولد بالعراق وتفقه وتصوف فانضم إليه خلق كثير وهو مغربي الأصل. مات سنة (٥٧٨هـ).
سير أعلام النبلاء (٢١/٧٧). وشذرات الذهب (٤/٢٥٩).

(٤) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر (ص١٠٤).

بل تصديق هذه الخرافة جهل ونقص عقل إذ كيف خرجت يده ﷺ من قبره وهو قد فارق الحياة ويعيش فترة البرزخ كأكمل حياة الشهداء.

وقد وقعت بين الرفاعية وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مناظرة عظيمة أمام أمير دمشق حين زعموا أن بإمكانهم دخول النار والخروج منها سالمين فتحداهم شيخ الإسلام بأن يدخل معهم النار شريطة أن يغتسلوا بالماء الحار والخل لإزالة ما كانوا يطلون به أجسامهم من الأدوية التي كان يضعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج فمن أحرقته النار فعليه لعنة الله وكان مغلوباً، وقد أظفره الله عليهم وطلبوا التوبة وقد ذكر شيخ الإسلام القصة كاملة في الفتاوى[١].

ويمكن حصر السمات البارزة لهذه المرحلة فيما يلي:

١ـ ظهور مشايخ الطرق الصوفية ووضع الأصول والمناهج العامة لها.

٢ـ الإكثار من دعوى الإلتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات لهذا الشعار عند التطبيق[٢].

٣ـ وجود بعض الشطحات في الألفاظ والسلوك والتصرفات مما أنكره عليهم علماء السلف ووصفوهم به بالضلال[٣].

٤ـ ظهور القصائد الصوفية وتطور مفهوم السماع وما يرافقه من السكر والوجد والرقص[٤].

٥ـ ظهور المصطلحات الصوفية مثل الكشف والحقائق والأسرار والفناء

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٤٤٥).
(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥٨٥).
(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٧٠، ٧٤، ٧٥).
(٤) الرسالة للقشيري (٢/ ٦٤٥).

والمشاهدة وغيرها[١].

المرحلة الثالثة: تعد هذه المرحلة من أخطر مراحل التصوف فقد بدأت الانحرافات في الظهور بعد تسرب الفلسفة اليونانية والاتجاهات الفارسية والمجوسية والتأثر بالديانات اليهودية والنصرانية وأبرز سمات هذه المرحلة يمكن حصرها فيما يلي:

١ـ تكوين أصول الصوفية ومدى تأثرها بالنصرانية وقولها بالاتحاد والحلول وبالمجوسية وتقديسها للأشخاص وبالهندية وقولها بالفناء والتناسخ وبالفلسفة اليونانية وإلحادها وزندقتها والقول بوحدة الوجود[٢].

٢ـ دعوى العلم اللدني والتلقي عن الله مباشرة كقول البسطامي أخذتم دينكم ميِّت عن ميِّت أما نحن فنأخذ عن الحي الذي لا يموت[٣] وقول ابن عربي: «والله ما كتبت في الفتوحات المكية حرفاً إلاَّ عن إملاء إلهي أو إلقاء رباني أو نفث روحاني أو روح كياني»[٤].

٣ـ وقوعهم في الكثير من البدع الاعتقادية كالتشيع والتجهم والإرجاء والقدر لبعدهم عن مناهج التلقي الصحيحة وهي الكتاب والسنة[٥].

٤ـ وقوع بعضهم في الفواحش والرذائل وزعمهم أنها من باب الكرامات[٦].

---

(١) دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (٢٣٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٨٢). وتلبيس إبليس لابن الجوزي (٣٤٥).

(٣) الطبقات للشعراني (١/ ٥).

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي (٣/ ٤٥٦).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٥/ ٧).

(٦) انظر: طبقات الشعراني (١/ ٤٦، ٢/ ٤٣، ٢/ ١٢٩).

وبعد فهذه ملامح رئيسة عرضت بعضها بإيجاز للدلالة على المراحل التي مرت بها الصوفية وكيف بدأت زاوية الانحراف بسيطة ثم اتسعت كلما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح حتى آل بهم الحال إلى الإلحاد والقول بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول والتحلل من الشرائع نعوذ بالله من ذلك.

الفصل الثاني
التصوف عند الجيلاني

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التصوف عند الجيلاني

المبحث الثاني: العوامل التي أدت إلى تصوفه

المبحث الثالث: موقفه من العلم والعمل

المبحث الأول

مفهوم التصوف عند الجيلاني

لقد رسم الجيلاني منهجاً متكاملاً للتصوف يجمع بين العلم الشرعي المؤسس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبين التطبيق العملي والالتزام بالشرع وقد أراد بذلك مدَّ جسور التواصل بين العلماء والفقهاء ممن كثر اهتمامهم بالنصوص والعلوم الشرعية على حساب السلوك وأعمال القلوب وبين رجال التصوف الذين بالغوا في الاهتمام بالروحانيات وأعمال القلوب وأهملوا إلى حد كبير جانب العلم الشرعي ولعل أبرز مثال على ذلك شيخه في التصوف حماد الدباس الذي كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب[1] والذي كان ينكر عليه تردده على الفقهاء والعلماء ويقول له: «إيش جاء بك إلينا أنت فقيه سر إلى الفقهاء»[2].

ونستطيع أن نعرف معالم هذا المنهج من أقواله ـ رحمه الله ـ مثل:

«انظر لنفسك نظر رحمة وشفقة واجعل الكتاب والسنة أمامك وانظر فيهما واعمل بهما ولا تغتر بالقيل والقال والهوس قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] **ولاتخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به وتخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة كما قال الله عز وجل**

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٩٤).
(٢) قلائد الجواهر (١١٢).
(٣) سورة الحشر، الآية: ١٧.

في حق قوم ضلوا سواء السبيل ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[١]»[٢].

ويقول في موضع آخر:

«يا قوم انصحوا القرآن بالعمل به لا بالمجادلة فيه الاعتقاد كلمات يسيرة والأعمال كثيرة عليكم بالإيمان به صدقوا بقلوبكم واعملوا بجوارحكم واشتغلوا بما ينفعكم ولا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية»[٣].

وهناك نصوص كثيرة ترشد إلى منهجه هذا وتدل على بعده عن الانحرافات الصوفية إلاَّ أنه كما سبق أن أشرنا في سمات التصوف في المرحلة الثانية من الإكثار من دعوى الالتزام بالكتاب والسنة ونهج السلف ثم وجود المفارقات وعدم الالتزام بهذه الدعوى عند التطبيق وهذا ينطبق أيضاً على الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي لو لم تقع منه تلك المفارقات لعُدَّ من أئمة أهل السنة والجماعة ومن علماء السلف ولَمَا كانت له علاقة بالمتصوفة من قريب أو بعيد.

وقد تحدث الشيخ عبدالقادر عن مفهوم التصوف والمتصوف والصوفي كالآتي:

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.
(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة السادسة والثلاثون (ص٦٥).
(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الحادي عشر (٤١).

أولاً : مفهوم التصوف عنده :

لقد حدده بقوله :

«التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخُلُق مع الخَلْق»[١].

وهذا يعني أن التصوف ينظم العلاقتين الرئيستين بين العبد وبين ربه بالصدق في العبودية وبين العبد وبقية الناس بالمعاملة الحسنة والخلق القويم.

كما يحدده بقوله :

«هو تقوى الله وطاعته ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر وسخاء النفس وبشاشة الوجه وبذل الندى وكف الأذىٰ وتحمل الأذى والفقر وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر وترك الخصومة والإرفاق وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار وترك صحبة من ليس من طبقتهم والمعاونة في أمر الدين والدنيا»[٢].

وهو هنا يضيف إلى ما ذكرنا أمرين هامين لهما علاقة بالتصوف :

الأول: تربية النفس وتزكيتها وتهذيبها وحملها على التخلق بالصفات النبيلة والخلال الحميدة كسلامة الصدر والسخاء والبشاشة والبذل والتحمل والحلم، والأيثار والرفق.

والثاني: التأدب في المعاشرة بالقيام بحقوق الشيخ والإخوان والنصح والإخلاص للجميع وعدم التخاصم.

ولا يكتفي الشيخ عبدالقادر بتنظيم تلك الأمور الهامة وإنما يبين أن

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٠).

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة السابعة والخمسون (ص١٦٦).

التصوف يقوم ويعتمد على ثمان خصال:

١ـ **السخاء**: ويجعل القدوة في ذلك خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي اشتهر صلوات الله وسلامه عليه بذلك(١).

٢ـ **الرضا**: ويجعل القدوة فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وكأنه بهذا يشير إلى أنه هو الذبيح وأن استسلامه لأمر ربه ورضاه كان أبرز صفاته.

وهذا القول مرجوح عند أهل السنة والجماعة. فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ الخلاف في هذه المسألة ورجَّح بالأدلة القاطعة والبراهين القوية أن الذبيح هو إسماعيل عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام(٢).

٣ـ **الصبر**: والقدوة في التخلق بهذا الخلق العظيم أيوب عليه السلام فقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾(٣) وذلك لما تحلى به من الصبر لمواجهة تلك الابتلاءات العظيمة التي لا يكاد يطيقها بشر في جسده وماله وولده»(٤).

٤ـ **الإشارة**(٥) ويذكر أن القدوة فيها هو زكريا عليه السلام.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١/ ٧١).

(٣) ص (٤٤).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩).

(٥) وسائل الاتصال عند الناس هي التخاطب والتلاقي وغيرها، أما الصوفية فيستخدمون الإشارة للتعبير والإرسال والاستقبال وبهذا المعنى يشير صاحب اللمع بقوله: «الإشارة هي ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة لدقة ولطافة معناه» اللمع للطوسي (ص٤١٤).

وكأنه يشير بهذا إلى سرعة بديهته وشدة فهمه وذكائه عليه السلام فإنه لما رأى أن الله يرزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أدرك بفطنته مدى قدرة الله عز وجل وعدم ارتباطها بالأسباب وأن الله قادر على أن يرزقه ولداً ولو كان شيخاً كبيراً قد وهن عظمه واشتعل بالشيب رأسه مع كبر امرأته فدعا الله وناداه وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾[1][2].

٥ـ الغربة[3] وقد جعل القدوة في هذه الصفة يحيى بن زكريا عليه السلام.

ولعل قصده بذلك كثرة عبادته وخلو قلبه من المشاغل حيث لا ولد ولا زوجة فقد جعله الله سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين[4].

٦ـ التصوف والقدوة في ذلك موسى بن عمران عليه السلام.

ولعله أراد بذلك الإشارة إلى الاصطفاء الذي وقع عليه من الله بقوله عز وجل: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[5].

٧ـ السياحة[6] ويذكر أن القدوة فيها هو عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٠).
(٣) الغربة عند الصوفية بمعنى الاغتراب عن الوطن وذلك لتيسير الاتصال مع الله منعاً لشواغل الحس فالصوفي إذا ساح في البلاد وجد نفسه فقيراً إلى الله في كل حال. معجم ألفاظ الصوفية، لحسن شرقاوي (٢١٦).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٦١).
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.
(٦) السياحة في الصوفية جزء من جهاد النفس لأن في السفر والاغتراب والبعد عن الأولاد والأحباب فرصة للتربية الروحية ومخالفة النفس بالإضافة إلى لقاء الصالحين وطلب العلم وغيره.
معجم ألفاظ الصوفية (١٧٤).

وقد حاولت أن أجد علاقة بين هذا الوصف وبين ما كان عليه نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام فلم يتضح لي شيء.

٨ـ الفقر[١].

ولا شك أن أعظم الناس اتصافاً بهذا الوصف وهو الافتقار إلى الله وصدق اللجوء والاعتماد عليه هو خير البشر وسيد ولد آدم محمد ﷺ والشواهد على هذا كثيرة جدًّا في سيرته العظيمة[٢].

---

(١) الفقر عند الصوفية ليس بمفهومه العام الذي هو ضد الغنى ولكن معناه الافتقار إلى الله بمعنى أن يشعر الإنسان بفقره وحاجته إلى الله ولو كان غنياً أو وجيهاً.
معجم ألفاظ الصوفية (٢٢٦).

(٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الخامسة والسبعون (ص١٦٦).

ثانياً : مفهوم المتصوف :

المتصوف عند الجيلاني هو الذي يتوصل بجهد وتكلف في طريق تصوفه إلى أن يكون صوفياً فيسير في طريق القوم مجاهداً لهواه ومروضاً لنفسه على التحمل والتحلي بالصفات المحمودة وتطبيقها فيقول ـ رحمه الله ـ:

«المتصوف هو الذي يتكلف أن يكون صوفياً ويتوصل بجهده إلى أن يكون صوفياً فإذا تكلف وتقمص طريق القوم وأخذ به في طريق السلوك يسمى متصوفاً»[١].

وكلامه هذا يدل على أنه يرى أن هناك مرحلة سابقة تسبق كون الرجل صوفياً وهي مرحلة الإعداد والتربية والتي غالباً ما تكون مصحوبة بالجهد والمعاناة. لأنها فترة تدريب على أعمال القلوب بالإيمان الصادق. وأعمال الجوارح بالعمل الصالح.

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٠).

ثالثاً : مفهوم الصوفي :

الصوفي عند الجيلاني هو من تحقق فيه ما سبق من معاني التصوف حتى صار أهلاً لأن يطلق عليه صوفي فيقول في وصفه:

«صوفي مأخوذ من المصافاة يعني عبد صافاه الله عز وجل، أو من كان صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها سالكاً لحميد مذاهبه ملازماً للحقائق غير ساكن إلى أحد من الخلائق»(١).

ويضع ضابطاً دقيقاً للصوفي فيقول:

«الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»(٢).

وكم تمنيت لو أن المتصوفة وأتباع طريقة الجيلاني تمسكوا بهذا التوجيه والتزموا وتقيدوا بهذا الضابط ولو حدث هذا لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً.

ويفرق الشيخ عبدالقادر بين المتصوف الذي لا يزال في مرحلة الإعداد والتدريب وبين الصوفي الذي قطع الطريق واجتاز فترة الإعداد بقوله:

«المتصوف: مبتدىء في طريق الوصل، والصوفي: منتهي إليه.

المتصوف: متحمل لكل ثقيل وخفيف، والصوفي: محمول.

المتصوف: شارع في الطريق. والصوفي: قطع الطريق ووصل لمن

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٠).

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والخمسون، ص(٢٠٧).

إليه الوصل والقطع»[١].

وقد أكد الشيخ عبدالقادر الجيلاني كثيراً على عدم الاهتمام بالشكل والمظهر وإهمال الباطن والجوهر فقال:

«يا من قد لبس الصوف إلبس الصوف لسرك ثم لقلبك ثم لنفسك ثم لبدنك. بداية الزهد من هناك تكون. لا من الظاهر إلى الباطن. إذا صفا السر تعدى الصفاء إلى القلب والنفس والجوارح والمأكول والملبوس وتعدى إلى جميع أحوالك»[٢].

وفي تأكيد واضح على أن الصوفي الحقيقي هو الذي صفا قلبه بأكل الحلال وبالصدق مع الله عز وجل يقول الجيلاني:

«يا غلام صفِّ قلبك بأكل الحلال وقد عرفت ربك عز وجل صفِّ نعمتك وخرقتك وقلبك وقد صرت صافياً.

التصوف مشتق من الصفا.

يامن لبس الصوف. الصوفي الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق وتصفير الوجوه وجمع الأكتاف ولقلقة اللسان وحكايات الصالحين وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل. والزهد في الدنيا وإخراج الخلق من القلب وتجرده عما سوى مولاه عز وجل»[٣].

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦١).
(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع والعشرون ص(٨٧).
(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخامس والعشرون (ص٩٠).

المبحث الثاني

العوامل التي أدت إلى تصوفه

هناك عوامل عدة أثَّرت في تكوين شخصية الشيخ عبدالقادر الجيلاني حتى آلت به إلى سلوك طريق التصوف إلى جانب سلوكه طريق العلم الشرعي المعتمد على الكتاب والسنة كما سبق أن أوضحناه عند عرض آرائه الاعتقادية. وأبرز هذه العوامل ما يلي:

١ـ نشأته في أحضان أسرة صالحة، تتألف من والده الذي كان مشهوراً بالصلاح والعبادة وحسن السيرة ووالدته فاطمة أم الخير بنت أبي عبدالله الصومعي المعروف بالتقوى والورع وعمته التي كانت على جانب كبير من الخير والصلاح[1].

إلى جانب شهرة جدِّه لأمه الذي كان من كبار مشايخ جيلان ورؤساء زهادهم والذي ما إن لَمَحَ فيه الاستعداد الطيب والرغبة في الخير والعلم حتى ضمَّه إليه وتعهَّده بغرس جميل الخصال فيه وَرَبَطَهُ بالعلماء والصالحين ولقد كان الزهد سمة غالبة على بيئة الشيخ عبدالقادر فقد وصف والديه بقوله:

«أهَّلني الله عز وجل ببركات متابعتي للرسول ﷺ وبري بوالدي ووالدتي رحمهما الله عز وجل، والدي زهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله كانا من أهل الصلاح والديانة

---

(١) بهجة الأسرار (٨٨). وقلائد الجواهر (٣).

والشفقة على الخلق»[١].

ولقد أعطى هذا الطابع الديني لأسرة الشيخ عبدالقادر مكانة عالية بين الناس مما جعلهم يقدِّرونهم ويسترشدون بهم في جميع أحوالهم فقد ذكر ابن العماد الحنبلي أن أهل جيلان استسقوا بعمته الصالحة أم عائشة فلم يسقوا فكنست رحبة بيتها وقالت: يارب كنست رحبة بيتي فرشَّ أنت. فمطروا كأفواه القرب[٢].

٢ـ اتصاله بالصوفية في بغداد فلقد شكَّل انتقاله إلى بغداد تطوراً جديداً في حياته لما واجهه من تغير كبير في البيئة العامة والحياة الخاصة حيث اختلط بالعلماء والفقهاء ومشايخ الصوفية وذلك في قاعات الدروس ومجالس العلم. ووقف على انتماءاتهم ونشاطاتهم وتأثر بذلك تأثراً كبيراً وقد بدأ وقائع دراسته بدراسة الفقه الحنبلي وقراءة القرآن الكريم ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة التصوف وعلومه وكان لصحبته للشيخ حماد الدباس الأثر الكبير في تحديد توجيهاته الصوفية[٣].

٣ـ عدم ارتياحه إلى سلوك بعض الفقهاء والوعاظ في زمانه والذين كانت تحكمهم الأهواء والمنافع الشخصية وكانوا يثيرون الخلافات المذهبية ويغيرون انتماءاتهم طبقاً لمصالحهم الذاتية مما عمَّق قناعته بأن انحراف بعض الفقهاء وتكسبهم بدينهم هو نتيجة حتمية لفراغ قلوبهم من التقوى ومراقبة الله عز وجل وجعله يسلك طريق التصوف لكن ثقافته الفقهية التي تستمد أصولها من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح كان

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الواحد والستون (ص٢٢٤).
(٢) شذرات الذهب لابن العماد (١٩٩/٤).
(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٩٨/١).

لها الأثر الكبير في سلامته وعبوره ساحل النجاة وعدم تأثره بالفلسفات وعلوم الكلام والإشارات والتفسيرات الصوفية التي تعتمد على الإلهام والكشف والذوق وغير ذلك.

٤ ـ المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي كانت للتصوف في زمانه إثر الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام الغزالي الذي اشتهر أمره وذاع صيته في بداية نشأة الشيخ عبدالقادر ولا أستبعد أن يكون قد تتلمذ عليه فمن المعروف أن الإمام الغزالي توفي سنة ٥٠٥هـ بينما كان وصول الشيخ عبدالقادر إلى بغداد كما أسلفنا في سنة ٤٨٨هـ بمعنى أنه عاش معه في بغداد سبعة عشر عاماً فمن المستحيل ألاَّ يكون قد سمع به أو جالسه ثم رأى تلك المنزلة العالية التي كان عليها الغزالي في بغداد ويزيد هذا الاحتمال ترجيحاً التشابه الكبير بين أسلوب الشيخ الغزالي والشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابيهما الغنية والإحياء.

هذه أهم العوامل في نظري والتي كان لها الأثر الكبير في تصوفه رحمه الله.

المبحث الثالث

موقفه من العلم والعمل

نلمح من خلال تتبع أحوال الشيخ عبدالقادر الجيلاني عنايته الفائقة واهتمامه البالغ بجانبي العلم النظري والعملي والذي يقرأ ما كتبه في أهمية العلم والعلماء يتضح له صدق ما ذكرت وسوف أورد بعض أقواله الدالة على مدى اهتمامه بالعلم. فمن ذلك قوله في نصيحة يوجهها إلى بعض طلاَّبه:

«إن أردت الفلاح فاصحب شيخاً عالماً بحكم الله عز وجل وعلمه يعلمك ويؤدبك ويعرفك الطريق إلى الله عز وجل».

ويقول في نصيحة أخرى:

«إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بها فما تفلح أبداً»[1].

ويكفي في بيان اهتمامه بالعلم ما سبق أن أوضحناه في الباب الأول عند الحديث عن مكانته العلمية.

أما الجانب العملي فقد كان موضع عنايته باعتباره من مقتضيات العلم. ومن ثماره وسوف نذكر نماذج من تركيزه على هذا الجانب في وصاياه التي كان يوجهها إلى طلاَّبه ومريديه من ذلك قوله:

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والثلاثون (ص١٢٧).

«يا غلام تحفظ القرآن ولا تعمل به تحفظ سنة رسوله ﷺ ولا تعمل بها. فلأي شيء تفعل ذلك تأمر الناس وأنت لا تفعل وتنهاهم وأنت لا تنتهي قال عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[1] لم تقولون وتخالفون أما تستحون لم تدَّعون الإيمان ولا تؤمنون»[2].

ويؤكد على التشبيه السيء للعالم الذي لا يعمل بعلمه بقوله:

«مثَّل الله العالم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[3] الأسفار هي كتب العلم هل ينتفع الحمار بكتب العلم ما يقع بيده منها سوى التعب والنصب من ازداد علمه ينبغي أن يزداد خوفه من ربِّه عزَّوجل وطواعيته له. يا مدعي العلم أين بكاؤك من خوف الله عز وجل؟ أين حذرك وخوفك؟ أين اعترافك بذنوبك؟ أين مواصلتك للضياء بالظلام في طاعة الله عز وجل؟ أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعداوتها فيه؟ أنت همك القميص والعمامة والأكل والنكاح والدور والدكاكين والقعود مع الخلق والأنس بهم»[4].

ولأهمية الإخلاص عند أداء العمل يقول:

«لِمَ تتعلم ولا تعمل إطو ديوان العلم ثم اشتغل بنشر ديوان العمل مع الإخلاص وإلاَّ فلا فلاح لك»[5].

وفي حياته الشخصية كان يمثل النموذج المثالي في تطبيق تلك

---

(١) سورة الصف، الآية: ٣.
(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس العاشر (ص٣٥).
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٤) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثالث عشر (ص٥١).
(٥) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثامن والخمسون (ص٢٠١).

التعاليم فقد عمل بأغلب المبادىء والخصال التي يقوم التصوف عليها والتي ذكرناها في المبحث السابق.

وقد اتفق من ترجم له أو وصفه على حسن خلقه وكريم سجاياه وعلو همته وتواضعه وسخائه وإيثاره وتطبيقه العملي لكل ما يدعو الناس إليه وقدنقل صاحب بهجة الأسرار وصف أحد معاصريه له فقال:

«ما رأت عيناي أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا ألطف قلباً ولا أحفظ عهداً ووداً من الشيخ عبدالقادر ولقد كان مع جلالة قدره وعلو منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء»(١).

كما نقل صاحب قلائد الجواهر قول الإمام محمد بن يوسف الأشبيلي(٢):

«كان الشيخ عبدالقادر مجاب الدعوة سريع الدمعة دائم الذكر كثير الفكر رقيق القلب دائم البشر كريم النفس سخي اليد غزير العلم شريف الأخلاق مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد»(٣).

وكان اهتمامه بالجوانب التربوية كبيراً إذ أن معظم توصياته لها علاقة مباشرة بالسلوك العملي التربوي ومن الأمثلة على ذلك تلك

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (١٠٣).

(٢) الإمام المحدث الحافظ أبوعبدالله محمد بن يوسف الأشبيلي، ولد سنة (٥٧٧هـ). وقدم الإسكندرية سنة (٦٠٢هـ)، فحبب إليه طلب الحديث وكتابة الآثار، وكان كما قال الذهبي ريِّض الأخلاق بشوشاً سهل العبارة كثير الاحتمال. توفي سنة (٦٣٦هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٥٥).

(٣) قلائد الجواهر للتاوفي (ص٩).

الخصال الحميدة التي وصَّى بها والتي تحتاج إلى مجاهدة عظيمة حتى يمكن الإنسان الاتصاف بها ليصل إلى درجات الكمال وهي:

١ـ ألا يحلف بالله عز وجل لا صادقاً ولا كاذباً ولا عامداً ولا ساهياً؛ لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعوَّد لسانه دفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً فإذا اعتاد ذلك فتح الله عليه باباً من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه ورفعة درجته وقوة في عزمه وفي صبره والثناء عند الإخوان والكرامة عند الجيران حتى يأتم به من يعرفه ويهابه من يراه.

٢ـ أن يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفا به علمه كأنه لا يعرف الكذب وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيَّره به في نفسه وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

٣ـ أن يحذر أن يَعِدَ أحداً شيئاً فيخلفه ويقطع العِدَةَ البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقه لأن الخلف من الكذب فإذا فعل ذلك فُتِحَ له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة في الصادقين ورفعة عند الله جلَّ ثناؤه.

٤ـ أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق أو يؤذي ذرة فما فوقها لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يُدَّخَر له من الدرجات ويُستَنْقَذْ من مصارع الهلاك ويسلمه من الخلق ويرزقه رحمة العباد ويقربه منه عز وجل.

٥ـ أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بقول ولا فعل فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى وإذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا والآخرة والمحبة

والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد وعزٌّ في الدنيا في قلوب المؤمنين.

٦- ألاّ يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق فإنه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة وأبعد عن الدخول في علم الله. وأبعد من مقت الله وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.

٧- أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب والجوارح في عاجل الدنيا مع ما يدخره الله له من خير الآخرة.

٨- أن يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغنىٰ واليقين والثقة به عز وجل ولا يرفع أحداً سواه ويكون الخلق عنده في الحق سواء ويقطع بأن هذه أسباب عز المؤمنين وشرف المتقين وهو أقرب باب الإخلاص.

٩- ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم فإنه العز الأكبر والغنى الخاص والملك العظيم والفخر الجليل واليقين الصافي والتوكل الشافي الصريح وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل وهو باب من أبواب الزهد وبه ينال الورع ويكمل نسكه وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل.

١٠ـ التواضع لأن به يُشيَّد محل العابد وتعلو منزلته ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السراء والضراء وهي كمال التقوى.

والتواضع هو ألاَّ يلقى العبد أحداً من الناس إلاَّ رأى له الفضل عليه ويقول: عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة فإن كان صغيراً قال: هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني وإن كان كبيراً قال: هذا عَبَدَ الله قبلي وإن كان عالماً قال: هذا أعطي ما لم أبلغ ونال ما لم أنل وعلم ما جهلت وهو يعمل بعلمه، وإن كان جاهلاً قال: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بم يختم لي وبم يختم له. وإن كان كافراً[١] قال: لا أدرى عسى أن يُسْلم فيختم له بخير العمل وعسى[٢] أن أكفر فيختم لي بسوء العمل»[٣].

---

(١) هذه العبارة بها نظر؛ لأن المسلم لا يمكن أن يرى أن الكافر أفضل منه أو أنه عند الله خيراً منه وأرفع درجة ولعلها خرجت من الشيخ عبدالقادر مخرج المبالغة في التواضع.

(٢) عسى هنا بمعنى لعل.

(٣) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثامنة والسبعون (ص١١٧).

الفصل الثالث
الآداب عن الصوفية

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آداب الشيخ والمريد

المبحث الثاني: آداب الصحبة

المبحث الثالث: آداب السماع

المبحث الأول

آداب الشيخ والمريد

تعريف الأدب: الأدب عند الصوفية ليس فقط بمدلوله العام أي الأدب الظاهر إذ ربما يكون رياءاً أو نفاقاً أو مجاملة واسترضاءاً وإنما الأدب عندهم هو الأدب الباطني الذى يرجى منه كنس القلب من جميع الآفات وما يسيطر عليه من الرغبات والشهوات[١].

وحقيقته اجتماع جميع خصال الخير فالأديب هو الذي اجتمع فيه خصال الخير ومنه أخذت المأدبة[٢].

والشيخ عند الصوفية: يعني الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد الكمال فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بذواتها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها[٣].

أما المريد: فيعرفه الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

«بأنه المقبل على الله عز وجل وطاعته المُولِّي عن غيره وإجابته يسمع من ربه عز وجل فيعمل بما في الكتاب والسنة ويصمُّ عما سوى ذلك ويُبْصِرِ بنور الله عز وجل فلا يرى إلاَّ فعله فيه وفي غيره من سائر

---

(١) معجم ألفاظ الصوفية، د حسن شرقاوي (٣٥).

(٢) الرسالة للقشيري (٢/ ٥٥٨).

(٣) معجم اصطلاحات الصوفية، عبدالرزاق الكاشاني (١٧٢).

الخلائق ويعمى عن غيره. ينصح نفسه أبداً فلا يجيبها إلى محبوبها ولذاتها وينصح عباد الله ويأنس بالخلوة مع الله ويصبر عن معاصي الله ويرضى بقضاء الله ويختار أمر الله ويستحيي من نظر الله ويبذل مجهوده في محاب الله ويتعرض أبداً لكل سبب يوصله إلى الله»[١].

وكلمة المريد يبدو أنها مصطلح تعارف عليه الناس آنذاك وأطلقوه على الشاب إذا استقام على أمر الله وتمسك بطاعته. كما أطلق الناس في زماننا مصطلح الالتزام على الشباب الذين يعودون إلى الله ويتمسكون بطاعته. وتعريف الشيخ عبدالقادر الجيلاني للمريد يدل على ذلك إلاَّ أن هذا الاصطلاح تطوَّر وخرج عن مدلوله الذي ذكره الشيخ عبدالقادر وأصبح لقباً يطلق على من ينتسب إلى التصوف في بداية تصوفه.

ومن ضرورات السلوك عند الصوفية أن يكون لكل مريد شيخ يدله على الطريق ويهديه سواء السبيل وهذا ما يقرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني بقوله:

«فالمشايخ هو الطريق إلى الله عز وجل والأدلاء عليه والباب الذي يدخل منه وإليه فلابدَّ لكل مريد من شيخ على ما بيَّنا»[٢].

ومعنى هذا أنه يرى أن التصوف علاقة بين الشيخ والمريد وأن الشيخ هو الأساس في التربية الصوفية وهذا شيء غير مسلَّم به عند علماء أهل السنة والجماعة فرغم أنهم يرون أن كل طالب علم لابدَّ له من معلم يتلقى عنه ذلك العلم فهم يرون أيضاً أنه بالإمكان للطالب إذا كان ممن يملك القدرة على القراءة والفهم والتمييز وكان لديه مصادر للعلم أن

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/١٥٨).
(٢) الغنية للجيلاني (٢/١٦٦).

يحصله دون الحاجة إلى شيخ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر ولا يتعين ذلك في شخص معين ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين فكل من أفاد غيره إفادة دينية فهو شيخه فيها وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرناً بعد قرن وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم. ولا يُخص أحدٌ بمزيد موالاة إلاَّ إذا ظهر له مزيد إيمان وتقوىٰ، فيُقَدَّم من قدَّم الله تعالى ورسوله ويُفَضَّل من فضَّله الله ورسوله قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1]»[2].

وقد وضع الشيخ عبدالقادر الجيلاني للمريد آداباً ألزمه بها في التعامل مع شيخه حتى يكون مثالياً في طريق سلوكه كما أوجب على الشيخ تجاه مريده آداباً لابدَّ من مراعاتها حتى يكون قدوة صالحة ومثالاً يحتذىٰ به.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٥١١).

وفيما يلي عرض لتلك الواجبات:

أولاً : واجبات المريد :

وضع الشيخ عبدالقادر جملة من الواجبات التي يلتزم بها المريد المبتدىء يمكن حصرها فيما يلي:

١ـ الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس ويكون على عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

٢ـ التمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما أمراً ونهياً أصلاً وفرعاً.

٣ـ الصدق والاجتهاد والإخلاص مع الله والوفاء بوعده وامتثال أمره والاستمرار في عبادته ومرضاته ومحبته وكل ما يؤدي إلى قربه.

٤ـ الحذر من التقصير ومخالطة المقصرين أبناء القيل والقال أعداء الأعمال والتكاليف المدعين للإسلام.

٥ـ الاتصاف بصفة الكرم مع اليقين والاعتقاد أن الله لم يخلق ولياً بخيلاً.

٦ـ الرضابعدم الشهرة وخمول الذكر وترك الغرور وقتل الشهوات والرضا بالجوع والحرمان.

٧ـ الإيثار وتقديم أقرانه عند الشيخ وفي مجالس العلم، وعند العلماء وأصحاب الفضل فيجوع هو ليشبع الباقون، ويرضى بالذل لعز الجماعة وكرامتهم.

٨ـ أن يطلب من الله الستر ومغفرة ما سلف من الذنوب والعصمة فيما بقي من العمر والتوفيق لما يحبه الله سبحانه من الأعمال الصالحة والرضا عنه في حركاته وسكناته.

٩- أن يتحبب إلى الشيوخ وإلى جميع الصالحين، وأن يعفو ويصفح عن زلات الغير وإساءات الناس إليه.
١٠- أن يزهد في الملذات وأن يقاوم الرغبة في التوسع في الشهوات»[١].

هذه هي مجمل الواجبات التي ينبغي على المريد أن يقوم بها وهي كفيلة بطبعه على الاستقامة وكريم الأخلاق ونبل الصفات.

ثانياً : آداب المريد مع الشيخ :

نظراً لأهمية صلة المريد بالشيخ فقد وضع الشيخ عبدالقادر الجيلاني آداباً خاصة بالمريد تجاه شيخه الذي سيصحبه وهي:

١- طاعته وعدم مخالفته في الظاهر أو الاعتراض عليه في الباطن مع الإكثار من قراءة ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢] وإذا ظهر من شيخه ما يكرهه في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة ولا يصرح به لئلا ينفر منه الشيخ بسببه.

٢- أن يستر ما قد يرى من عيوب الشيخ ويتهم نفسه فربما وقع ذلك لعدم فهمه مراد الشيخ فإذا لم يجد للشيخ عذراً استغفر له ودعا بالتوفيق ولا يخبر أحداً بما حدث منه ولا يعتقد أن الشيخ معصوم، إنما حصل منه وإنما هو عن غفلة.

٣- ملازمة الشيخ وعدم الانقطاع عنه وإذا حدث وأن عبس في وجهه أو غضب عليه أو ظهر منه إعراض فليفتش في نفسه وما عسى أن يكون

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٣) بتصرف يسير.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

قد وقع منه من سوء أدب أو تفريط بترك أمر الله أو فعل نهيه وعليه أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل.

٤ـ أن يلتزم بالآداب أمام شيخه وأن يتخير أفضل الأساليب عند التخاطب معه وأن يفعل معه ما يسره.

٥ـ أن يحظى الشيخ بثقة مريده ويقينه بأنه أهل لأن يتلقى العلم والمعارف على يديه.

٦ـ أن يحذر من مقارفة الذنوب لأنها تذهب ببركة العلم وتغير الحال كما حدث لآدم حينما أُخرج من الجنة بسبب الذنب.

٧ـ ألاَّ يتكلم أمام شيخه إلاَّ للضرورة وأن يسكت إذا دارت مسألة عند شيخه ولو كان الجواب عنده بل ينتظر ما يقوله شيخه ولا يعارض»[١].

هذه هي الآداب التي ينبغي للمريد مراعاتها والتحلي بها في التعامل مع شيخه وهي في مجملها فضائل وأخلاق تدعو لتكريم الشيخ وطاعته؛ لأنه معلم، ومن حق المعلم أن يقدَّر وأن يُحترم غير أن تلك الطاعة يجب أن تكون في حدود دائرة المعروف فإذا أملى الشيخ ما يوافق الكتاب والسنة فلا شك في لزوم طاعته أما إذا أملى أو علَّم ما يخالف الكتاب والسنة فالواجب عدم طاعته هذا إذا كان الشيخ معروفاً بالدين والإيمان والاستقامة والصلاح، أما من عرف بالابتداع والفجور فيجب الإنكار عليه، وبيان بدعته وفجوره وتحذير الناس منه فضلاً عن أن يطاع فيما يأمر به. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٤) بتصرف يسير.

«وبالجملة فالشيوخ وغيرهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله أُطيعوا وإن أمروا بخلاف ذلك لم يُطَاعوا فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وليس أحد معصوماً إلاَّ رسول الله ﷺ. وهذا في الشيخ الذي ثبت معرفته بالدين وعمله به.

وأما من كان مبتدعاً بدعة ظاهرة أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا إلى أن تنكر عليه بدعته وفجوره أحوج منه إلى أن يطاع فيما يأمر به. لكن إن أمر هو أو غيره بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعة الله ورسوله، فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال ولو كان الآمر بها كائناً من كان»[1].

ثالثاً : الآداب المتعلقة بالشيخ تجاه مريده :

لكي تتم عملية التربية السلوكية بنجاح ولأنها مسئولية مشتركة تتم من طرفين هما المريد والشيخ، فإن الشيخ عبدالقادر الجيلاني يضع آداباً وواجبات لابدَّ أن يراعيها الشيخ أثناء تعامله مع المريد وهي:

١ـ «أن يقبله لله تعالى ويتعهده بالنصيحة والرفق واللين فيكون معه كأبيه وأمه شفقة ورحمة وألاَّ يحمله ما لا يطيق، بل يتدرج معه حتى ينقله من موافقة الطبع إلى أوامر الشرع ومن الرخص إلى العزائم.

٢ـ إذا علم منه صدق المجاهدة فلا يتهاون معه بل يلزمه بأوامر الله ويزجره عن نواهيه ابتغاء مرضاته سبحانه دون النظر إلى عائد.

٣ـ أن يثبته على الطريق وألاَّ يعمل ما من شأنه التنفير لأن القصد هو الله وما كان لله دام واتصل.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٥١٧) بتصرف يسير.

٤ـ أن يراقب سلوكه فإذا رأى مخالفة للشرع وعظه وزجره وحذَّره من العودة ورغَّبه في التوبة إلى الله.

٥ـ أن يحرص على تلقينه مبادىء الخير ويتجنب الفاحش من القول والخلق؛ لأنه محل القدوة والرحمة يرعى مصالحه وكل مشاكله ويحمل عنه عبئه»[(١)].

هذه الآداب التي يجب على الشيخ أن يلتزمها لاشك أنها حسنة وهي من حقوق المسلم على أخيه وهي من الشيخ أوكد.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/١٦٨) بتصرف يسير.

المبحث الثاني
آداب الصحبة

أولاً : صحبة الإخوان :

بدأ الشيخ عبدالقادر الجيلاني تلك الآداب ببيان آداب صحبة الإخوان وما ينبغي مراعاته في التعامل معهم. من ذلك:

١ـ الإيثار والصفح عنهم والقيام معهم في شئونهم وتقديم الخدمة الممكنة لهم.

٢ـ ألاَّ يرى له على أحد حقًّا ولا يطالب أحداً بحق بل يرى أن لكل منهم عليه حقًّا ثم يجتهد في أداء حقوقهم.

٣ـ أن يظهر لهم الموافقة في جميع ما يقولون أو يفعلون ـ وهذا محمول بالطبع على القول الحق والفعل الحسن ـ وأن يتأول لهم ويعتذر عنهم.

٤ـ أن يجتنب مجادلتهم ومخالفتهم ويتعامى عن عيوبهم فإن خالفه أحد منهم في شيء سلَّم له ما يقول في الظاهر وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقول ـ وهذا أيضاً محمول على كون الخلاف في الأمور العادية والحياتية أما إذا كان الخلاف في شيء من الشرع فلابدَّ من بيان الحق بدليله وعدم الموافقة على الباطل ـ.

٥ـ أن يجتنب فعل ما يكرهونه من حقد أو أذية أو غيبة»[١].

٦ـ أن يكون المعيار لعلاقات الإنسان بالآخرين هو الحب في الله ـ عز وجل ـ والبغض فيه يقول في هذا المعنى:

«إذاوجدت في قلبك بغض شخص أوحبَّه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك لله عز وجل ولرسوله وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما فتب إلى الله عز وجل من بغضك واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده. لتكون موافقاً له عز وجل، وكذلك افعل بمن تحبه يعني أعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحببه وإن كانت مبغوضة فأبغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك قال عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢]»[٣].

وهكذا ومن خلال تلك الآداب فإننا نرى أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني لم يجعل من التصوف حالة انفصال عن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان لأن كماله وسمو أخلاقه لا تبرز بمجرد حصوله على المعارف والعلوم وإنما تظهر في حالة احتكاكه ومخالطته وتعامله بمن يعيش معهم في المجتمع والمجتمع بمختلف فئاته وطبقاته هو المحك الذي يظهر الإنسان على حقيقته ولذا كان لابد من مراعاة تلك الآداب

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٩).
(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٣) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الحادية والثلاثون ص(٧٥).

حتى تصلح الأحوال وتتقارب القلوب.

ثانياً: صحبة الأجانب:

وتتركز تلك الآداب على حفظ أسرارهم والشفقة عليهم والرحمة لهم. والصبر على سوء أخلاقهم عند معاشرتهم على ألاَّ يرى لنفسه فضلاً عليهم بل يرى أنهم أهل سلامة ويقول لنفسه أنت أهل المضايقة لأنك تحاسبين الكل والله يتجاوز للجاهل مما لا يتجاوز للعالم[1].

آداب صحبة الأغنياء:

لم يتوسع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الحديث عن آداب الأغنياء لأن احتكاك الصوفي بهم نادراً ومع هذا فقد خصهم ببعض الآداب منها:

«أن يتعزَّز عليهم ولا يظهر الذلَّة لهم باعتبار فقره وغناهم، وألاَّ يتطلع أو يطمع فيما في أيديهم وألا ينظر إليهم نظرة استكبار واستعلاء بل يعتقد أنهم خير منه حتى يسلم من داء الكبر»[2].

رابعاً: آداب صحبة الفقراء:

أطال الشيخ عبدالقادر الجيلاني في الحديث عن آداب الفقراء باعتبار أنهم يشكلون الأكثرية في معظم المجتمعات وباعتبار كثرة احتكاك المتصوف بهم. ولذا ركَّز على هذه الطبقة وتوسَّع في الحديث على النحو التالي:

١ـ **«المبادرة إلى الإحسان إلى الفقير دون أن تنتظر حتى يسألك وإن اتفق**

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٩).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٦٩).

أن استقرض منك شيئاً فعليك أن تقرضه ثم تسامحه وتبرؤه في قرارة نفسك ثم تخبره بعد فترة.

٢ـ مراعاة نفسيته بتعجيل تحقيق رغبته دون تنغيص بإطالة الانتظار لأن المماطلة والتسويف والتلويح بالمواعيد في المستقبل لها تأثيرها البالغ في نفسية الفقير وجرح مشاعره.

٣ـ الصبر عليه وعدم الانزعاج من تصرفاته فهي تصرفات ناشئة عن ضيق صدره وعن ظرفه الذي يعيشه من قلة ذات يده.

٤ـ التلطف عند سماع شكواه ومقابلته بوجه طلق وبكلام طيب جميل وبعطاء وافر جزيل. وإن تعذر الإعطاء في الحال فبوعد صادق فيما بعد لأن التعامل بهذا الأسلوب يخفف عن الفقير وطأة الحاجة أما التعامل السيء فلربما أدَّى به إلى التسخط والاعتراض على الرب عز وجل فيما قسم وتكون أنت السبب في ثوران نفسه وإعانة الشيطان عليه»[(١)].

خامساً: الآداب الواجبة على الفقير نفسه:

لم يكتف الشيخ عبدالقادر الجيلاني بذكر آداب التعامل مع الفقير؛ بل أشار إلى الآداب التي ينبغي للفقير أن يراعيها ومنها:

١ـ العفَّة وعدم الطمع والصبر على الفقر والاعتقاد بأنه خير له إذ هو تقدير الله واختياره.

٢ـ الرضا بماهو فيه من حال فهذا هو الغنى الحقيقي مع الأخذ بالأسباب في جلب الرزق الحلال بالعمل المباح.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧١) بتصرف يسير.

٣ـ ألاَّ يشكو حاله لأحد إلاَّ لله عز وجل لأن في ذلك اعتراضاً على قضاء الله وقدره.

٤ـ أن يتجنب السؤال إذا وجد الكفاية وإذا سأل فيكون لقصد الكفاية، ولا يسأل لنفسه بل لعياله، ويكون سؤاله بالإشارة.

٥ـ أن ينظر إلى الخلق على أنهم أمناء على ما أعطاهم الله فإن أعطوه فإنما أعطوه بأمر الله فيشكر وإن منعوه فبأمر الله فيصبر(١).

سادساً: آداب المعاشرة:

تعتمد تلك الآداب على العديد من الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان حتى يكون حسن المعاشرة كريم الأخلاق محبوباً عند إخوانه مرضياً عنه عند خالقه عز وجل وهي:

١ـ انبساط الوجه معهم، وعدم المخالفة لهم، وألاَّ يبطن لهم غشاً، بل يستر عيوبهم ويعود مريضهم ويعفو عمن ظلمه منهم وأن يؤثرهم على نفسه في جميع الأحوال، وأن يعاشر من دونه بالشفقة، ومن فوقه بالاحترام والإجلال، ومن هو مثله بالإفضال والإحسان.

٢ـ أن يسارع في خدمتهم وأن يمنعهم من خدمته وأن يزور المريض منهم وإذا احتاج إلى دواء قدَّمه إليه.

٣ـ إذا مارس عبادته أو أذكاره فعليه ألاَّ يزعجهم بل يخفض صوته ويخفي عمله عنهم وإذا صاموا أو أفطروا وافقهم في ذلك.

٤ـ أن يراعي آداب الأكل فيذكر اسم الله ويأكل بيمينه ويأكل مما يليه ولا

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧٤) بتصرف يسير.

يأكل بشراهة ولا يرفع يده وغيره يأكل حتى لا يحرجه ولا يقول لصاحب الطعام كل معنا، ولا ينتقل من مكانه على الطعام لغيره ولا يرفع شيئاً ويضعه أمام غيره.

٥ـ في حالة السفر ينبغي أن يتحلىٰ بكريم الصفات، وأن يتزود بالتقوى وإصلاح حال من يعول، وحفظ الحقوق التي عليه أو في ذمته، وأن يلازم الأوراد والعبادات التي قد ألزم نفسه بها[١].

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧٨) بتصرف يسير.

المبحث الثالث

آداب السماع

السماع في اللغة: الغناء وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما التذذته الأذن من صوت حسن سماع[١].

وفي اصطلاح المتصوفة يعرفه ذو النون المصري بأنه: «وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق»[٢].

وبالغ فيه بعضهم فعدَّ مجالسه من مجالس نزول الرحمة يقول الجنيد: «تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلاَّ عن حق ولا يقولون إلاَّ عن وَجْدٍ وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلاَّ عن فاقة، وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلاَّ صفات الأولياء»[٣].

أما الشيخ عبدالقادر الجيلاني فيعرفه بأنه:

«الحديث والكلام الذي هو سنة الله عز وجل مع العلماء والخواص من الأولياء والأبدال والأعيان الذين وقفوا مع القول والأبيات والأشعار التي تثير الطباع وتهيج العُشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح»[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ١٦٥).
(٢) اللمع للطوسي (٣٤٢).
(٣) الرسالة للقشيري (٢/ ٦٤٥).
(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٠).

ومن آدابه عند الشيخ الجيلاني «**أن يقصد الإنسان ذكر ربه بقلبه مُشتغلاً بحفظ قلبه من طوارق الغفلة والنسيان، فإذا سمع القاريء للقرآن رأى كأنه مستنطق من قبل الحق عز وجل**»[١].

ومعنى هذا: أنه يعني بالسماع في الدرجة الأولى سماع القرآن الكريم، فهذا لا شك في مشروعيته وفي مشروعية تحسين الصوت به، فقد قال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري: «**لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[٢].

وقال: ما أذن الله بشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن ويجهر به»[٣].

غير أن الشيخ الجيلاني لا يكتفي بذلك وإنما يضيف إليه سماع الأبيات والأشعار التي تثير الطباع وتهيج العشاق كما تقدم ولكنه لا يرى أنه أمر ضروري يوجب الاهتمام، كما أنه لم يعدَّه من الأسس المهمة في التصوف، ولذا أوضح رأيه فيه والمخالف لما اعتاده الصوفية في زمنه فقال:

«**وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص وقد قدمنا كراهيته إلاَّ أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج به أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم**»[٤].

ومعنى هذا أنه وجد نفسه أمام وَضْعٍ قائم وعُرْفٍ صوفي شائع لا

(١) المصدر السابق (٢/ ١٨٠).
(٢) رواه البخاري ، ح (٥٠٤٨). ومسلم ح (٧٩٣).
(٣) رواه البخاري ح (٥٠٢٤)، ومسلم ح (٧٩٢).
(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٧).

يمكن تجاهله ولذا قام بوضع بعض الآداب للتخفيف من حدته وللحدِّ من تجاوزات أهله من ذلك:

«ألاَّ يتكلفوا السماع ولا يستقبلونه بالاختيار[١]».

«وألاَّ يظهروا شيئاً من الحركات والأصوات فالخير في السماع عنده السكوت»[٢].

إلاَّ أنه يجيز للمريد أن يخرج من حال سكونه وسكوته إلى الحركة والكلام لكن بشرط إجازة الشيخ له يقول في هذا المعنى:

«وينبغي للمريد ألاَّ يتحرك في حال السماع بين يدي الشيخ إلاَّ بإشارة منه عليه ولا يرى من نفسه البتة حالاً إلاَّ أن ترد غلبة تأخذه عن التميز والاختيار فإذا سكنت فورته فليعد إلى حال سكونه وآدابه ووقاره»[٣].

غير أن الذي يجب أن أؤكده هنا أن السماع الذي ربما أجازه الشيخ الجيلاني ليس بالصورة المعروفة عند الصوفية اليوم والتي ترافقها الدفوف والآلات فقد نقل التاذفي في قلائد الجواهر أن ابن حجر العسقلاني أجاب لما سئل عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهل كان يحضر مجالس السماع أو أمر بحضوره فقال:

«أما الشيخ عبدالقادر والذي وصل إلينا من أخباره الصحيحة أنه كان فقيهاً زاهداً عابداً يتكلم على الناس ويرغبهم في الزهد والتوبة

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٧٩).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٦٧).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٧).

ويحذرهم من العقوبة على المعصية فكان يتوب على يديه من الخلق ما لا يحصى كثره وله كرامات مستفيضة لم ينقل إلينا عن أحد من أهل عصره ولا من بعده أكثر مما نقل عنه ولا عرف عنه في مسألة السماع بهذه الآلات شيئاً»(١).

أما موقف السلف من أهل السنة والجماعة من مسألة السماع هذه فقد حرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وأوضح السماع المشروع من السماع المبتدع فقال:

«السماع الذي أمر الله به ورسوله واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن، فإنه سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين، وسماع المؤمنين. قال سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

---

(١) قلائد الجواهر للتاذفي (١٣٥).
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾(١)».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وكما أثنى الله على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه وساق بعض الآيات القرآنية الدالة على الوعيد الشديد لمن أعرض عن سماع القرآن الكريم ثم قال:

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ويبغضه».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها، ووصفها، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب، ودموع العين، وإقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أثنى عليهم في القرآن، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب، والاختلاج والاغماء، أو الموت والهيام، وأنكر بعض السلف ذلك وإما لبدعتهم إماً لحبهم.

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولّد عنه معذوراً لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما ذمَّ الله الذين قال فيهم: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾[١] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] ولو أثّر فيهم آثاراً محمودة لم يجذبهم عن حدِّ العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حدِّ الغلبة كانوا محمودين أيضاً ومعذورين.

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك: إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك، فهو السماع المحدث في الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنىٰ عليهم النبي ﷺ حيث قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[٣]. وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن»[٤].

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال: «هو محدث أكرهه قيل له: إنه يرق عليه القلب. فقال: لا تجلسوا معهم. قيل له: أيهجرون؟ فقال: لا يبلغ بهم هذا كله»[٥]. فبيَّن أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٣) رواه البخاري ح (٣٦٥٠).
(٤) الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق (٦٨٤).
(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٣٩٦) بمعناه.

مثل إبراهيم بن أدهم[١] ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي[٢]، ولا السري السقطي[٣]، ولا أبوسليمان الداراني[٤]، ولا مثل الشيخ عبدالقادر والشيخ عدي[٥] والشيخ أبي البيان[٦]، ولا الشيخ حياة[٧]،

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور: الإمام العارف سيد الزهاد أبوإسحاق العجلي نزيل الشام، قال عنه النسائي: هو ثقة مأمون أحد الزهاد. كان يقول: الزهد الفرض هو الزهد في الحرام وزهد السلامة وهو الزهد في الشبهات، وزهد الفضل وهو الزهد في الحلال. مات سنة (١٦٢هـ).
سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٧).

(٢) معروف بن فيروز الكرخي: عَلَم الزهاد. من كلامه: «إذا أراد الله بعبد شرًا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل» وكان مجاب الدعوة، مات سنة (٢٠٠هـ) رحمة الله عليه.
سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩).

(٣) هناد بن مصعب بن أبي بكر السري: الإمام الحجة القدوة زين العابدين صاحب كتاب الزهد، ولد سنة (١٥٢هـ). قال عنه أبوحاتم: صدوق. وقال النسائي: ثقة. مات سنة (٢٤٣هـ).
سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٥).

(٤) أبوسليمان الداراني: الإمام الكبير الزاهد عبدالرحمن بن أحمد ولد سنة (١٤٠هـ) من كلامه: «من وثق بالله في رزقه زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم، وسخت نفسه وقلَّت وساوسه في صلاته» مات سنة (٢٠٥هـ).
سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢). وشذرات الذهب (٢/ ١٣).

(٥) عدي بن مسافر الأموي: أحد أركان التصوف وأعلى العارفين بها كان الشيخ عبدالقادر ينوه بذكره ويثني عليه وله مجاهدات عظيمة. مات سنة(٥٥٨هـ).
الطبقات للشعراني (١/ ١١٨).

(٦) لم أعثر له على ترجمة لعدم وضوح اسمه.

(٧) حياة بن قيس الحراني من أجلاء المشايخ وعظماء العارفين صاحب الكرامات والمقامات، مات سنة (٥٨١هـ).
الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٣٢).

وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلاَّ وقد حدَّث به ولا شيئاً يبعد عن النار إلاَّ وقد حدَّث به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]. وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجدشاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٥٨٧ ـ ٥٩٥).

الفصل الرابع

الولاية والكرامة

وتحته خمسة مباحث:

المبحث الأول: الولاية عند أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني: الولاية عند المتصوفة

المبحث الثالث: الكرامة عند أهل السنة والجماعة

المبحث الرابع: الكرامة عند المتصوفة

المبحث الخامس: الكرامة عند المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة

المبحث الأول

الولاية عند أهل السنة والجماعة

الولاية لغة: مصدر ولي يلية ولاية: «إذا دنا منه وقرب أو قام به وملك أمره أو نصره وأحبه»[١].

وفي الاصطلاح: عند أهل السنة والجماعة لا يختلف عنه في المعنى اللغوي فهو يدور على القرب والحب والنصرة.

ورغم أنني لم أعثر في كتب الشيخ عبدالقادر الجيلاني على كلام بخصوص الولاية إلا أنه نظراً للعلاقة الوثيقة بين الولاية والكرامة فقد آثرت أن أتحدث بإيجاز عن الولاية عند أهل السنة والجماعة وعند المتصوفة.

وولاية الله لعبده هدايته إلى طاعته ومحبته ونصرة دينه، وولاية العبد لله تقتضي الإيمان به سبحانه والتقرب إليه بطاعته وترك مساخطه وخشيته ومراقبته قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[٢].

وهناك فرق بين ولاية الله سبحانه للعبد وبين ولاية العبد لربه ـ عز وجل ـ وهو أن الله تعالى لا يوالي عبده لافتقار أو حاجة إليه وإنما يواليه

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٤٠٧).

(٢) سورة يونس، الآيات: ٦٢ـ٦٤.

إكراماً له وتفضلاً عليه لغناه عمن سواه وافتقار كل ما عداه إليه.

فأما العبد فإنه يوالي ربه لفقره وحاجته إليه إذ هو دائماً في حاجة ماسة إلى معونة ربه ونصرته وإدنائه وتقريبه فالمنة لله تعالى على عبده حين يواليه ويقبله ولا منة للعبد بحال من الأحوال»[١].

وبالجملة فإن كل من أكرمه الله بالهداية فآمن بالله واتقاه وتقرب إليه بفعل طاعته وترك معصيته ووالى من يواليه وعادى من يعاديه فهو ولي الله سبحانه، ولذا كان كل من عادى وليًّا لله عز وجل فكأنما ناصب الله العداء، كما في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول:

«من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[٢].

وعلى هذا يكون معنى أولياء الله أنهم خلَّص المؤمنين الذين قرَّبهم الله منه بسبب طاعتهم له وتركهم لمعصيته والذين يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[٣].

والولي عند أهل السنة غير معصوم بل هو عرضة للخطأ، يقول

---

(١) عقيدة المؤمن للجزائري (١٧٣).
(٢) رواه البخاري ح (٦٥٠٢).
(٣) سورة يونس، الآية: ٦٣.

شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطىء بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به وتكون مما نهى الله عنه ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبَّسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان؛ فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[1].

وثبت في الصحيح أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال: قد فعلت.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ قال: دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه فقال النبي ﷺ: قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٨٥، ٢٨٦.

الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قال: قد فعلت.[١]

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[٢].

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر»[٣].

فلم يؤثم المجتهد المخطىء بل جعل له أجراً على اجتهاده وجعل خطأه مغفوراً له. ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه.

ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي الله إلاَّ أن يكون نبيًّا، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً[٤] أو محادثة[٥] وخطاباً من الحق بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما

---

(١) رواه مسلم ح (١٢٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

(٣) رواه البخاري ح (٦٩١٩)، ومسلم ح (١٧١٦).

(٤) الإلهام: ما يلقى في الروح بطريق الفيض وقيل الإلهام هو ما وقع القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلاَّ عندالصوفية.
التعريفات للجرجاني (٥١).

(٥) المحادثة في اصطلاح الصوفية: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة =

جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف عنه.

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط.

منهم: من إذا اعتقد في شخص أنه ولي الله وافقه في كل ما يظن أنه حدَّثه به قلبه عن ربه وسلَّم إليه جميع ما يفعله.

ومنهم: من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً.

وخير الأمور أوسطها وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده»[(١)].

ولما كان من الجائز على الولي أن يخطىء باعتباره غير معصوم، فإن معنى ذلك أن طاعته غير واجبة، ومتابعته غير لازمة إلاَّ فيما وافق الكتاب والسنة، كما لا يجب تصديقه في أخباره وأقواله حتى تعرض على الكتاب والسنة فإن وافقهما وجب قبولها وإن خالفهما وجب طرحها وردها مهما كان قائلها. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وقد اتفق سلف الأئمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلاَّ رسول الله ﷺ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم. فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون

= كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام.
المرجع السابق (٢٦٢).

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٢٠١).

به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به بخلاف الأولياء فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله وله أجر على اجتهاده»[١].

هذا هو مفهوم الولاية عند أهل السنة والجماعة على الإجمال إلاَّ أنه ينبغي الإشارة إلى أنه بالرغم من أن كل مؤمن يعتبر وليًّا لله عز وجل إلاَّ أن الولاية تتفاوت بحسب تفاوت الإيمان والتقوى والعمل الصالح. وكلما ازداد يقين العبد وترقَّى في درجات الكمال والصلاح واتصف بالتقوى كان أعظم ولاية عند الله سبحانه وتعالى.

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٢٠٨).

المبحث الثاني

الولاية عند المتصوفة

يعرف المتصوفة الولاية بأنها «قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب التمكين»[١].

والولي عندهم «من تولَّى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يُخَلِّه ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾[٢]»[٣].

ويبدو أن تأثير الشيعة كان واضحاً على الصوفية في إطلاق لفظ الولاية على الشيخ والعالم فإن الرافضة هم أول من أطلق الولي على أئمتهم ابتداءاً بعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ثم بقية الأئمة من بعده وقد أضافوا إليها دعوى العلم اللدني والعصمة وسرت عدواها إلى الصوفية فقالوا بأن أولياءهم يتلقون عن الله مباشرة وأنهم معصومون من الخطأ[٤].

وقد لا يصرح المتصوفة بدعوى عصمة أوليائهم ولكنهم يطلقون عليهم كلمة الحفظ ومجمل أحوالهم وعباراتهم توحي بأن معنى الحفظ أي العصمة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

---

(١) اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٧٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٣) اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٧٩).

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي (٢/ ١٠).

«والغالية في المشايخ يقولون أن الولي محفوظ والنبي معصوم وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطيء ولا يذنب»[١].

وإنما ذهبوا إلى كلمة الحفظ دون العصمة لإيهام الناس بأن تصوفهم يعتمد على الكتاب والسنة.

ومن تعريف الصوفية للولاية نلاحظ أن لها معنى آخر يختلف عن معانها عند أهل السنة والجماعة فليس من شروط الولاية عندهم أية صفات للإيمان أو التقوى والعمل الصالح إذ الولاية عندهم تُوهَبُ من الله عز وجل دون سبب في العبد وهذا واضح من التعريف السابق من قولهم بأن الولي من تولى الحق أمره إلخ. . .

وقد ترتب على هذا أن جعلوا المجاذيب والملاحدة أولياء لله عز وجل بمجرد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات كالدخول في النيران وضرب الجسم بالسهام والسكاكين واللعب بالعقارب والحيات وغير ذلك من أعمال السحر والكهانة والشعوذة.

كما جعلوها للمجانين والصبيان الشذاذ حتى عدوا من الأولياء من يأتي الحمارة في وضح النهار وأمام الأسماع والأبصار[٢]، ومن يشرب الخمر جهاراً نهاراً ويمارس الزنا واللواط عياناً زاعمين أن الولي لا تضره معصية وأن الخمر ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، وأن الزانية تصبح زوجة للولي بمجرد معاشرتها[٣] ومن يخطب الجمعة

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (١/ ٤٤).

(٢) طبقات الشعراني (٢/ ١٣٥) ترجمة علي وحيش.

(٣) هذه هي الصوفية عبدالرحمن الوكيل (١٠٩).

عاريا[١].

بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فزعموا أن الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون.

وأن أربعة من الأولياء يمسكون بالعالم من جوانبه الأربعة ويسمون عندهم الأوتاد.[٢]

وسبعة أولياء آخرين كل منهم في واحدة من السموات السبع ويسمون الأبدال[٣].

وأربعين منهم مشغولون بحمل أثقال الخلق ويسمون النجباء[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ١٢٩) ترجمة إبراهيم الريان.

(٢) الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم في الشرق والغرب والشمال والجنوب بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالى. اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٥٨).

(٣) الأبدال جمع بدل إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية وهم يشاركون في حفظ نظام الكون وترتيبهم كترتيب السموات السبع بحيث يكون ارتباط البدل الأول بالسماء السابعة على قلب الخليل عليه السلام والثاني بالسماء السادسة على قلب موسى عليه السلام، والثالث بالسماء الخامسة على قلب هارون والرابع بالسماء الرابعة على قلب إدريس عليه السلام، والخامس بالسماء الثالثة على قلب يوسف عليه السلام، والسادس بالسماء الثانية على قلب عيسى عليه السلام، والسابع بالسماء الأولى على قلب آدم عليه السلام.
معجم ألفاظ الصوفية للدكتور الشرقاوي (٢٢).
وهذه ضلالات وحماقات لا أساس لها ولا دليل عليها بل هي من إيحاءات الشياطين ووساوس الأبالسة نعوذ بالله من ذلك.

(٤) النجباء: هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق.

=

وثلاثمائة مشرفون على بواطن الناس وخفايا الضمائر ويسمون النقباء[١].

وفوق هؤلاء جميعاً القطب الأكبر أو الغوث الأعظم الذي يدير شأن الملك كله سمواته وأرضه»[٢].

وبعضهم يرى أن الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته أفضل من نبوته وينشدون:

مقــام النبــوة فــي بــرزخ فويق الرسول ودون الولي[٣]

هذه هي الولاية عندالمتصوفة والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة بل هي ضلالات وجهالات نقلت عن الفلسفات الأغريقية ونظرتها إلى الآلهة القديمة، وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تلك الجهالات وأبطل تلك الضلالات فقال:

«وكذلك كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدد الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو

= اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١١٤).
ومعلوم فساد هذا الكلام وبطلانه إذ لا يقوم بإصلاح أمور الخلق ويتصرف في الكون إلاّ الله وحده.

(١) النقباء: هم الذين تحققوا باسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفايا الضمائر وهم ثلاثمائة.
اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١١٦).
وهذا أيضاً كلام باطل لا أصل له. فالله وحده هو المطلع على الغيب العالم بما تكنه الصدور وتخفيه الضمائر.

(٢) انظر الفكر الصوفي لعبدالرحمن عبدالخالق (٣٤٦).

(٣) الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٢٦).

أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثة عشر أو القطب الواحد فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلاَّ بلفظ الأبدال. وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام وهو في السنن من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو حديث منقطع ليس بثابت»[١].

ومعلوم أن عليًا ومن معه من الصحابة أفضل من معاوية[٢] ومن معه بالشام، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من السملمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[٣].

وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة في خلافة علي فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب وأصحابه أولى بالحق من معاوية وأصحابه فكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما»[٤].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ١١٢) وقد أعل بالانقطاع لأنه من رواية شريح بن عبيد الحضرمي الذي لم يدرك عليًا. وعلى هذا لا يصح الحديث.

(٢) معاوية بن أبي سفيان صاحب رسول الله ﷺ وكاتب الوحي له يعدُّ من دهاة العرب أسلم عام الفتح وشهد حنيناً واليمامة. ولأه عمر على الشام وأقرّه عثمان وبعد مقتل عثمان طالب بالقصاص من قتلته ولم يبايع عليًا فحصلت الفتنة ولما قتل علي اجتمع عليه الناس فصار أميراً للمؤمنين. مات سنة (٦٠هـ).
الإصابة (٦/ ١١٢).

(٣) رواه البخاري ح (٣٦١٠). ومسلم ح (١٠٦٤).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ١٦٧).

المبحث الثالث

الكرامة عند أهل السنة والجماعة

الكرامة في اللغة: قال صاحب القاموس الكَرَمَ محركة ضد اللؤم وكرَّمه عظَّمه ونزَّهه[(١)].

وفي الاصطلاح: هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»[(٢)].

وهي عامة وخاصة: فالعامة ما فضل الله به الإنسان على غيره من المخلوقات كاعتدال القامة والخلق في أحسن تقويم وتسخير كل ما في الكون له قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[(٣)].

أما الخاصة فهي ما يكرم الله به بعض عباده وما يختصهم به من هدايتهم إلى الإيمان وتوفيقهم إلى طاعته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وهذا من أعظم الكرامات وأهلها هم أهل السعادة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة يقول عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟

(١) القاموس المحيط للفيروزأبادي (١٤٨٩).
(٢) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٣٩٢).
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾(١).

وأفضل منهم من يمن الله عليهم بزيادة الايمان واليقين وكثرة التقوى والورع ودقة المراقبة والخشية والاكثار من نوافل العبادات فهؤلاء في أعلى مراتب الولاية»(٢).

وأهل السنة والجماعة يرون إمكان وقوع الكرامة على أيدي بعض عباد الله الصالحين لكن وفق الضوابط التالية:

أولاً: أنها لا تقع إلاَّ لمن جمع الله له بين الإيمان والتقوى وذلك بتصديق ما أخبر الله به من الأمور المغيبة والالتزام بما أمر الله به من الفروض والواجبات والابتعاد عما نهى الله عنه من المحرمات وأنها لا تقع إلاَّ ببركة اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء بهديه ولحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«وليس لله ولي إلاَّ من اتبعه باطناً وظاهراً فصدقه فيما أخبر به من الغيوب والتزم بطاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات فمن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر ملتزماً طاعته فيما أوجب وأمر به من الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمناً فضلاً عن أن يكون ولياً لله.

ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلاَّ من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) عقيدة المؤمن للجزائري (١٧٥) بتصرف يسير.

لصاحبها عن الله المقربة إلى سخطه وعذابه»[١].

ويقول ـ رحمه الله ـ في موضع آخر ـ:

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر به وينتهون عما زجر عنه فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين وخيار أولياء الله تكون لحجة في الدين ولحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم محمد ﷺ كذلك»[٢].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٤٣١).

(٢) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٢٧٤).

ثانياً: أن الكرامة لا ترقى إلى درجة المعجزة التي يؤيد الله بها أنبياءه ورسله، فلقد جرت سنة الله عز وجل أن يؤيد كل رسول يبعثه إلى الناس بمعجزة خارقة للعادة وخارجة عن مألوف الناس كدليل على أنه رسول من عند الله، وحتى يحمل المعاندين والمكابرين على الإذعان والإيمان بما جاء به من هدى ورشاد.

وهذا شيء طبيعي فكما أنهم لا يبلغون إلى درجتهم في الفضل فكذلك لا يصلون بكراماتهم إلى درجة معجزاتهم. يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

«آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم ليست مما تكون لغيرهم فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم وآياتهم التي فرَّق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء وذلك مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلاَّ لنوح ومن ركب معه في السفينة فهذا لم يكن قط في العالم نظيره.

وكذلك إهلاك عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، ثم أهلكوا بريح صرصر عاتية مسخرة سبع ليال وثمانية أيام حسوماً حتى صاروا كأنهم أعجاز نخل خاوية ونجّا هوداً ومن اتبعه وهذا لم يوجد له نظير في العالم.

وكذلك قوم صالح وقوم لوط وقوم فرعون. . . الخ»[1].

---

(١) النبوات لابن تيمية (١٠٩).

ويقول رحمه الله في مكان آخر:

«آيات الأنبياء التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم وأتباعهم مثل الإتيان بالقرآن، ومثل الإخبار بأحوال الأنبياء المتقدمين وأممهم والإخبار بما يكون يوم القيامة وأشراط الساعة ومثل إخراج الناقة من الأرض، ومثل قلب العصا حية وشق البحر، ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وتسخير الجن لسليمان لم يكن مثله لغيره»[١].

---

(١) النبوات لابن تيمية (١١٦).

ثالثاً : أن الكرامة ليست من شروط الولاية فقد يكون الإنسان ولياً لله ومن أحبهم إليه وأكثرهم طاعة له ولا تظهر على يديه كرامة قط، وحدوثها على يد شخص لا يدل على أنه أفضل ممن لم تحدث له كرامة؛ لأن شروط الولاية التي تضمنها قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ محصورة في شرطين فقط هما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾. ولذا كانت الكرامات في عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أقل منها في العهود التي جاءت بعدهم مع كمال فضلهم وعلو منزلتهم عند الله حيث اختارهم الله لصحبة نبيه وإظهار دينه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة»[١].

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١١/ ٢٨٣).

رابعاً: أن الكرامة قد تمنح للمشتغلين بالذكر والفكر والمجاهدة مع قلة علمهم وجهل بعضهم أكثر مما تمنح للعلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة مع كمال علمهم وتفضيل الله لهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«لا ريب أن الذي أُوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أُوتوا الإيمان فقط، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والعلم الممنوح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«فقد يكون الرجل حافظاً لحروف القرآن وسوره ولا يكون مؤمناً بل يكون منافقاً فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان وأما الذي أُوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم. فهذا أصل يجب معرفته.

وههنا أصلٌ آخر وهو أنه ليس كل عمل أورث كشوفاً أو تصرفاً في الكون يكون أفضل من العمل الذي لا يورث كشفاً ولا تصرفاً فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله وإلاَّ كان من متاع الحياة الدنيا وقد يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب وإن لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة وأولئك أصحاب النار ففضائل الأعمال ودرجاتها لا تتلقى من قبل هذا وإنما تتلقى من دلالة الكتاب والسنة ولهذا كان كثير من الأعمال يحصل لصاحبه في الدنيا رئاسة ومال فأكرم الخلق عند الله أتقاهم ومن عبد الله بغير علم، فقد أفسد أكثر مما أصلح وإن حصل له كشف وتصرف وإن اقتدى به خلق كثير من

العامة»[١].

بهذه الضوابط يثبت أهل السنة والجماعة الكرامات ويجوّزون وقوعها ويستدلون على ذلك بما يلي:

أولاً القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[٢].

قال قتادة: «حُدِّثنا أنه كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فعجب من ذلك زكريا»[٣].

٢ـ قوله تعالى في قصة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[٤].

أخرج ابن أبي حاتم عن صخرة بن حبيب «أن سارة لما بشَّرها الرسل بإسحاق قال: بينما هي تمشي وتحدثهم حين أتت بالحيضة فحاضت قبل أن تحمل بإسحاق فكان من قولها للرسل حين بشروها: قد كنت شابة وكان إبراهيم شاباً فلم أحبل فحين كَبُرْتُ وكَبُرَ أألد؟! قالوا: أتعجبين من ذلك يا سارة فإن الله قد صنع بكم ما هو أعظم من ذلك إن الله قد جعل رحمته وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٣٩٦).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٣) كرامات أولياء الله للالكائي رقم (١٩) قال المحقق: سنده حسن.
(٤) سورة هود، الآيات: ٧١ ـ ٧٣.

مجيد»(١).

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾(٢).

قال سعيد بن جبير: «لما تكلم الذي عنده علم من الكتاب دخل العرش تحت الأرض فنظر إليه سليمان قد طلع بين يديه فقال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر»(٣).

ثانياً من السنة المطهرة:

١ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد كان فيمن خلا من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب**»(٤).

٢ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما رجل بأرض فلاة فسمع صوتاً في سحابة: إسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فانتهى إلى الحرة فإذا هي أذناب بشراج فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت الماء فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبدالله ما اسمك قال: فلان، الاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبدالله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: إسق حديقة فلان باسمك فما تصنع فيها قال: إن قلت هذا فإني أنظر إلى ما خرج

(١) الدر المنثور للسيوطي (٤/٤٥٢).
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٣) كرامات الأولياء للالكائي رقم (٢٢) قال المحقق: سنده صحيح.
(٤) رواه البخاري ح (٣٦٨٩)، ومسلم ح (٢٣٩٨).

منها فأتصدق بثلثه وآكل ثلثه وأرد فيها ثلثه»[١].

٣ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلاَّ ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله عز وجل؛ قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبَّار ومعه سارة وكانت من أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم إنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي وإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم اليوم مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال: لقد دخل أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلاَّ لك فأرسل إليها فأتى بها، وقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما أن دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها: سلي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فانطلقت يده فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الأولى فقال لها: سلي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فانطلقت يده فدعا الذي جاء بها فقال له: إنك أنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فلما رآها إبراهيم قل لها مهيم قالت: خير كفَّ الله يد الفاجر وأخدمني هاجر»[٢].

(١) رواه مسلم ح ٢٩٨٤).
(٢) رواه البخاري ح (٣٣٥٨) ومسلم ح (٢٣٧١).

ثالثاً بما وقع لكثير من الصحابة من الأمور الخارقة للعادة :

١ـ تنزل الملائكة لاستماع قراءة أسيد بن حضير[١]. ففي الصحيحين عن أسيد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال له: اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير. قال: فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً. فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها. قال: وتدري ما ذاك قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصْبَحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»[٢].

٢ـ تكثير الطعام الذي قدَّمه أبوبكر الصديق لأضيافه. ففي الصحيحين عن عبدالرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء وأن النبي ﷺ قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس، أو سادس وأن أبابكر جاء بثلاثة فانطلق النبي ﷺ بعشرة قال: فهو أنا وأبي وأمي فلا أدري قال وامرأتي وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر وإن أبابكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث صُلِّيَتْ العشاء

---

(١) أسيد بن حضير بن سماك الأنصاري: من السابقين إلى الإسلام وأحد النقباء ليلة العقبة، اختلف في شهوده بدراً لكنه شهد أحداً ومابعدها. آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة وكان من أحسن الناس صوتاً بتلاوة القرآن.
الإصابة لابن حجر (٤٨/١).

(٢) رواه البخاري ح (٥٠١٨). ومسلم ح (٧٩٦).

ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته وما حبسك عن أضيافك أو قالت: ضيفك. قال: أوما عشيتيهم. قالت: أبَوا حتى تجيء قد عُرِضُوا فأبَوا. قال: فذهبت أنا فاختبأت فقال: يا غنثر فجدَّع وسبَّ فقال: كلوا لا هنيئاً فقال: والله لا أطعمه أبداً وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلاَّ ربا من أسفلها أكثر منها قال: يعني حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبوبكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها فقال لامرأته: ياأخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبوبكر وقال: إنما ذلك من الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قومٍ عقد فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون أو كما قال»(١).

٣ـ قصة خُبيب بن عدي(٢) وما جرى له مع القُرَّاء الستة ثم وقوعه في الأسر وما حدث له من الكرامة حيث وجدوه يأكل عنباً، وما في مكة من ثمر»(٣).

---

(١) رواه البخاري ح (٦٠٢). ومسلم ح (٢٠٥٧).

(٢) خُبيب بن عدي بن مالك الأنصاري: شهد بدراً وقتل شهيداً حين غدر به المشركون فقتله بنو الحارث وهو أول من سن صلاة ركعتين عند مقتله وله قصيدة قالها عندما أرادوا قتله منها:

ولست أُبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

الإصابة (٢/١٠٣).

(٣) انظر: القصة بكاملها في صحيح البخاري ح (٣٠٤٥).

رابعاً بما وقع لبعض التابعين - رحمهم الله -:

١ـ ما حدث لصلة بن أشيم العدوي[١] عندما جاءه الأسد وهو قائم يصلي بالليل فقال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الأسد وله زئير[٢].

٢ـ إصابة عبدالواحد بن زيد بالفالج وسؤال الله عز وجل أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء فكانت أعضاؤه تطلق له وقت الوضوء ثم تعود بعده[٣].

٣ـ تسبيح آنية مطرف بن عبدالله بن الشخير[٤] كلما دخل إلى بيته[٥].

---

(١) صلة بن أشيم العدوي: تابعي مشهور بالزهد والعبادة كان يصلي بالليل حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلاَّ زحفاً. سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٧).

(٢) انظر القصة في صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ١١٥).

(٣) انظر القصة كاملة في الحلية لأبي نعيم (٦/ ١٥٥).

(٤) مطرف بن عبدالله بن الشخير تابعي مشهور ولد في عهد النبي ﷺ وكان خير عباد البصرة وزهادهم له مناقب كثيرة قال ابن سعد: كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب.
الإصابة (٦/ ١٥٨).

(٥) انظر القصة في الحلية لأبي نعيم (٢/ ٢٠٥).

المبحث الرابع
الكرامة عند المتصوفة

تحتل الكرامات مساحة كبيرة من اهتمامات المتصوفة وكتبهم مملوءة بالغرائب والعجائب من أخبارها والكثير منها يرده الشرع ويرفضه العقل وقد ذهبوا إلى ذلك كمتعلق وحيد ومستمسك واه لهم إذ ليس لديهم علم أصيل يبرزونه أو عمل صالح يظهرونه أو جهاد أو دعوة يثبتونها فجاء تركيزهم على الكرامات وبالغوا في إثباتها ثم تجاوزوا الحدود إلى نسج الأساطير واختلاق الحكايات وتناقل الخرافات ليرسخوا في أذهان عوام الناس مبدأ اللجوء إلى الأولياء والاستغاثة بهم بزعم أنهم أصحاب كرامة ولهم عند الله المنازل الرفيعة والدرجات العالية.

وسوف أعرض في هذا المبحث للكرامات التي نسبت إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني فقط لأنه موضوع الرسالة. وقد نسبت إليه الكثير من الكرامات بشكل يثيرالعجب ويدعو إلى الاستغراب، حتى جعلها بعض المؤرخين صفة من أبرز صفاته وهذه بعض أقوالهم:

ـ قال الإمام الذهبي: «كان له كرامات ظاهرة»[1].

ـ قال ابن رجب: «هو شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٤٩).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٠).

ـ قال ابن العماد: «وكراماته تخرج عن الحد وتفوت الحصر والعدّ»[١].

ـ قال موفق الدين ابن قدامة: «أدركناه في آخر عمره فأسكننا في مدرسته» إلى أن قال: «ولم أسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكي عنه»[٢].

ـ قال العز بن عبدالسلام[٣]: «ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلاّ الشيخ عبدالقادر»[٤].

وقد انقسم الناس إزاء هذه الكرامات إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: غلت في رفض تلك الكرامات وتعصبت كثيراً في إنكارها حتى وصل بها الأمر إلى الطعن في الشيخ الجيلاني. والتشكيك في نسبه ووصفه بالدجل، ولعلّ الذي دفعهم إلى هذا الموقف ما نقل من الكرامات الكاذبة والروايات الساقطة فاشتد نكيرهم لردها وإبطالها ومنهم علي بن محمد القرماني[٥].

وهذا الموقف من هذه الفئة فيه نظر وذلك لما فيه من الظلم والتجني ومجانبة الحق واتباع الهوى، فقد علمنا فيما تقدم أن الكرامات مما يجوز وقوعه بالضوابط الشرعية، والشيخ عبدالقادر الجيلاني كغيره من عباد الله الصالحين يمكن أن تقع له كرامة من الله عز وجل لإظهار

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٩٩).

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٩٩).

(٣) عبدالعزيز بن عبدالسلام: الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلد درجة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق سنة ٥٧٧هـ. وزار بغداد سنة ٥٩٩هـ ثم عاد إلى دمشق وولي الخطابة في الجامع الأموي مات سنة ٦٠٠هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ٢١).

(٤) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ٢٠٠).

(٥) انظر التصوف المقارن لمحمد غلاب (ص٩٠).

فضله أو لغير ذلك.

الفئة الثانية: تعصبت للشيخ الجيلاني وقبلت كل ما أُثِرَ عنه أو نُسب إليه من خوارق العادات من غير تمحيص ولا تدقيق أو نظر أو تأمل، مما يرده الشرع وينكره العقل.

وأشهر من جمع تلك الخوراق علي بن يوسف الشطنوفي في كتابه «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني عبدالقادر الجيلاني».

ومحمد بن يحيى التادفي في كتابه «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر».

وعبدالوهاب الشعراني في كتابه «الطبقات الكبرى».

وقد أنكر العلماء على الشطنوفي ما جمعه في كتابه بهجة الأسرار ومعدن الأنوار فقال ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

«قد جمع المقرىء أبوالحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبدالقادر ثلاثة مجلدات وكتب فيها الطمَّ والرمَّ وكفى المرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، وقد رأيت بعض هذا الكتاب ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه من الرواية عن المجهولين، وفيه من الشطح والطامات والدعاوى والكلام الباطل ما لا يحصى ولا يليق نسبه مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ ثم وجدت ـ والكلام لازال لابن رجب ـ الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه»[1].

---

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٣).

وفيما يأتي نماذج من تلك الأباطيل والخرافات التي أوردها الشطنوفي في كتابه:

١ـ «عن عمر البزار قال: خرجت مع الشيخ عبدالقادر إلى الجامع فلم يسلم عليه أحد فقلت: يا عجباً نحن كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلاَّ بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ فلم يتم ما بخاطري حتى نظر إليَّ الشيخ مبتمساً وأهرع الناس للسلام عليه حتى حالوا بيني وبينه فقلت في نفسي ذلك الحال خير من هذا فالتفت إليَّ مبتسماً مسابقاً لخاطري وقال: يا عمر أنت الذي أردت هذا، أوَمَا علمت أن قلوب الناس بيدي إن شئت صرفتها عني وإن شئت أقبلت بها إليَّ»[١].

فانظر إلى هذا العدوان الآثم على مقام الربوبية فإن قلوب الناس بيد رب الأرباب ومالك السموات والأرض ففي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»[٢]. بينما هذه القصة تقول بأن قلوب الناس بيد الشيخ عبدالقادر، وهذا كذب مردود لا يليق نسبته إلى الشيخ عبدالقادر ويحمل وزره من وضعه ورواه.

٢ـ عن أبي محمد شاور السبتي المحلي قال: «دخلت بغداد لزيارة الشيخ محي الدين عبدالقادر الجيلاني وأقمت عنده مدة فلما عزمت على الرجوع إلى مصر على قدم التجريد من الخلق ومن المعلوم استأذنته فأوصاني ألاَّ أسأل أحداً شيئاً ووضع أصبعه في فمي وأمرني أن أمصَّها ففعلت وقال لي: انصرف راشداً مهدياً فسرت من بغداد إلى مصر وأنا لا

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٧٦).
(٢) صحيح مسلم ح (٢٦٥٤).

آكل ولا أشرب وقوتي في زيادة»[١].

وهذه القصة من ضلالات الصوفية ومن منكراتهم وهي باطلة وغير مقبولة إذ كيف يستطيع هذا الرجل أن يقطع تلك المسافة الطويلة بين بغداد ومصر وبوسائل النقل البدائية دون أن يتناول شيئاً من الطعام والشراب مكتفياً بتلك المصة التي مصها من إصبع الشيخ عبدالقادر وإذا كان سيد البشر ﷺ كان يجوع ويعطش ولم يكن يفعل ذلك لنفسه ولا لأحد من أصحابه ولم ينقل عنهم ـ رضي الله عنهم ـ وسيرهم تدل على أنهم كانوا يجوعون ويعطشون أنهم كانوا يمصون أصابعهم فيكفيهم ذلك.

٣ـ عن أبي حفص عمر الكيماني قال: كان الشيخ عبدالقادر يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه ويقول ما تطلع الشمس حتى تسلِّم عليَّ وتجيء السنة إليَّ وتسلِّم عليَّ وتخبرني بما يجري فيها ويجيء الشهر ويسلم عليَّ ويخبرني بما يجري فيه ويجيء الأسبوع ويسلم عليَّ ويخبرني بما يجري فيه ويجيء اليوم ويسلم عليَّ ويخبرني بما يجري فيه وعزة ربِّي إن السعداء والأشقياء ليعرضون على عيني في اللوح المحفوظ. أنا غائص في بحار علم الله ومشاهداته أنا حجة عليكم جميعكم أنا نائب رسول الله ﷺ ووارثه في الأرض»[٢].

انظر إلى هذا الهراء الذي يستحي الإنسان من إيراده والذي لا يمكن نسبته إلى الشيخ عبدالقادر لمصادمته للشرع والعقل إذ كيف يستطيع الإنسان أن يمشي في الهواء ثم ما هذا الهذيان حول سلام

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٤٠).
(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي (٢٢).

الشمس والسنة والشهر والأسبوع واليوم وإخباره بما يجري فيها إن ذلك لم يحدث حتى لسيد ولد آدم وأفضل الخلق على الإطلاق صلوات الله وسلامه عليه مما يدل على بطلان هذا الكلام وكذبه وهذه الرواية ظاهرة الاختلاف وهي شبيهة بالرويات السابقة والتي يحمل وزرها من وضعها ومن نقلها.

٤ـ نقل الشطنوفي في بهجته عن خادم الشيخ عبدالقادر المعروف بالحطاب قال: اجتمع على الشيخ عبدالقادر ٢٥٠ ديناراً ديناً لأرباب أصناف فجاء شخص لا أعرفه فدخل عليه بلا استئذان وجلس يحدثه طويلاً وأخرج له ذهباً وقال هذا وفاء الدين وانصرف فأمرني الشيخ أن أوصل إلى كل ذي حق حقَّه وقال: هذا صيرفي القدر قلت وما صيرفي القدر قال: ملك يرسله الله تعالى إلى من عليه دين من الأولياء فهو يوفيه عنه»[١].

انظر إلى هذا الدجل الصريح الذي تمجه العقول والذي هو من ضلالات وخرافات القوم فلقد مات رسول اللهﷺ ودرعه مرهون عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير[٢] لم يقدر صيرفي القدر على الوفاء بها.

٥ـ عن عدي بن مسافر قال: «أمطرت السماء مرة والشيخ عبدالقادر يتكلم فتفرق بعض أهل المجلس فرفع رأسه نحو السماء وقال أنا أجمع وأنت تفرق فسكنت المطر عن المجلس وبقي على حاله يقع خارج المدرسة ولا يقطر على المجلس قطرة»[٣].

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي (٧٤).
(٢) رواه البخاري ح (٢٩١٦).
(٣) بهجة الأسرار للشطنوفي (٧٥).

ولست أدري كيف يستسيغ هؤلاء ترويج مثل هذه الأساطير والأكاذيب إذ كيف يجرؤ الشيخ عبدالقادر على مخاطبة الله عز وجل بهذه اللهجة وهو المعروف بتعظيمه لله ـ سبحانه ـ إن هذا من المحال الذي لم يقع حتى للنبي ﷺ فقد استسقى الناس في يوم الجمعة ثم نزل المطر حتى اشتكى الناس فدعا رسول الله ﷺ ربه دعاء العبد الضعيف قائلاً: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»[(١)].

٦ـ ونختم هذه الخرافات والضلالات بداهية الدواهي وأم المصائب والتي لا يصدقها عقل وهي ما نقله الشطنوفي في بهجته عن عدد كبير من مشايخ الصوفية قالوا: إن الشيخ عبدالقادر كان يتكلم عليهم وقد حضر قلبه فقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فقام الشيخ علي الهيثي وصعد على الكرسي وأخذ قدم الشيخ ووضعها على عنقه ودخل تحت ذيله ومدَّ الحاضرون كلهم أعناقهم»[(٢)].

هذه الحكاية مكذوبة مستهجنة ولا تصح عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني وذلك لما يلي:

أ ـ أن هؤلاء الذين حضروا هذه الحادثة ونقلوها من المشكوك فيهم وغير موثوق في عدالتهم وضبطهم وقد بحثت عنهم في كتب الرجال فلم أجد لهم ذكراً، وأيضاً فقد ذكر الشطنوفي عن بعضهم بعض الخرافات مثل داود شابا أحد الذين نقلوا الخبر أنه كان يصلي الصلوات الخمس في مكة[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ح (١٠١٤).
(٢) بهجة الأسرار للشطنوفي ص(٣).
(٣) نفس المصدر (ص٧).

ب ـ أن هذه العبارة تتعارض مع ما هو معروف عنه من التواضع وعدم التكبر يشهد لذلك قوله للذي سأله من أين هو «متفقه من جيلان»[١] ومن ضمن تعاليم الشيخ عبدالقادر ـ رحمه الله ـ قوله:

«ألا يطلب لنفسه العلو والكبر بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[٢]»[٣].

جـ ـ أن هذه الكلمة تزكية للنفس وإهانة وإذلال للآخرين بوضع قدمه على أعناقهم وهم يزعمون أنهم أولياء الله.

د ـ أن الأحوال التي وقعت بعد قول هذه العبارة لا يمكن تصديقها لأنها أقرب إلى الخرافة والدجل منها إلى الواقع والحقيقة مثل قول الشيخ القيلوي: «إن الشيخ عبدالقادر لما قال هذه الكلمة تجلى الحق عز جل على قلبه وجاءته خلعة من رسول الله ﷺ على يد طائفة من الملائكة المقربين وأُلْبِسَهَا بمحضر من جميع الأولياء من تقدم منهم ومن تأخر الأحياء بأجسادهم والأموات بأرواحهم وكانت الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسه واقفين في الهواء صفوفاً حتى استد الأفق ولم يبق ولي في الأرض إلاّ حنا عنقه»[٤].

فانظر إلى هذا القول الباطل وإلى هذا الدجل المكشوف الذي تمجه العقول وتستهجنه النفوس والذي ينادي بكذب هذه الحادثة أصلاً، وإنما هي من وضع أتباعه الغالين فيه.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٤٤).
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣.
(٣) بهجة الأسرار للشطنوفي (٦٧).
(٤) بهجة الأسرار للشطنوفي (٩).

وقد حاول ابن رجب تبرير وتوجيه هذه العبارة نظراً لشهرتها فقال:

«وأما الحكاية المعروفة عن الشيخ عبدالقادر أنه قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقد ساقها هذا المصنف يعني الشطنوفي من طرق متعددة وأحسن ما قيل في هذا الكلام ما ذكره الشيخ أبوحفص السهروردي في عوارفه أنه من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى بهم فيها ولا يقدح في مقاماتهم ومنازلهم فكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد إلاَّ المعصوم ﷺ»[١].

وبعضهم كالتادفي صاحب قلائد الجواهر قال: إن القدم هنا مجازية وليست حقيقية ومعناها الطريقة يقال: فلان على قدم حميدة أي على طريقة حميدة والمعنى أن طريقته حميدة»[٢].

الفئة الثالثة: من يميل إلى الوسطية والاعتدال فيقبلون من كرامات الشيخ عبدالقادر الجيلاني ما صح وثبت نقله مما لا يتعارض مع الشرع، ويردون ماعدا ذلك.

ويفسرون مواقف الفئتين السابقتين بأنهم يمثلون أحد اتجاهين:

الأول: اتجاه حاقد يلجأ إلى الدس والوقيعة ويهدف إلى التشويش والتشويه لسيرة الشيخ بإشاعة ما يشبه الأساطير والخرافات لإظهاره في صورة المشعوذ الدجَّال الذي لا يحترم الشرع ولا يُبالي بالعقل.

والاتجاه الثاني: مفتون بالشيخ دفعه إعجابه به إلى اختلاق

---

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٥).

(٢) قلائد الجواهر للتادفي (٢٣).

الخوارج العجيبة والكرامات النادرة وأضافها إليه لتعظيمه وتعظيم طائفته، ولإظهاره في صورة خيالية بما يخلع عليه من أشكال العظمة وبما يضيف إلى سيرته من ألوان الخيال وقصده جذب القلوب إليه، ولعل هذا مما يتنافس فيه أتباع الطوائف الصوفية لترجيح طريقة كل طائفة على الأخرى فوضع أتباع كل طريقة من القصص والكرامات ما يغري الجهلة باتباع طريقهم ولا شك أن هذا مما يسخط الله عز وجل على فاعله وكلا الاتجاهين قد جانب الصواب.

أما أهل التوسط والاعتدال وهم كثير منهم كما أسلفنا ابن قدامة وابن رجب، والذهبي والعز بن عبدالسلام، وغيرهم فقد وفقوا للحق وقالوا به، فأثبتوا ما صح نقله ولم يعارض الشرع ولم يرده العقل من كرامات الشيخ عبدالقادر كغيره من عباد الله الصالحين؛ لأن هذا هو اللائق به لاسيما وقد عرفنا سلامة معتقده وشدة تركيزه على التجرد والإخلاص والتمسك بالكتاب والسنة، وعدم اكتراثه بالكرامات أو طلبه لها؛ إذ يقول في بعض مقالاته:

«حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولد والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات»[١].

وحسبي وأنا أختار ما ذهب إليه أهل التوسط والاعتدال أن تكون تلك الكرامات قد نقلت بالرواية عن الثقات وأن يقرّ بها كبار العلماء ممن لا يشك في صحة نقلهم وصدق تثبتهم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الذي نقل عنه ابن رجب في ذيل الطبقات قوله:

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثانية والثلاثون (ص٧٨).

«حدثني الشيخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروقي أنه سمع الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب العوارف قال: كنت قد عزمت على أن أقرأ شيئاً من علم الكلام وأنا متردد: هل أقرأ الإرشاد لإمام الحرمين، أو نهاية الإقدام للشهرستاني أو كتاباً آخر ذكره فذهبت مع خالي أبي النجيب وكان يصلي بجنب الشيخ عبدالقادر قال: فالتفت الشيخ عبدالقادر وقال لي: يا عمر ما هو من من زاد القبر ما هو من زاد القبر. فرجعت عن ذلك».

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: «ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله»[(١)].

وهذا لا يعني القطع بصحتها إذ اكتفى شيخ الإسلام بإيرادها دون التعليق عليها بالرد أو القبول إلاَّ أن قبولها ممكن إذا اعتبرنا ذلك من باب الفراسة التي قال ابن القيم رحمه الله: «أن حقيقتها خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضاده على حسب الإيمان من كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب، وكان شاه الكرماني حاد الفراسة لا يخطىء ويقول: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطىء فراسته» مدارج السالكين (٢/ ٤٨٢).

وقد نقل رحمه الله مواقف كثيرة شاهدها بنفسه من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بالغ فيها عفا الله عنه لفرط محبته وغلوه في شيخه حتى ذكر أنه كان يخبره بأشياء باطنة تختص به مما عزم عليه

---

(١) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٢٩٦).

ولم ينطق بها لسانه وكان يخبره بحوادث كبيرة تجري في المستقبل، وقد وقع بعضها وهذا من الغلو والمبالغة المفرطة فإن مفاتح الغيب لا يعلمها إلاَّ الله وحده.

هذا ما أردت إيضاحه مع الإيجاز وإلاَّ فموضوع الكرامات وتتبعها بالنقد والتمحيص والحكم عليها بالقبول أو الرد مطلب لا يتسع له موضوع هذه الرسالة ولا يتعلق لي به غرض والله أعلم.

المبحث الخامس
الكرامة عند المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة

أولاً : عند الأشاعرة :

يتفق الأشاعرة مع أهل السنة والجماعة في إثبات جواز وقوع الكرامة ولكن بدون ضوابط أو حدود فلا يفرقون بين ما يقع من خوارق العادات للأنبياء وبين ما يقع للأولياء أو السحرة ولا فرق عندهم بينها إلاَّ دعوى النبوة من قبل الأنبياء وظهور علامات الصلاح والتقوى من قبل الأولياء.

يقول الجويني: «والمرضي عندنا تجويز خوارق العوائد في معارض الكرامات ثم لا يفرق بين الكرامة والمعجزة إلاَّ بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة»[١].

ويقول البغدادي: «اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات».

إلاَّ أنه يجعل الفرق بينهما من ثلاثة أوجه:

الأول: تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وما يظهر على الأولياء كرامة.

الثاني: أن صاحب المعجزة يظهرها لإثبات صدقه لكن صاحب الكرامة يجتهد في إخفائها.

الثالث: أن صاحب المعجزة معصوم من الكفر بعد ظهور معجزته أما

---

(١) انظر الإرشاد للجويني (٢٦٧).

صاحب الكرامة فلا يؤمن تَبَدُّلْ حاله كما حدث لبلعام بن باعوراء[١].

ولا شك أن أصحاب هذا القول قد جانبوا الصواب وأن التسوية بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء غير وارد لأن المعجزات التي يؤيد الله بها أنبيائه إنما كانت لإثبات نبوتهم وبالتالي حصول القناعة لدى أممهم بأنهم رسل من عند الله فيترتب على ذلك دخولهم في دين الله وحصولهم على السعادة في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الدار الآخرة.

أما الكرامة التي تظهر على أيدي بعض عباد الله الصالحين فإنما تقع لحاجتهم إليها أو للدلالة على فضلهم وقربهم من الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ولكن قد يشاركونهم في بعض أعمالهم»[٢].

ثانياً : المعتزلة :

المعتزلة يمنعون وقوع الكرامات أو خوارق العادات لغير الأنبياء وذلك انطلاقاً من أصلهم في رد الأمور التي لا تصدقها عقولهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«فقالت طائفة لا تخرق العادة إلاَّ لنبي وكذَّبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين وهذه طريقة أكثر المعتزلة

(١) أصول الدين للبغدادي بتصرف يسير (١٧٤).
(٢) النبوات لابن تيمية (٤).

وغيرهم»[١].

ولا شك في عدم صحة قولهم بعد ثبوت الكرامات بأدلة الكتاب والسنة وتواتر الوقائع والحوادث بها كما سبق أن أوضحناه عند إيراد مذهب أهل السنة والجماعة في الكرامات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«لكن هؤلاء ـ يعني المعتزلة ـ كذَّبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء والمنازع لهم بقول هي موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»[٢].

وبهذا التفصيل يزول اللبس والغموض ويتضح ما يكون كرامة من عند الله لبعض أوليائه وعباده الصالحين وما يكون إيحاءاً من الشياطين وتلاعباً من الأبالسة ممن سوَّلت لهم الشياطين وأملت لهم وزينت لهم سوء أعمالهم. ونعوذ بالله من ذلك.

---

(١) النبوات لابن تيمية (٢).
(٢) النبوات لابن تيمية (٢).

الفصل الخامس
الأحوال والمقامات

وتحته سبعة مباحث:

المبحث الأول: **التوبة**

المبحث الثاني: **الزهد**

المبحث الثالث: **التوكل**

المبحث الرابع: **الشكر**

المبحث الخامس: **الصبر**

المبحث السادس: **الرضا**

المبحث السابع: **الصدق**

تمهيد

الأحوال في اللغة جمع حال وهو نهاية الماضي وبداية المستقبل.

وفي اصطلاح المتصوفة: «معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب[١] أو حزن[٢] أو قبض أو بسط[٣] أو هيبة[٤]»[٥].

والمقامات في اللغة جمع مقام وهو موضع القيام ويشمل الأمر الحسي كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٦].

---

(١) الطرب: خفة تصيب الإنسان لحدة حزن أو سرور.
التعريفات للجرجاني (١٨٣).

(٢) الحزن: أنين من القلب يمنع النفس من طلب السرور والطرب. وهو وهم يجعل الصوفي دائم التفكير في حاله وعديم الرضى عنها.
معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي (١٢٢).

(٣) القبض والبسط حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف.
التعريفات للجرجاني (٢٢٠).

(٤) الهيبة والأنس: حالتان فوق القبض والبسط كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء.
التعريفات للجرجاني (٣٢١).

(٥) التعريفات للجرجاني (١١٠).

(٦) سورة البقرة، الآية ١٢٥.

والمعنوى كقوله عز وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١] وهو مقام الشفاعة يوم القيامة.

وفي اصطلاح المتصوفة: معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل[٢].

والأحوال والمقامات مما اهتم به المتصوفة كثيراً إذ لا تخلو كتبهم من ذكرها والحديث عنها ويعنون بها ما يمر بالنفس من أحوال وهبية فإذا دامت واستقرت سميت مقاماً، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الوجود والمقامات تحصل ببذل المجهود[٣].

أي أن الأحوال توهب للعبد من الله سبحانه وليست من كسبه أما المقامات فيمكن أن يتوصل إليها العبد باكتسابه وبذل جهده.

إلاَّ أن بين الأحوال والمقامات تداخلاً وتلازماً بحيث يصعب التفريق بينها لأن القواعد التي وضعها المتصوفة للتمييز بينهما غير مضطردة فهم مثلاً يعرفون المقامات بأن لها صفة الديمومة بينما الأحوال في تغير مستمر. يقول القشيري في الرسالة:

«وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله»[٤].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٢) اللمع للطوسي (٦٥).
(٣) الرسالة للقشيري (١/٢٠٦). ومدارج السالكين لابن القيم (٢/١٧١).
(٤) الرسالة للقشيري (١/٢٠٦).

ثم نراه يورد ما يعارض زوال الحال بقوله:

«وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها»[(١)].

وأيضاً يعتبر أبوطالب المكي الخوف من المقامات[(٢)] بينما يرى أبونصر الطوسي أنه من الأحوال[(٣)].

وكذلك الرضا؛ يرى القشيري أنه من الأحوال[(٤)]، بينما يعتبره أبونصر الطوسي من المقامات[(٥)].

وللجمع بينهما يمكن أن يقال أن الحال يكون في بدايته معنى يطرأ ويزول لكنه بالتكرار يصير معنى راسخاً وهذا المعنى هو المقام.

هذه الاصطلاحات الصوفية لم أجد للشيخ عبدالقادر كلاماً لشرحها أو بيانها وإن كانت ترد في كلامه استعمالاً وهذا الذي جعلني أبين معناها عند الصوفية لمعرفة معناها في كلام الشيخ في المباحث الآتية:

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٧).
(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ٣٦٤).
(٣) اللمع للطوسي (٨٩).
(٤) الرسالة للقشيري (١/ ٢٠٧).
(٥) اللمع للطوسي (٦٥).

المبحث الأول

التـــوبـــة

هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والإضمار على ألا يعود»[١].

ويقسمها المتصوفة إلى قسمين:

ـ توبة العوام؛ وهي التوبة من جميع الذنوب.

ـ وتوبة الخواص؛ وهي التوبة من الغفلة[٢].

وهي أول مقامات السالكين إلى الله؛ لأنها تسد أبواب الذنوب السابقة وتمنع من الوقوع فيها مستقبلاً وهي ملازمة للعبد السالك إلى الله حتى يموت قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال به إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية. كما أن حاجته إليها في البداية كذلك»[٣].

ومن هنا كان تركيز الشيخ عبدالقادر الجيلاني عليها واهتمامه

(١) التعريفات للجرجاني (٩٥).

(٢) معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي (٨٨).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٧٨).

بشأنها؛ قال العلامة أبوالحسن الندوي:

«ظهر في بغداد رجل قوي الشخصية قوي الإيمان قوي العلم قوي الدعوة قوي التأثير هو الشيخ عبدالقادر الجيلاني فجدَّد دعوة الإيمان والإسلام الحقيقي والعبودية الخالصة وحارب النفاق وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه يدخل منه المسلمون يجددون العهد والميثاق مع الله تعالى»[١].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يعتبر التوبة باب الدخول على الله سبحانه لنيل رضوانه في الدنيا والآخرة فينبغي اغتنامها وعدم تفويت فرصتها يقول:

«اعتنموا باب التوبة وادخلوا مادام مفتوحاً لكم»[٢].

ويبين أن المهم ليس التوبة فحسب ولكن المهم هو الاستمرار والثبات عليها فيقول:

«تب واثبت على توبتك فليس الشأن في توبتك الشأن في ثبوتك عليها ليس الشأن في غرسك الشأن في نبوته وتغصينه وثمرته»[٣].

وقد جعلها بمنزلة الماء الذي تزول به نجاسة الذنوب وقذارة المعاصي. إذ يقول:

«يا غلام لا تيأس من رحمة الله بمعصية ارتكبتها بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام للندوي (٢٨٢).
(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع (ص١٨).
(٣) المصدر السابق، المجلس الرابع، (ص٢٢).

فيها»[١].

وعن التائبين يصنف الشيخ عبدالقادر الناس في التوبة إلى ثلاثة أصناف: توبة العوام وتوبة الخواص وتوبة خاص الخاص ويجعل لكل صنف منهم توبة تخصه فيقول:

«توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة خاص الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل»[٢].

ثم يوضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣] بأن هذا **«خطاب للعموم بالتوبة وأن حقيقة التوبة في اللغة الرجوع يقال تاب فلان من كذا أي رجع عنه فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع والعلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله عز وجل. ومن جنته وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجنته فكأنه عز وجل يقول: ارجعوا إلي من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعاد وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا برحمتي الجنة العليا المعدة للأبرار»[٤].**

كما يقرر الشيخ عبدالقادر الجيلاني أن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة وأنها تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها[٥].

---

(١) المصدر السابق، المجلس الثالث عشر (ص٤٨).
(٢) الغنية للجيلاني (١/ ١١٨).
(٣) سورة النور، الآية: ٣١.
(٤) الغنية للجيلاني (١/ ١١٦).
(٥) المصدر السابق (١/ ١١٦).

ثم يعرف الكبائر بأنها:

«ما توعَّد الله عليه بالنار أو ما أوجب عليه الحد في الدنيا وأن بعض العلماء حصرها في سبع عشرة كبيرة: أربع في القلب؛ وهي الشرك بالله والإصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله. وأربع في اللسان: وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر. وثلاث في البطن وهي: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا. واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط. واثنتان في اليدين، وهما: القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين، وهي: الفرار من الزحف. وواحدة في جميع البدن وهي: عقوق الوالدين»[(١)].

ولكن كيف لنا أن نعرف أن التوبة صحيحة ومقبولة عند الله إذ ليس بإمكاننا أن نتوغل في نفوس التائبين لنتعرف على صحة توبتهم لكن الشيخ عبدالقادر لم يترك هذه المسألة غامضة دون أن يقدم لنا دليلاً عملياً نعرف به صدق التوبة وصحتها فيضع لها شروطاً ثلاثة:

«أولها: الندم على ما عمل من المخالفات.
وثانيها: الإقلاع وترك الزلات في جميع الحالات والساعات.
وثالثها: العزم على ألاَّ يعود إلى ما اقترف من المعاصي والخطيئات»[(٢)].

وليس هذا فحسب بل جعل الشيخ الجيلاني للتوبة معياراً دقيقاً هو: **«توجّع القلب عند علمه بفوات محبوبه فتطول حسراته وأحزانه وبكاؤه ونحيبه وانسكاب عبراته فيعزم على ألاَّ يعود إلى مثل ذلك لما**

---

(١) الغنية للجيلاني (١/ ١١٧).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٢٢).

تحقق عنده من شؤم ذلك»[١].

ويجعل أيضاً مقياساً آخر يمكن بواسطته معرفة التوبة الصادقة وهو في أربعة أشياء:

«١ـ أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب.

٢ـ ألاَّ يرى لأحد في قلبه حسداً ولا عداوة.

٣ـ أن يفارق إخوان السوء.

٤ـ أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه مجتهداً في طاعة ربه»[٢]

وفي النهاية يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني أن التوبة على وجهين:

«أحدهما: في حق العباد بعضهم تجاه بعض وهذا لا يتحقق إلاَّ برد المظالم والتحلل من الحقوق بإعادتها إلى أصحابها.

والثاني: يتعلق بحق الله تعالى فتكون التوبة منه بالاستغفار الدائم باللسان والندم بالقلب والإضمار على ألاَّ يعود إليه في المستقبل»[٣].

هذه هي التوبة عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني ونظراته إليها وتوجيهاته للتائبين.

وقد أوردها بعبارات جميلة وترقيقات بديعة تدل على حساسية مرهفة لمعنى التوبة وموقف العبد منها.

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٢٢).
(٢) الغنية للجيلاني (١/ ١٤٠).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٢٦).

المبحث الثاني

الــــزهــــد

الزهد لغة: زهد فيه وعنه زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره أو لتحرجه عنه.

ويقال: زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه[١].

وفي الاصطلاح: له عدة تعريفات من أحسنها قول ابن قدامة المقدسي: «هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. أو بمعنى آخر: «أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة»[٢].

والشيخ عبدالقادر الجيلاني يفرق بين الزاهد الحقيقي والمتزهد الصوري فيقول:

«المتزهد يخرج الدنيا من يديه والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه»[٣].

وكلامه هذا يشير فيه إلى نوعية من الناس يزهدون في الدنيا ويرفضونها من أيديهم لكنها تسكن في سويداء قلوبهم.

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٣٠٨). والمعجم الوسيط (١/ ٤٠٤).
(٢) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (٣٢٤).
(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون (ص١٠٦).

لكن هذا لا يعني أن الزاهد الحقيقي يرد ما يسوقه الله له من الرزق وإنما يأخذه ويستعين به على طاعة الله وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبدالقادر:

«الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه فيتناولها ويلبس ظاهره بها وقلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها»[١].

ثم يضع صورة واضحة للزاهد الصادق فيقول:

«وفي الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها يملكها ولا تملكه تحبه ولا يحبها تعدو خلفه ولا يعدو خلفها يستخدمها ولا تستخدمه يفرقها ولا تفرقه. قد صلح قلبه لله عز وجل فلا تقدر الدنيا تفسده فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه»[٢].

ولما لصلاح النية والقصد من الأهمية في قبول العمل حيث أنها تتحكم في تصرفات الإنسان فتتحول العادات والمباحات إلى أعمال صالحة بالنية الصالحة والقصد الحسن وفي هذا يقول الشيخ عبدالقادر الجيلاني:

«المؤمن له نية صالحة في جميع تصرفاته لا يعمل في الدنيا للدنيا يبني في الدنيا للآخرة يعمر المساجد والقناطر والمدارس والربط ويهذب طرق المسلمين وإن بنى غير هذا فللعيال والأرامل والفقراء وما لابدَّ له منه يفعل ذلك حتى يبنى له في الآخرة»[٣].

---

(١) المصدر السابق، المجلس الخامس والعشرون (ص٨٩).
(٢) المصدر السابق، المجلس الرابع والثلاثون (ص١١٣).
(٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس السادس عشر (٥٩).

ولكن الشيخ عبدالقادر يبين أن الزهد ليس أمراً سهلاً يمكن الاتصاف به دون تعب أو معاناة كما أنه ليس في قدرة كل واحد أن يكون زاهداً؛ لأن الزهد على حدِّ تعبير الجيلاني:

«منة صالحة وإلاَّ فما يقدر أحد أن يزهد في قسمه.

المؤمن يستريح من ثقل الحرص لا يشره ولا يستعجل.

زهد في الأشياء بقلبه وأعرض عنها بسرِّه واشتغل بما أمر به وعلم أن قسمه لا يفوته فلم يطلبه.

ترك الأقسام تعدوا خلفه وتذل وتسأله قبولها»[(١)].

كما أن الزهد في نظر الشيخ الجيلاني ليس حرفة أو مهنة يمكن إدراكها عن طريق التعليم والتدريب عليها وإنما هو خطوات على درب السلوك تتبعها خطوات وفي هذا الخصوص يصف الشيخ الجيلاني حال الزاهد فيقول:

«يا غلام هذا الزهد ليس صنعة تتعلمها ليس هو شيئاً تأخذه بيدك ترميه بل هو خطوات أولها النظر في وجه الدنيا فتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل»[(٢)].

ومن هنا فإن الجيلاني يربط بين العلم والزهد ويرى أنه لابدَّ من تلازمهما للوصول إلى الله عز وجل وهذا واضح من قوله:

«ما وصل من وصل إلاَّ بالعلم والزهد في الدنيا والإعراض عنها

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثامن والعشرون (ص٩٨).
(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون (ص١٠٧).

بالقلب والقالب»[١].

تلك هي منزلة الزهد عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهي بلا شك منزلة عالية يرتفع بها صاحبها ويعظم في أنظار الناس وتتحقق لهم الاستفادة منه وقد عبَّر عن هذا بقوله:

«من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر فيه»[٢].

أما المتصوفة وباعتبار ىنه من أهم مسائلهم فله عندهم مفهوم آخر يأخذ صوراً متفاوتة في البعد والقرب عن مفهوم أهل السنة والجماعة الذي سنذكره فيما بعد فمن تعريفاتهم المعتدلة للزهد قولهم:

«الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى»[٣].

وقولهم: **«ينبغي للعبد ألا يختار ترك الحلال بتكلفة ولا طلب الفضول مما لا يحتاج إليه ويراعي القسمة فإن رزقه الله سبحانه وتعالى مالاً حلالا شكره وإن وقَّفه الله تعالى على حدِّ الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال الحلال»**[٤].

لكن هناك مبالغات تروى عنهم في الزهد تتعارض مع المنهج الشرعي الصحيح من ذلك قولهم:

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون (ص١٠٦).
(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثاني والستون (ص٢٣٢).
(٣) الرسالة للقشيري (١/ ٣٢٤).
(٤) المصدر السابق (١/ ٣٢٥).

«الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطاً أو أعمر مسجداً»[١].

وقول عبدالواحد بن زيد: «الزهد ترك الدرهم والدينار»[٢].

لكن أهل السنة والجماعة لا يوافقون الصوفية في هذا المفهوم للزهد. وإنما يرون أن الزهد الصحيح هو ترك الدنيا التي تصد عن ذكر الله عز وجل وتشغل عن طاعته سبحانه وتلهي عن أداء الواجبات الشرعية وتعين على الوقوع في المعاصي والآثام.

أما الدنيا التي يتزود منها الإنسان لآخرته بالعمل الصالح وأداء الواجبات المالية لنفسه وأهله وولده وجاره وأهل ملته ولنصرة دينه فإن هذه الدنيا تتحول إلى دين لا ينبغي أن يزهد الإنسان فيه وهذا ما حصل للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وكثير من التابعين وأئمة السلف ـ رحمهم الله ـ فقد فهموا أن الزهد في الدنيا ليس المراد منه تركها والتخلي عنها بالكلية ولكن إخراجها من القلب وتسخيرها في مراضي الرب عز وجل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«الزهد النافع الذي يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة.

فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد

---

(١) المصدر السابق (١/٣٢٦).

(٢) الرسالة للقشيري (١/٣٢٨).

فيما لا ينفع فأما الزهد في النافع فجهل وضلال»[١].

وينقل ابن القيم ـ رحمه الله ـ أقوال الأئمة في الزهد، ومنهم الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ الذي قال:

«الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام.
الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.
الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين».

ثم يعلق ابن القيم على كلام الإمام أحمد هذا فيقول:

«وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل الأعلى وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد»[٢].

وهكذا يتبين موافقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني لأهل السنة والجماعة في مفهوم الزهد وأنه إنما يكون في ما لا منفعة فيه للعبد في الآخرة والله أعلم.

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥١١).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٢).

المبحث الثالث

التوكل

التوكل: هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس[١].

وهو سمة من أهم سمات المؤمنين الصادقين قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢] وقال ـ عز شأنه ـ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[٣].

فقد علّق الإيمان على التوكل وهذا يدلُّ على أهميته وعلى انتفاء الإيمان عمن لا توكل لديه.

وعندما تناول الشيخ عبدالقادر الجيلاني مسألة التوكل تعرَّض لأربع مسائل:

الأولى: الأصل في مشروعيته وتعريف حقيقته:

فقال:

«الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٤] **وقوله عز وجل:** ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥].

---

(١) التعريفات للجرجاني (٩٧).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

وحقيقته تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير فيقطع العبد ألاَّ تبديل للقسمة فما قسم له لا يفوته وما لم يقدَّر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه»[١].

وقد وافقه في هذا التعريف كثير من أئمة السلف وهذا طرف من أقوالهم التي نقلها ابن القيم فقال:

«قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد.

ومنهم من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب فيقول:

التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار.

قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد.

ومنهم من يفسره بالرضا فيقول: هو الرضا بالمقدور.

وقيل: التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق»[٢].

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٩).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١١٢).

المسألة الثانية: أقسام التوكل ودرجاته:

يرى الشيخ عبدالقادر أن التوكل ينقسم إلى ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض.

«فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه»[١].

لكن ابن القيم ـ رحمه الله ـ لا يوافقه في هذا التقسيم بل يرى أن التوكل ينقسم إلى سبع درجات:

«الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهي أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الثانية: إثبات الأسباب والمسببات».

وسوف نرجىء نقل كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن هذه الدرجة إلى الحديث عن المسألة الرابعة في ختام هذا المبحث.

«الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد المتوكل فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده. بل حقيقة التوكل توحيد القلب فمادامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل.

فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ومن هنا

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٩).

ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلاَّ برفض الأسباب وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها. علامة هذا ألا يبالي بإقبالها وإدبارها ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يحب وإقبال ما يكره منها لأن اعتماده على الله وسكونه إليه ومثل حاله كحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره. كذلك المتوكل لا يأوي إلاَّ إلى ربه سبحانه.

الخامسة: حسن الظن بالله عزوجل. فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه. ولذلك فسَّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.

والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه.

السادسة: استسلام القلب له. وانجذاب دواعيه كلها إليه وبهذا فسَّره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبُّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً. بل كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه وتمام كفايته وحسن تدبيره فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه»[١].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم بتصرف (٢/ ١١٢).

المسألة الثالثة : ثمرات التوكل :

لا ريب في الثمرات العظيمة التي تحصل للعبد إذا توكل على ربه باعتباره العلاج الذي يقضي على المخاوف النفسية التي تختلج في نفوس الناس ويحد من وطأة القلق والاهتمام بأمور المعيشة بالاعتماد والثقة في الله عز وجل وأهم الثمرات في نظر الشيخ عبدالقادر الجيلاني اعتباره من أعظم الأسباب المؤدية إلى تقوية دين العبد وتصحيح قلبه وهدايته يقول في هذا المعنى:

«من أحب القوة في دين الله عز وجل فليتوكل على الله عز وجل لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب لا تتوكل على درهمك ودينارك وأسبابك فإن ذلك يعجزك ويضعفك وتوكل على الله عز وجل. فإنه يقويك ويعينك ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب»(١).

وهذاما أكَّده شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يوضح معنى ما نقل عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني من أنه رؤي في المنام وهو يقول إخباراً عن الحق سبحانه:

من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنَّا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. فقال رحمه الله:

«فالأوَّلتان: العبادة والاستعانة. والآخرتان الطاعة والمعصية.

فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده كما قال تعالى: «من تقرب إليَّ

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثاني والأربعون (ص١٣٤).

شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١].

والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه فإنه لا حول ولا قوة إلاَّ بالله وفي الأثر: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[٢].

وعن سعيد بن جبير قال: التوكل جماع الإيمان[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٤]. وقال عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٥].

وهذا على أصح القولين في أن التوكل عليه ـ بمنزلة الدعاء على أصح القولين أيضاً ـ سبب لجلب المنافع ودفع المضار فإنه يفيد قوة العبد وتصريف الكون ولهذا هو الغالب على ذوي الأحوال متشرعهم وغير متشرعهم. وبه يتصرفون ويؤثرون تارة بما يوافق الأمر وتارة بما يخالفه.

وقوله: ومن اتبع مرادنا يعني المراد الشرعي كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[٧]. وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن

---

(١) رواه البخاري ح (٧٥٣٦). ومسلم ح (٢٦٧٥).
(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية (٣/ ٢١٨).
(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة برقم (٧٧٦)، وأبونعيم في الحلية (٤/ ٢٧٤).
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٧) سورة النساء، الآية: ٢٨.

﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾[١].

هذا هو طاعة أمره وقد جاء في الحديث: **«وأنت ياعمر لو أطعت الله لأطاعك»**[٢].

وفي الحديث الصحيح: **«لئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»**[٣].

وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾[٤]

وقوله: «ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد» يعني: ترك ما كره الله من المحرم والمكروه لأجل الله؛ رجاءاً ومحبة وخشية أعطيناه فوق المزيد لأن هذا مقام الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[٥]»[٦].

المسألة الرابعة: الأسباب:

بيَّن الشيخ عبدالقادر الجيلاني اعتقاده حولها والمتضمن ضرورة الأخذ بها مع عدم الاعتماد عليها فقال:

«اعتقاد المتبعين لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ: أن السيف لا يقطع بطبعه بل الله عز وجل يقطع به وأن النار لا تحرق بطبعها بل الله عز وجل المحرق بها وأن الطعام لا يشبع بطبعه بل الله عز جل يشبع به

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص(٢٩٥)، وأبونعيم في الحلية (٣/ ٢١٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٦) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥٤٩).

وأن الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل المروي به.

وهكذا جميع الأسباب على اختلاف أجناسها الله عز وجل المتصرف فيها وبها، وهي آلة بين يديه يفعل بها ما يشاء»[١].

وهذا لا يعني دعوته إلى ترك الأسباب أو أن هناك تعارضاً بين التوكل والأخذ بالأسباب بل إن التوكل الصحيح في مفهوم الشيخ الجيلاني هو الأخذ بالسبب والتوكل على مسبب الأسباب إذ يقول في هذا الصدد:

«إعط السبب حقه، وتوكل، واقعد على باب العمل وألق نفسك في بحر التوكل فتجمع بين السبب والمسبب»[٢].

والأخذ بالأسباب ثم الاعتماد على الله عز وجل هو مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة. يقررونه ويؤكدون عليه لأنه هو الذي يتمشى مع طبيعة هذا الدين الذي جاء لعمارة الدنيا وإصلاحها على أساس الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع»[٣].

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الستون (ص٢١٣).
(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخمسون (ص١٦٧).
(٣) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٣٥).

ويناقش ابن القيم ـ رحمه الله ـ قضية الأسباب بشيء من التفصيل فيقول:

«من نفى الأسباب فتوكله مدخول وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل وأن نفيها تمام التوكل.

واعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل البتة لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به فإذا اعتقد العبد أن توكله لم ينصبه الله سبباً ولا جعل دعاءه سبباً لنيل شيء فقد وقع في الوهم الباطل.

فإن الله سبحانه وتعالى قضى بحصول الشبع إذا أكل المرء والري إذا شرب فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يرو.

وقضى بحصول الحج والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة.

وقضى بدخول الجنة إذا أسلم وأتى بالأعمال الصالحة فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها أبداً.

وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض وإلقاء البذر فيها فما لم يأت بذلك لم يحصِّل إلاَّ الخيبة.

فَوِزَانِ ما قاله منكروا الأسباب أن يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ويقول: إن كان قضى لي وسبق في الأزل حصول الشبع والري والحج ونحوها فلابدَّ أن يصل تحركت أو سكنت سافرت أو قعدت وإن لم يكن قد قضى لي لم يحصل لي أيضاً فعلت أو تركت.

فهل يَعُدُّ أحدٌ هذا من جملة العقلاء وهل البهائم إلاَّ أفقه منه فإن

البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة.

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم له التوكل.

ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره. فلا تقوم عبودية الأسباب إلاَّ على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلاَّ على قدم العبودية.

بل التجرد من الأسباب جملة ممتنع عقلاً وشرعاً وحساً وما أخلَّ رسول الله ﷺ بشيء من الأسباب فقد ظاهر بين درعين يوم أحد ولم يحضر الصف قط عرياناً كما يفعل من لا علم عنده ولا معرفة. واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه. يدلُّه على طريق الهجرة. وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين.

وكان يدَّخِرُ لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين. وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد جميع أصحابه وهم أولوا التوكل حقًّا وأكمل المتوكلين بعدهم هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة أو لحق أثراً من غبارهم»[١].

وخلاصة القول في الأمر أن نأخذ بالأسباب ثم نعتمد في حصول النتائج على الله وحده فقد أخبر الله عز وجل عن يعقوب عليه السلام أنه أخذ بالأسباب في نصحه لأولاده فقال تعالى:

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١١٢).

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فقال: **«ما منكم من أحد إلاَّ قد كتب مقعده من النار أو من الجنة فقال رجل من القوم: ألاَّ نتكل يارسول الله ـ يعني ألاَّ نترك العمل ـ فقال لا اعملوا فكل ميسرٌ ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ الآية[2]»**[3].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطانا»**[4].

والأدلة على ضرورة اتخاذ الأسباب وأنها لا تنافي التوكل كثيرة جدًّا. وهو ما قرره الشيخ عبدالقادر الجيلاني كما سبق بيانه. والله أعلم.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الليل: الآية: ٥.
(٣) رواه البخاري، ح (٦٦٠٥).
(٤) رواه الترمذي ح (٢٤٦١). وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجة ح (٤١٦٤). وقال عنه الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح الترمذي للألباني ح (١٩١١).

المبحث الرابع

الشكـــر

هو عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة[(١)].

وقد تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن الشكر من خلال ثلاث مسائل:
الأولى: حقيقة الشكر.
الثانية: أقسامه.
الثالثة: أصناف الشاكرين.

أما الأولى وهي حقيقة الشكر فقد قال رحمه الله:

«وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع»[(٢)].

فهو رحمه الله يذكر أن حقيقة الشكر هي الاعتراف بنعم المنعم الذي هو الله ـ عزوجل ـ فهو صاحب الفضل والعطاء فيعترف القلب أن كل نعمة إنما هي من الله سبحانه.

---

(١) التعريفات للجرجاني (١٦٨).
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٣).

ثم تخضع جوارحه لهذا المنعم فإن الخضوع هو الطاعة والانقياد إذ لا يسمى الإنسان خاضعاً إلاَّ إذا كان طائعاً لأمر الله ـ عز وجل ـ منقاداً لشرعه.

وعلى هذا فالشكر هو عمل القلب وعمل الجوارح كما سيتضح من خلال المسألتين الآيتين:

وأما الثانية وهي أقسام الشكر. فإنه ـ رحمه الله ـ قد قسم الشكر إلى ثلاثة أقسام فقال:

«ثم الشكر ينقسم إقساماً إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة مبعث الاستكانة.

وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة.

وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة»[(١)].

وقد جمع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في هذا التقسيم جميع العناصر المهمة التي تعبر عن اعتراف الإنسان بنعمة الله عليه كما أنه ربط كل قسم بما يناسب حالته من الاعتراف والشكر.

فاللسان حالته التعبير والتحدث بنعمة الله على صفة الاستكانة والضعف والتذلل.

والبدن والجوارح حالتها الخدمة والقيام بتنفيذ الأوامر والابتعاد عن النواهي.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٤).

والقلب حالته الإقرار الداخلي بأن جميع النعم إنما هي من الله وحده.

وفي موضع آخر يصف الشيخ عبدالقادر الجيلاني كيفية الشكر فيقول:

«أما كيفية الشكر فيكون باللسان بالاعتراف بالنعمة وأنها من عند الله عز وجل وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها. وأن قاسمها ومجريها وموجدها والسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله والمجري هو فهو أحق بالشكر من غيره.

وأما الشكر بالقلب: فبالاعتقاد الدائم والعقد الوثيق الشديد المنبرم أن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك.

وأما شكر الجوارح: فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق فلا تجيب أحداً من الخلق فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة بحيث تجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً وما عداها فرعاً وتابعاً ومأموماً»[1].

والثالثة: أصناف الشاكرين. وقد جعلهم ثلاثة أصناف:

الأولى: من وصفهم بالعالَمِين وهم السواد الأعظم من العباد وشكرهم يكون من جملة أقوالهم.

---

(١) فتوح الغيب للجيلاني مقالة ٥٩ (ص١٣٤).

والثاني: من وصفهم بالعابدين وهم المؤمنون على وجه العموم والمباشرون للعبادات المفروضة عليهم فشكرهم يكون نوعاً من أفعالهم.

والثالث: من وصفهم بالعارفين وهم المقربون وشكرهم باستقامتهم لله عز وجل في سائر أحوالهم. واعتقادهم أن جميع ما هم فيه من الخير وما يظهر منهم من الطاعة والعبودية والذكر لله عز وجل بتوفيقه سبحانه[1].

وهذا يتطابق تماماً مع ما ذكره علماء السلف ومنهم ابن القيم ـ رحمه الله ـ الذي يرى:

«أن حقيقة الشكر تظهر جلية على لسان العبد ثناءاً واعترافاً وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة وأنه مبني على خمس قواعد:

١ـ خضوع الشاكر للمنعم تبارك وتعالى.

٢ـ حبه له فإن المنعم محبوب لما يتفضل به على المنعَم عليه.

٣ـ اعترافه بنعمته عليه.

٤ـ ثناؤه عليه بها.

٥ـ ألا يستعملها فيما يكره.

وكل من تكلم عن الشكر أو قسّمه فإنما يرجع في كلامه إلى هذه القواعد الخمس»[2].

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٤).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٤٢) بتصرف يسير.

المبحث الخامس

الصبر

هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾[(١)] مع دعائه في رفع الضر عنه بقوله: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)] فعلم أن العبد إذا دعا الله في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره[(٣)].

وعندما تحدث الشيخ عبدالقادر الجيلاني عن الصبر لم يتعرض لتعريفه ولكنه تحدث عن:

١ـ أدلة مشروعيته.

٢ـ أنواعه.

٣ـ أصناف الصابرين.

٤ـ أقسام الصبر.

فعن أدلة مشروعيته يقول ـ رحمه الله ـ:

«الأصل في مشروعية الصبر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[(٤)]. وقوله تعالى:

---

(١) سورة ص، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٣) التعريفات للجرجاني (١٧٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[١]. وقوله ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[٢][٣].

أما أنواع الصبر فقد ذكر الشيخ عبدالقادر أنه على ثلاثة أضرب:

«الأول: صبر لله عز وجل وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه.

الثاني: صبر مع الله وهو الصبر على جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

الثالث: صبر على الله وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والنصر والثواب في الدار الآخرة»[٤].

وهذه الثلاثة أنواع تنتظم جميع أوجه الصبر:

فالأول يشمل الصبر على ممارسة الطاعات والقيام بالفرائض والواجبات لما فيها من المشقة واللزوم بالمحافظة عليها طيلة عمر الإنسان كالصلوات الخمس وأداء الزكاة عند توفر شروطها وصيام رمضان وأداء الحج وبقية أوامر الله عز وجل التي لا يمكن أن يقوم بها العبد إلاَّ إذا كان متسلحاً بالصبر قائماً على نفسه بالمجاهدة.

كما يشتمل الصبر عن محارم الله والتي غالباً ما يكون لدى الإنسان ميل غريزي للوقوع فيها باعتبارها من الشهوات المحببة إلى النفوس ولكن المسلم يمتنع عنها ويصبر على ذلك رجاء ما أعدَّ الله له من الثواب وخشية ما توعَّده من العقاب.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.
(٢) رواه البخاري ح (١٣٠٢). ومسلم ح (٩٢٦).
(٣) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٥).
(٤) المصدر السابق (٢/ ١٩٥).

أما النوع الثاني فإنه يتعلق بالصبر على أقدار الله المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان وتجري عليه بها أحكام مولاه وخالقه عز وجل وفيها ما يكون مؤلماً كالموت والفقر والمرض ولكن المؤمن الصابر يتلقى تلك الأقضية والأقدار بنفس مطمئنة صابراً محتسباً موقناً بأن الله سوف يكتب له الأجر الجزيل إذا صبر على هذا البلاء واحتسبه عند الله سبحانه.

والنوع الثالث وهو ما عبَّر عنه الشيخ عبدالقادر الجيلاني بالصبر على الله ويعني به انتظار ما وعد الله به من تحقيق الكفاية والإعانة والنصر والتمكين للمؤمن في الدنيا والثواب والجزاء العظيم في الآخرة.

وهذا التقسيم الذي ذهب إليه الشيخ الجيلاني اجتهادي يوافقه في بعضه بعض أهل العلم ويزيدون عليه أو ينقصون.

فهذا ابن القيم ـ رحمه الله ـ يجعل الصبر على ثلاثة أنواع:

١ـ صبر على طاعة الله عز وجل.

٢ـ وصبر عن معصيته سبحانه.

٣ـ وصبر على أقداره تعالى.

ثم يجعله ثلاثة مراتب:

الأولى: الصبر بالله أي بالاستعانة به سبحانه كما قال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾(١).

الثانية: الصبر لله وهو أن يكون الباعث له على الصبر إرادة وجه الله سبحانه والرغبة في ثوابه والتقرب إليه.

الثالثة: الصبر على الله: وهو أن يدور العبد مع مراد الله الديني وأحكامه

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

الشرعية صابراً محتسباً سائراً بسيرها مقيماً بإقامتها يتوجه معها أين توجهت ركائبها وينزل معها أين استقلت مضاربها»[١].

وعن أصناف الصابرين يرى الشيخ عبدالقادر الجيلاني أنهم:

«**ثلاثة أصناف: متصبر وصابر وصبار**»[٢].

لكن ابن القيم رحمه الله يجعلهم:

«خمسة أصناف: صابر، ومصطبر، ومتصبر، وصبور، وصبار.

فالصابر: أعمها، والمصطبر المكتسب الصبر المليء به، والمتصبر: المتكلف حامل نفسه عليه، والصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبَّار الكثير الصبر. فهذا في القدر والكم والذي قبله في الوصف والكيف»[٣].

وأخيراً فإن الشيخ عبدالقادر الجيلاني عند تمييزه للصبر يرى أنه على قسمين:

«**أحدهما: صبر على ما هو كسب للعبد من فعل أوامر الله وترك نواهيه.**

والثاني: صبر على ما ليس بكسب له مما يقدره الله عليه من قضاء فيه مشقة وألم فيصبر على ذلك»[٤].

وهذان القسمان داخلان في الأقسام الأولى أو أنهما تفريع عنها.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٢). بتصرف يسير.
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٥).
(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٥٨).
(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٥).

وبالجملة فإن معاني الصبر تكاد تكون محصورة في الصبر على أداء الواجبات وترك المنهيات والرضى بالمقدورات وهو واضح في كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ كما تقدم.

المبحث السادس

الرضا

وهو سرور القلب بمر القضاء[١].

وهو مماأجمع العلماء على أنه مستحب واختلفوا في وجوبه. والأصل في مشروعيته واستحبابه عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني قول الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾[٣]. وقوله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله عز وجل رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً**»[٤]»[٥].

وأقوال أهل السلوك من المتصوفة في الرضا كثيرة وهي في مجموعها تعني أن العبد الراضي هو الذي يتلقى أحكام الله عز وجل وأقضيته بالتسليم وعدم إظهار الاعتراض لما يجري من أفعال الرب عز وجل وهذا هو خلق المؤمن عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث يقول:

«**فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له. وقضاء الله ـ عز وجل ـ خير من قضاء المرء لنفسه وما قضاه الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب فاتق الله تعالى**

---

(١) التعريفات للجرجاني (١٤٨).

(٢) سور: المائدة ١١٩، والتوبة ١١٠، والمجادلة ٢٢، والبينة ٨.

(٣) سورة التوبة، ٢١.

(٤) رواه مسلم ح (٣٤).

(٥) الغنية للجيلاني (٣/١٩٦).

وارض بقضائه، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[1] **يعني ما فيه صلاح دينكم ودنياكم فالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهي والتسليم في المقدور والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم في الجملة واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه ويرضى بما قسم الله له ولا يتهمه»**[2].

ولا شك أن للرضا مردوداً عظيماً على النفس البشرية وإدخال عامل السرور والأنس عليها؛ لأن العبدحين يرضى ويسلم لاختيار المولى ـ تبارك وتعالى ـ لعلمه بأن ما يختاره الله هو خير له في كل الأحوال والظروف ينعكس هذا الرضا على الإنسان فيشعر بالراحة ويحس بالاطمئنان ويزول عنه القلق والتسخط والتعب والاضطراب وفي هذا المعنى يقول الشيخ الجيلاني:

«واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته للقدر المقدور وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء فكل من رضى بالقضاء استراح وكل من لم يرض به طالت شقوته وتعبه ولاينال من الدينا إلاَّ ما قسم له»[3].

وعن أسباب عدم الرضابأقدار الله يؤكد الشيخ عبدالقادر الجيلاني بأن السبب الوحيد هو اتباع الهوى فيقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٩٧).

«فما دام هواه متَّبعاً قاضياً عليه فهو غير راض بالقضاء لأن الهوى منازع للحق ـ عز وجل ـ فتعبه متكاثف متزايد فاستجلاب الراحة في مخالفة الهوى. لأن فيه الرضا بالقضاء بلا بُدّ، واستجلاب التعب والنصب في موافقة الهوى لأن فيه منازعة الحق عز وجل بلا بُدّ فلا كان الهوى وإذا كان فلا كنا»(١).

أما عن نوعية الرضا وهل هو من الأحوال أو من المقامات، فقد سبق أن ذكرت التداخل والتلازم بينهما في مقدمة هذا الفصل غير أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني يذكر اختلاف أهل العلم والمتصوفة فيه فيقول:

«قال أهل العراق هو من جملة الأحوال وليس هو كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال، ثم تحول وتزول ويأتي غيرها.

وقال الخراسانيون: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل حتى يئول إلى غاية ما يتوصل إليه العبد باكتسابه»(٢).

إلاَّ أن الشيخ عبدالقادر يرى أن الجمع بينهما ممكن بأن يقال:

«بداية الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وهي ليست مكتسبة»(٣).

وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذا الاختلاف فقال:

«وهذه مسألة اختلف فيها أرباب السلوك على ثلاث فرق

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٧).
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٧).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٩٧).

فالخراسانيون قالوا: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل، فعلى هذا يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

والعراقيون قالوا: هو من جملة الأحوال وليس كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

والفرق بين المقامات والأحوال أن المقامات عندهم من المكاسب والأحوال مجرد المواهب.

وحكمت فرقة ثالثة منهم القشيري صاحب الرسالة وغيره فقالوا: يمكن الجمع بينهما بأن يقال بداية الرضا مكتسبة للصبر وهو من جملة المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست مكتسبة فأوله مقام ونهايته حال»[1].

ثم يحقق المسألة فيقول ـ رحمه الله ـ:

«والتحقيق في المسألة أن الرضا كسبي باعتبار سببه موهبي باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه فإذا تمكن في أسبابه وغرس شجرته اجتنىٰ منها ثمرة الرضا، فإن الرضا آخر التوكل فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض جُعِلَ له الرضا ولابد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له وصعوبته عليها، لم يوجبه الله على خلقه رحمة بهم وتخفيفاً عنهم لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم الذي هو أعظم وأكبر وأجلّ من الجنان وما فيها. فمن رضي عن ربه رضي الله عنه، بل رضى العبد عن الله من نتائج رضى الله عنه فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده رضاً قبله أوجب له أن يرضىٰ

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧١).

عنه، ورضى بعده هو ثمرة رضاه عنه ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العارفين وحياة المحبين ونعيم العابدين وقرة عيون المشتاقين»[١].

والرضا مما أجمع العلماء على استحبابه واختلفوا في وجوبه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ممن يذهب إلى القول باستحبابه حيث يقول رحمه الله:

«ولم يجيء الأمر به كما جاء بالصبر وإنما جاء بالثناء على أصحابه ومدحهم»[٢].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧٣).
(٢) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٠).

المبحث السابع

الصــــدق

وهو في اللغة مطابقة الحكم للواقع.

وفي اصطلاح المتصوفة وعند الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو: قول الحق في مواطن الهلاك وقيل: هو أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلاّ الكذب. وقيل: ألا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب[(١)].

وفيه يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«هو المنزل الأعظم والطريق الأقوم وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران وهو روح الأعمال ومحل الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال وهو أساس الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجة تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العاملين»[(٢)].

والأصل فيه عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[(٣)].

وما روي عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، أنه قال: **«عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى**

(١) التعريفات للجرجاني (١٧٤). والغنية للجيلاني (٢/ ٢٠٠).
(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٦٨).
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإيَّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(١)»(٢).

والصدق من أعلى درجات الكمال الإنساني ولا يكون الإنسان صادقاً إلاَّ إذا توفرت فيه النفس الطيبة والسريرة الصافية والنظرة السليمة والسمعة الكريمة واللسان النظيف والقلب العامر بالإيمان والشجاعة والقوة وهذا ما حصل للشيخ عبدالقادر الجيلاني حينما واجه قُطَّاع الطريق أثناء مجيئه إلى بغداد مسافراً من موطنه جيلان ـ على ما سبق بيانه عند الحديث عن مكانته العلمية ـ، فعندما سُلِبت القافلة بأسرها واجه هذا الحدث المرعب بشجاعة المؤمن وقام ببيان ما معه من النقود في صدق وثبات وحين سأله كبير اللصوص عن سبب تكلمه بالصدق في هذا الظرف الحرج قال:

«إن أمي عاهدتني على الصدق وأني لا أخون عهدها».

فبكى الرجل وقال: أنت لم تخن عهد أمك وأنا أخون عهد ربي من كذا وكذا من السنين ثم تاب الرجل وتاب أصحابه معه»(٣).

وللصدق عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني منزلة عالية فهو عماد الأمر وفي ذلك يقول:

«واعلم بأن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) رواه البخاري ح (٦٠٩٤). ومسلم ح (٢٦٠٧).

(٢) الغنية للجيلاني (٢/١٩٩).

(٣) بهجة الأسرار للشطنوطي (٨٧). وقلائد الجواهر للتادفي (٩).

ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[١]»[٢]

وقد فرّق الشيخ الجيلاني بين الصدق والصديق بقوله:

«والصادق هو الاسم اللازم من الصدق والصديق هو المبالغة منه، وهو من تكرر فيه الصدق فصار دأبه وسجيته وصار الصدق غالبه فالصدق استواء السر والعلانية والصادق هو الذي صدق في أقواله والصديق من صدق في أقواله وجميع أفعاله وأحواله»[٣].

والصدق في نظر الجيلاني ملازم للصفاء الذي يقوم عليه مذهبه في التصوف كما سبق أن أوضحنا فقد حصل منهما سببين مهمين في القرب من الله ـ عز وجل ـ يقول في ذلك:

«ياغلام عليك بالصدق والصفاء فلولاهما لم يتقرب شر إلى الله تعالى»[٤].

وهكذا يتبين اهتمام الشيخ عبدالقادر وتأكيده على أهمية التخلق والاتصاف بهذه الصفات الحميدة التي تكسب العبد سعادة الدنيا وفلاح الآخرة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٢) الغنية للجيلاني (٢/ ٢٠٠).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٢٠٠).
(٤) قلائد الجواهر للتادفي (٦١).

الفصل السـادس
الطريقة القادرية

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحـث الأول: **تأسيس الطريقة القادرية**

المبحـث الثاني: **الجانب النظري للطريقة القادرية**

المبحـث الثالث: **الجانب العملي للطريقة القادرية**

المبحث الأول

تأسيس الطريقة القادرية

الطريقة في اللغة السيرة وطريقة الرجل مذهبه يقال مازال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة وفلان حسن الطريقة. والطريقة الحال يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة[١].

وفي اصطلاح المتصوفة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات[٢].

وعند أبي طالب المكي: أنها بمعنى السنة المباركة فيقال عند الصوفية طريق وطريقة وسنن وسنة وحجة ومحجة[٣].

وقيل: هي التقلل من الدنيا في كل شيء والقناعة من الله بأدنى شيء والتواضع لله في كل شيء[٤].

والطريقة القادرية سميت بذلك لانتسابها إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي يعتبر المؤسس الأول لها خصوصاً بشكلها الجماعي والمنظم والقائم على جمع المريدين وربطهم بمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم حيث كان التصوف يقوم على أساس فردي لا أثر للتجمع فيه.

وقد كنت أظن أن الطريقة القادرية إنما قام بإحداثها ووضع أسسها

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٢٢١). ومختار الصحاح للرازي (١٦٤).
(٢) معجم اصطلاحات الصوفية لعبدالرزاق الكاشاني (ص٨٥).
(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢/ ٢٨٢).
(٤) معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن شرقاوي (ص٢٠٠).

أتباعه ولكن الحقيقة التاريخية والآثار العلمية التي بين يدي تثبت أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني هو المؤسس الأول لهذه الطريقة وهو الذي وضع مبادئها وأسسها يقول في كتاب الغنية:

«ويجب على المبتدىء في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح»(١).

والذي يبدو لي أن تأسيس الطرق الصوفية لم يكن أمراً مستقبحاً في زمانه بحيث ينفر منها هو أو غيره من الناس بل كانت أمراً سائغاً ومشهوراً عند الناس.

لكنني حينما أقارن بين ما سبق دراسته من آرائه الاعتقادية والتي تتطابق تماماً مع عقيدة السلف من أهل السنة والجماعة وبين اتجاهه الصوفي أقع في شيء من الحيرة إذ لماذا لم يسلك ـ رحمه الله ـ مسالك العلماء من أهل السنة والجماعة في زمانه والذين قاموا بالدعوة إلى الله وخدمة دينه بتعليم الناس الخير وتحذيرهم من الشر دون الحاجة إلى تأسيس مثل هذه الطريقة.

ولعله لاحظ إقبال الناس في عصره على العلم مع التهاون وعدم الاهتمام بالعمل فاجتهد رحمه الله لتربيتهم على العمل بما علموه ورأى أن ذلك لا يتحقق إلاّ من خلال طريقة تنتظم طلابه وأتباعه ليتسنى له تربيتهم على الزهد والتواضع ونحو ذلك من الأخلاق الإسلامية.

ورغم تقدم ظهور التصوف في الأمة إلاّ أنه لم يظهر في شكل منظم تحت طريقة واحدة إلاّ في عهد الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

---

(١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٣).

والمتتبع لظهور الطرق الأخرى يرى أنها جميعها إنما ظهرت بعد الشيخ عبدالقادر الجيلاني.

والطريقة القادرية لها جانبان:

الأول: جانب نظري يؤكد فيه الشيخ عبدالقادر على الإتباع وعدم الابتداع ويوصي فيه أتباعه بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

والثاني: جانب عملي تظهر عليه ملامح الابتداع والانحراف عن الكتاب والسنة. وهذا ما سنوضحه في المبحث الثاني والثالث الآتيين:

المبحث الثاني

الجانب النظري للطريقة القادرية

الجانب النظري هو عبارة عن التوجيهات والوصايا التي وصَّىٰ بها الشيخ عبدالقادر الجيلاني أتباعه والتي يظهر فيها الحرص على الاتباع والتمسك بالكتاب والسنة والالتزام بالأخلاق الحميدة.

والمطلع على هذا الجانب يجزم بأن قائلها لا يكن أن يضع أوراداً أو أذكاراً أو عبادات لم ترد في الكتاب والسنة ثم يأمر أتباعه بالالتزام بها، وفيما يلي عرض لأبرز معالم الجانب النظري لهذه الطريقة:

أولاً: التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة يقول رحمه الله وهو يوجِّه وصيته إلى ولده عبدالرزاق:

«أوصيك بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، وتعلم ياولدي وفقنا الله وإياك والمسلمين أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان»[1].

ويقول في موضع آخر:

«أدخل الظلمة بالمصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فإن خطر

---

(١) الفيوضات الربانية/ جمع وترتيب إسماعيل القادري (٣٩).

خاطر[١] أو جدَّ إلهام[٢] فاعرضه على الكتاب والسنة فإن وجدت فيهما تحريم ذلك مثل أن تلهم الزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به واقطع بأنه من الشيطان اللعين»[٣].

وكأنه ـ رحمه الله ـ يبطل ما شاع عند المتصوفة من أن الكشف والإلهام والخاطر يمكن التعبد به أو تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرَّم بموجبه كما يدعي ذلك ابن عربي في فتوحاته بقوله:

«واعلم أن جميع ما أكتبه من تأليفي ليس هو عن روية وفكر وإنما هو عن نفث في روعي على يد ملك الإلهام»[٤].

ومن تركيز الشيخ الجيلاني على أهمية التمسك بالكتاب والسنة أن جعلهما المقياس في ربط العلاقات الشخصية بالآخرين بقوله:

«إذا وجدت في نفسك بغض شخص أو حبه فاعرضه على الكتاب والسنة ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله»[٥].

---

(١) الخاطر ما يرد على القلب من الخطاب وهو أربعة أقسام: رباني وهو أول الخواطر ولا يخطىء أبداً. وملكي: وهو الباعث على مندوب أو مفروض. ونفساني: وهو ما فيه خط النفس ويسمى هاجساً. وشيطاني: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق.
التعريفات للجرجاني (١٢٩).

(٢) الإلهام: ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلاَّ عند الصوفيين.
المرجع السابق (٥١).

(٣) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة العاشرة (ص٢١).

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي (١/ ١٣٦).

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ١٠٨).

ثانياً: خلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره نتيجة ترجمة المعارف اليونانية وتأثيرها على العقول والأفهام، حتى وقع في حبائلها كثير من المتصوفة فاستخدموا ألفاظها ومصطلحاتها مثل الهيولي[(١)] والعرض[(٢)] والجوهر[(٣)].

ثالثاً: تركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية وتجنب الإغراق في الأمور النظرية والمقدمات الجدلية العقيمة دليل ذلك ما طبقه في حياته وما ربَّى عليه أتباعه وما وضعه من أصول لطريقته التي تعتمد على سبعة أصول هي:

«المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصدق، الرضا، الصبر»[(٤)].

وقد تناولت هذه الأصول بالتفصيل في مبحث المقامات والأحوال.

رابعاً: وضعه لمجموعة من الآداب والتعاليم التي يجب أن يتعامل

---

(١) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة، وهو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية.
التعريفات للجرجاني (٣٢١).

(٢) العرض الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون الذي يحتاج في وجوده إلى جسم يحل به ويقوم به.
المصدر السابق (١٩٢).

(٣) الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو مختصر في خمسة أشياء هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل.
المصدر السابق (١٠٨).

(٤) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٢).

بها المنتسب لطريقته سواء مع النفس أو مع الشيخ أو مع الناس مما سبق الحديث عنه مفصلاً في الفصل السابق.

خامساً: تأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها والبعد عن نواهيه واجتنابها والرضا بأقدار الله والاستسلام لها. يقول ـ رحمه الله ـ:

«لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة فينبغي أن يلزم همها قلبه، ويحدث بها نفسه ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله»[١].

وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كلام الشيخ عبدالقادر هذا واستحسنه بقوله:

«هذا كلام شريف جامع يحتاج إليه كل أحد، وهو تفصيل لما يحتاج إليه العبد وهي مطابقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾[٢] ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾[٣] ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٨٦﴾[٤].

فإن التقوى تتضمن فعل المأمور وترك المحظور والصبر يتضمن الصبر على المقدور، فالثلاثة ترجع إلى هذين الأصلين، والثلاثة في

(١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الأولى (ص٦).
(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

الحقيقة ترجع إلى امتثال الأمر وهو طاعة الله ورسوله.

فحقيقة الأمر أن كل عبد فإنه محتاج في كل وقت إلى طاعة الله ورسوله وهو أن يفعل في ذلك الوقت ما أمر به في ذلك الوقت وطاعة الله ورسوله هي عبادة الله التي خلق لها الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3]. والرسل كلهم أمروا قومهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[5] ثم مضى ـ رحمه الله ـ في توجيه كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني وشرح مراده من تلك العبارات»[6].

هذه هي أهم الأسس التي أوصىٰ بها الشيخ عبدالقادر وأتباعه المنتسبين لطريقته.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
(٦) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥٦/١٠).

المبحث الثالث

الجانب العملي للطريقة القادرية

بعد أن عرضنا في المبحث السابق لمجموعة من الوصايا التي وردت عن الشيخ عبدالقادر التي يوصي فيها بمتابعة الكتاب والسنة نورد هنا الجانب الثاني والذي يمثل الجانب العملي الذي ابتدعه أو أحدثه أتباعه من بعده ثم نسبوه إليه.

أولاً : الخلوة :

تعتبر الخلوة عند الصوفية من المستلزمات الروحية للسالك في الطريق الصوفي كما يعتقدون أنها تدعيم لصدق التوبة وتثبيت للإخلاص وهي أفضل اللحظات التي يقضيها الإنسان مع ربه عز وجل وتهدف الخلوة عندهم إلى معرفة مدى استعداد الشخص للانتقال إلى المقامات والأحوال الأخرى(١).

وقد مرَّ الشيخ عبدالقادر الجيلاني في بداية تصوفه بهذه المرحلة حيث يذكر الذهبي في ترجمته لسيرة الشيخ عبدالقادر أنه لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياحة والمقام في الخراب والصحراء(٢).

وجاء أتباعه من بعده ليضيفوا على الخلوة صفة السنية وأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يمارسونها تقرباً إلى الله تعالى وأن

---

(١) انظر معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن شرقاوي (١٣٠).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٤٤٤).

الاعتكاف الثابت عن النبي ﷺ يعتبر دليلاً على مشروعيتها ووضعوا آداباً خاصة لها وقالوا إنها تكون في مكان على قدر القامة[١] لا منفذ فيه ولا يتسع لغير المختلي[٢] ولا يعلم بمكانه أحد ولا يخرج منه إلاَّ للحاجة الإنسانية وما لابد له منه وأن يراعي فيها من الآداب ما يراعى في المسجد من الطهارة والسكينة والاشتغال بالذكر واستحضار صورة الشيخ وروحانيته وطرد الأفكار والخواطر»[٣].

وقد استدلوا على الخلوة بأنها من سنن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما في قصة موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾[٤].

قال القرطبي: «وبهذا استدل علماء الصوفية على الوصال وأن أفضله أربعون يوماً»[٥].

كما استدلوا بفعل النبي ﷺ قبل البعثة أنه كان يختلي في غار حراء فقد جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: أول ما بدىء به ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء الحق وهو في غار

(١) أي ارتفاع الغرفة التي تكون فيها الخلوة على قدر قامة الرجل المتوسط الطول.
(٢) أي ضيقة لا تكاد تتسع إلاَّ لشخص واحد.
(٣) جنة المريد تأليف سيدي محمد الكنثي القادري (ص١٣٦).
(٤) سورة البقرة، الآية: ٥١.
(٥) تفسير القرطبي (١/٣٩٦).

حراء[1].

وللرد على هذا الاستدلال أقول:

أما فعل موسى عليه السلام فإنه كان خاصاً به فلم يشاركه فيه حتى أخوه هارون عليه السلام مع أنه كان نبياً كما لم يشاركه فيه كذلك أحد من قومه ولم يُشْرَعْ لأمته. ولم يُشرَعْ كذلك لنبينا محمد ﷺ فكيف يستدل به وهذا هو حاله.

قال الإمام القرطبي: «وواضح أن الأمر لموسى من الله تعالى بالمكث مدة أربعين ليلة عند الطور خاص به لما بيَّن القرآن الكريم والأخبار الصحيحة من إرادة الله تعالى لإكرامه وتكليمه وإعطائه الكتاب الذي فيه الحلال والحرام والشرائع الأخرى»[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وطائفة يجعلون الخلوة أربعين يوماً ويعظمون أمر الأربعينية ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر وقد روي أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضاً أربعين يوماً لله تعالى وخوطب بعدها فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي وهذا أيضاً غلط فإن هذه ليست من شريعة محمدﷺ بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت والمسلمون لا يسبتون وكما حرم في شرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد ﷺ فهذا تمسك بشرع منسوخ وذاك تمسك بما كان قبل النبوة وقد جُرِّب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين وحصل

---

(١) رواه البخاري ح (٣). ومسلم ح (١٦٠).
(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٤).

له تنزل شيطاني وخطاب شيطاني وبعضهم يطير به شيطانه وأعرف من هؤلاء عدداً طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل فنزلت عليهم الشياطين لأنهم خرجوا عن شريعة محمد ﷺ التي أمروا بها»[١].

أما الاستدلال بتعبد النبي ﷺ قبل البعثة فمن أعجب الأدلة. إذ أن النبي ﷺ لم يفعل ذلك بتشريع من الله عز وجل، ولم يتعبدنا الله بأفعاله قبل البعثة بل هو ﷺ لم يَعُدْ إلى مثل ذلك بعد البعثة فكيف يستجيز أحد أن يتعبد به من تلقاء نفسه.

وأما بعد أن أكرمه الله عز وجل بالإسلام فقد كانت توجيهاته وأوامره ﷺ تخالف تلك العادة التي عاشها قبل الإسلام.

ومن ذلك نهيه ﷺ عن الوحدة والانفراد لماكشفه الله عز وجل له من خطورتها على الإنسان.

قال ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده**»[٢]. وهذا الحديث وإن كان في النهي عن السفر دون رفيق إلاّ أن معناه يشمل الخلوة أيضاً.

وقد بوّب الإمام النووي في رياض الصالحين باباً في فضل الخلطة فقال:

«باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/٢٤٨).

(٢) رواه البخاري ح (٢٩٩٨).

ومواساة محتاجهم وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى».

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

«واعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[١] والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة معلومة»[٢].

وقد رد شيخ الإسلام على استدلالهم بفعل النبي ﷺ قبل البعثة فقال: «وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه بغار حراء قبل الوحي وهذا خطأ فإن ما فعله قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلا فلا وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون وقد أقام صلوات الله عليه بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة ودخل مكة في عمرة القضاء وعام الفتح أقام بها قريباً من عشرين ليلة وأتاها في حجة الوداع وأقام بها أربع ليال وغار حراء قريب منه ولم يقصده»[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) رياض الصالحين (٢٣٤).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤/ ٢٤٧).

وأما استدلالهم باعتكاف النبي ﷺ فإنه صلوات الله وسلامه عليه شرع الاعتكاف لأمته ليحافظوا على العبادة ويتفرغوا لها وينقطعوا عن الشواغل والصوارف الأخرى، وذلك في بيوت الله عز وجل التي أُقيمت للعبادة، ولم يشرعه لتضييع الجمع والجماعات وضياع الحقوق والواجبات كماهو الواقع في الخلوات الصوفية فقد كان يجتمع بالناس في حال الاعتكاف في حضور الجماعة والجمعة ومجالس الذكر. ولم يسمه ﷺ خلوة ولم يقل إنه لا يصح إلاَّ في مكان مظلم على طول قامة الرجل لا منفذ فيه وأنه مبني على الكتمان وأنه من الأسرار إلى غير ذلك من الشروط التي يشترطها المتصوفة في خلوتهم.

وأيضاً فقد ترتب على تلك الخلوات المبتدعة أنواع كثيرة من الشرور والمفاسد أهمها تضييع فرائض الجمع والجماعات والتعبد في أماكن لم يرد الدليل الشرعي بالتعبد فيها كالقبور والكهوف والصحاري.

ثانياً : الركعات القادرية :

وهي من أساسيات ورد القادرية وقد ورد فضلها والحث عليها عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني حيث عقد فصلاً بعنوان: «فصل في فضل الصلاة بين العشائين» ثم ساق حديثاً ضعيفاً رواه الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن عدلن بعبادة اثنتي عشرة سنة»**.

وهذا الحديث رواه الترمذي ح (١٣٦٤) وابن ماجة ح(٣٩٩). وقال عنه الألباني: ضعيف جدًا ح (٥٦٦١) ضعيف الجامع للسيوطي. وعلى هذا فلا وجه بالاستدلال به على مشروعية تلك الصلاة مادام على هذه الدرجة من الضعف.

ومعلوم أن الشيخ عبدالقادر رحمه الله ليس ممن تصدى لنقل السنة وتحرِّى الصحة في كتبه بل قد توسَّع كثيراً غفر الله له حتى نقل الموضوعات وعمل بها ظناً منه أنها صحيحة، وقد بيَّنت ذلك بالتفصيل في فصل البدعة من الباب الثاني.

لكن أصحابه الذين جاءوا من بعده اعتمدوا هذه الصلاة واعتبروها واجبة كالفريضة ينبغي لمن فاتته أن يقضيها كما يقضي الفريضة.

يقول الشيخ المختار أحمد الكتني القادري[١] وقد سُئِلَ عن حكم هذه الركعات:

«وأما قولك: هل لمن عدم الماء وكان حاضراً صحيحاً التيمم لركعات الورد كالفرائض؟ فالجواب: أن حكم أوراد السلف حكم الفرائض لأنها فرائض بالالتزام والعهود والنذور.

وأما قولك: هل على من فاته وقت الورد إعادته أم لا؟ فالجواب: أنه يجب عليه إعادته إذ حكمه حكم الفريضة»[٢].

والقول بوجوب قضاء تلك الركعات لم أجده في شيء من كتب الشيخ الجيلاني وإنما أحدثه أتباعه من بعده ثم جعلوه ورداً رئيسياً من أوراد طريقتهم.

---

(١) المختار أحمد الكتني القادري ولد سنة ١١٤٢ في مدينة تمبلتو في مالي وطلب العلم حتى برع فيه وكان من مشايخ طريقة القادرية بموريتانيا، توفي سنة ١٢٢٦هـ.
القادرية في موريتانيا، رسالة ماجستير لمحمد الداه أحمد (ص٢١٩).

(٢) الكوكب الوقاد، المختار الكتني (ص١٢٧).

ثالثاً : حزب المحّ :

هذا حزب نسبه إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني مؤلف كتاب الأوراد القادرية وزعم أنه ورد عن الشيخ عبدالقادر وهو:

«بسم الله الرحمن اللهم محاً محاً محاً وحا بحا حم لا ينصرون ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾[1] كهيعص حم عسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون يارب ثلاثاً ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم».

وهذا الحزب من الأوراد الرئيسية عند القادريين يزعمون «أن من قرأه صباحاً ومساءاً ثلاث مرات لا يضره شيء بإذن الله تعالى»[2].

هذا الورد لم يرد في شيء من كتب الشيخ عبدالقادر الجيلاني وإنما نسبه إليه صاحب الأوراد القادرية.

وأنا على يقين أن ذلك لا يصح عنه رحمه الله.

ثم إن ألفاظ هذا الورد أشبه بالطلاسم منه بالذكر والأذكار التي لا يعرف معناها لا يصح أن يطلق عليها أذكاراً.

وأيضاً فإن دعوى الثواب الحاصل لمن قرأ هذا الورد من الافتراء على الله عز وجل، إذ لا يعرف مقادير الأعمال وثوابها إلاّ الله تعالى وتقديرنا في ثواب الأعمال عمل لم يرد به الشرع من الكذب والافتراء.

---

(١) سورة يس، الآية: ٩.
(٢) الأوراد القادرية (ص٢١).

رابعاً : صلوات الكبريت الأحمر :

أورد صاحب الأوراد القادرية ذكراً يشتمل على الصلاة على النبي ﷺ سماها صلوات الكبريت الأحمر وقدنسبها إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني وهي:

«اللهم اجعل أفضل صلواتك أبداً وأنمى بركاتك سرمداً وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً على أشرف الخلائق الإنسانية ومعدن الدقائق الإيمانية وطور التجليات الإحسانية ومهبط الأسرار الرحمانية وعروس المملكة الربانية شاهد أسرار الأزل ومشاهد أنوار السوابق الأُوَلْ وترجمان لسان القدم ومنبع العلم والحِلم والحكِم مظهر سر الوجود الجزئي والكلي وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي روح جسد الكونين وعين حياة الدارين، الجوهر الشريف الأبدي والنور القديم السرمدي المحمود في الإيجاد والوجود الفاتح لكل شاهد ومشهود نور كل شيء وهداه، سر كل سر وسناه الذي شغفت منه الأسرار وانفلقت منه الأنوار»[1].

هذا الورد من الأوراد المنكرة الذي لم أعثر عليه في شيء من كتب الشيخ عبدالقادر وبالتالي لا يمكن قبول نسبته إليه وذلك لاشتماله على ألفاظ ومعان باطلة نوجز الكلام عليها فيما يلي:

١ـ توجد عبارات غامضة لا يعرف المراد منها مثل قوله: «معدن الدقائق الإيمانية» و«طور التجليات الإحسانية» و«مشاهد أنوار السوابق الأُوَلْ».

٢ـ عبارات أهل وحدة الوجود مثل: «مظهر سر الوجود الجزئي والكلي» و«إنسان عين الوجود العلوي والسفلي» و«روح جسد الكونين» و«عين حياة الدارين».

---

(١) الأوراد القادرية ص٢٦.

٣ـ عبارات فاسقة مثل: «عروس المملكة الربانية» فهل يليق أن يسمى سيد البشر ﷺ «عروس المملكة الربانية».

٤ـ دعاوى كاذبة مثل: «شاهد أسرار الأزل» و«الجوهر الشريف الأبدي» و«النور القديم السرمدي».

٥ـ إطلاق أوصاف الربوبية عليه ﷺ مثل: «الفاتح لكل شاهد ومشهود» و«نور كل شيء» و«هداه سر كل سر» و«سناه الذي شغفت منه الأسرار وانغلقت منه الأنوار».

أما الصلاة على نبينا ﷺ فقد أخبرنا هو صلوات الله وسلامه عليه كيف نصلي عليه وإحداث صلاة أخرى بدلاً عنها أو معها بدعة وضلالة.

فقد ورد في الصحيحين عن عبدالرحمن بن أبي ليلى[1] قال: لقيني كعب بن عجرة[2] فقال: ألاَ أهدي إليك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى. فأهدها لي. فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يارسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[3].

---

(١) عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري شهد أحداً مع النبي ﷺ ومعه ولده عبدالرحمن وقد اشتبه اسمه باسم ولده عند بعض النسابة.
الإصابة لابن حجر (٤/ ١٨١).

(٢) كعب بن عجرة الأنصاري: من أهل بيعة الرضوان، روى عدة أحاديث ومات سنة ٥٢هـ.
سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٥٢).

(٣) رواه البخاري ح (٣٣٧٠). ومسلم ح (٤٠٦).

وتتأكد مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في المواطن التالية:
- في الصلاة من التشهد الأخير وقبل السلام.
- قبل الدعاء وآخره.
- عند ذكر اسمه الشريف ﷺ.
- يوم الجمعة وليلتها.

خامساً: حزب الألِف القائم:

هذا الدعاء نسبه صاحب كتاب الأوراد القادرية إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني ونصه:

«اللهم إني أسألك بالألِف القائم الذي ليس مثله سابق وباللامين اللذين لمعت بهما الأسرار وجعلتهما بين العقل والروح وأخذت عليهما العهد الواثق، وبالهاء المحيط بالعلوم الحوامد المتحرك الصوامت والنواطق وأسألك الوصل بالسر الذي تذهل منه العقول فهو من قربه ذُهِلَ أيتنوخ أملوخ مهياش مهياش إلخ...»[1].

هذا شبيه بالدعاء المتقدم في ورد الصلاة على النبي ﷺ فقد تضمن ألفاظاً غريبة لا ندري ما معناها كما أنه تضمن دعاوي باطلة في الحروف الهجائية وألفاظاً لا معنى لها.

ولا ندري لماذا تترك الأذكار المشروعة على لسان سيد البشر ﷺ إلى أمثال هذه الأذكار المبتدعة.

ولما سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية عن دعاءٍ مثل هذا بل لا مقارنة بينه وبين هذا من حيث الألفاظ والمعاني وهو قول الرجل في جوفه إذا صلى: بسم الله بابنا تبارك حيطاننا يس سقفنا فأجاب:

---

(١) الأوراد القادرية (ص٧٨).

«هذا الدعاء المسئول عنه ليس بمأثور والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة فإن الدعاء من أفضل العبادات وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شُرع وسن كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره وإن كان من أحزاب بعض المشايخ الأحسن له ألاَّ يفوته الأكمل والأفضل وهي الأدعية النبوية فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك وإن قالها بعض الشيوخ فكيف يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ ويدع الأحزاب التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق وحجة الله على عباده والله أعلم»[١].

سادساً: ذكر الله عزوجل بلفظ الجلالة المفرد: «الله» أو بالضمير «هو»:

والطريقة القادرية كغيرها من الطرق الصوفية يمارسون ذكر الله عز وجل بصيغة الإفراد للفظ الجلالة، وذلك بتكرارها أو بتكرار الضمير: «هو». قال صاحب «الضياء المستبين: «إن الله تعالى أمر بذكره بهذا اللفظ الله ولم يقيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ بهم عالم الدنيا»[٢].

وهذه الصيغة كذلك من الأذكار المبتدعة التي أحدثها أتباعه في الطريقة فإنه لم ينقل عنه ـ رحمه الله ـ أنه كان يذكر الله عز وجل بها أو وصى بها. ولم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه فعل ذلك ممن هم الخاصة من عباد الله الذين حفظ الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٥٢٥).

(٢) الضياء المستبين لمحمد فاضل الحبيب (ص١٥٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«الاسم المفرد لا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض بل ولا أهل السماء، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً، أو كان المقصود به تنبيهاً، وإشارة كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى لا أنه تقصد به المعاني التي تقصد بالكلام ولهذا عدَّ الناس من البدع ما يفعله بعض النساك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام فإن النبي ﷺ قال: «**أفضل الذكر لا إله إلاَّ الله وأفضل الدعاء الحمد لله والله أكبر**»[١]، وقال: «**أفضل الدعاء ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[٢]. وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أمته ذكر الله تعالى بالجمل التامة مثل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر وقال: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر**»[٣].

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس وغربت**»[٤]، وقال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلاَّ الله دخل**

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات ح (٣٣٨). وورواه ابن ماجة ح (٣٨٠٠). وورواه ابن حبان ح (٢٣٢٦). والحاكم (٤٩٨١). وحسَّنه الترمذي والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٤٩٧).

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ح (٤٩٩). وهو مرسل صحيح الإسناد والترمذي ح (٣٥٧٩) وفي سنده محمد بن أبي حميد وهو ضعيف لكن رواية مالك ترفعه إلى درجة الحسن كما قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٥٠٣) وقال عنه ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت ولا أحفظه بهذا الإسناد مسنداً من وجه يحتج بمثله. (التمهيد ٦/ ٣٩).

(٣) رواه مسلم ح (٢١٣٧).

(٤) رواه مسلم ح (٢٦٩٦).

الجنة»[١] ومثال ذلك. فظنَّ طائفة من الناس أن ذكر الاسم المفرد مشروع بل ظنه بعضهم أفضل في حق الخاصة من قول لا إله إلاَّ الله ونحوها»[٢].

ويقول أيضاً في موضع آخر: «ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾[٣] من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم الله مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم (الله) مبتدأ خبره قد دلَّ عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال من جاءك فتقول: زيد.

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ ولا يعطي بنفسه معرفة مقيدة ولا حالاً نافعاً وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات.

فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلاَّ لم يكن

---

(١) رواه أبوداود ح (٣١١٦) وأحمد في المسند (٥/ ٢٣٣). والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥١). وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الرد على المنطقيين لابن تيمية (٣٥).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

فيه فائدة والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره.

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ«هو» في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد».

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«والذكر بالاسم المضمر أو المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى ضلال الشيطان فإن من قال: يا هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلاَّ إلى مايصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل».

ثم يختم بقوله:

«والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية.

وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»[1].

وجملة القول أن التعبد بالذكر بالاسم أو المضمر لا دليل عليه من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال علماء الأمة بل عَدُّوه كما تقدم من البدع والضلالات.

---

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٣ـ٨٢).

سابعاً : المحافظة على الصلوات المخصصة لأيام وليالي الأسبوع وشهر رجب وشعبان وغيرها مما ذكرناه بالتفصيل في الفصل الخامس من الباب الثاني الخاص بالبدعة.

وأخيراً هذه هي الطريقة القادرية بجانبيها النظري والعملي وقد رأينا كيف أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني قد أكدَّ على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ثم كيف ابتعد أتباعه عن هذا المنهج ولم يتمسكوا ويعتمدوا في طريقتهم على شيء من الكتاب والسنة مما يجعل الانتساب إليه شيء غير مقبول. والله أعلم.

الخاتمة

أحمد الله حمداً كثيراً على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث وجمع شتات قضاياه ومسائله والتنقيب عنها في بطون الكتب مع التوضيح والمقارنة والعرض والنقد.

وقد كان من توفيق الله أن توصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج التي تبين حقيقة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ وتتلخص فيما يلي:

أولاً: أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني سلفي العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة في جميع قضايا العقيدة كمسائل الإيمان والتوحيد والنبوات واليوم الآخر كما أنه يقرر وجوب طاعة ولاة الأمور وعدم جواز الخروج عليهم لما في ذلك من .

ثانياً: أنه من مشايخ الصوفية في مراحلها الأولى وبمفهومها المعتدل والأقرب إلى السنة والتي تعتمد في الغالب على الكتاب والسنة مع التركيز على أعمال القلوب.

ثالثا: أنه ـ رحمه الله ـ وبالنظر إلى تلقيه علوم التصوف من مشايخ يفتقرون إلى العلم المعتمد على الكتاب والسنة أمثال شيخه الدباس الذي كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب فقد وقع ـ رحمه الله ـ في بعض الشطحات ومارس بعض البدع في العبادات ولكن هذه الهفوات مغمورة في بحر حسناته، والعصمة ليست إلاَّ للأنبياء وغيرهم معرض للخطأ وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث.

رابعاً: أن معظم مانسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني من الكرامات مبالغ فيه وبعضها غير صحيح، وما يمكن قبوله منها فهو إما

من باب الفراسة أو من باب الكرامات التي يقول أهل السنة والجماعة بجواز وقوعها بالضوابط الشرعية الموضحة في ثنايا الرسالة.

خامساً: أن كلمة التصوف مجهولة الاشتقاق لم يتفق على أصل لها ولا مصدر حتى عند المتصوفة أنفسهم.

وأيضاً فإن المنهج الصوفي كما رأينا مملوء بالضلالات والانحرافات وما كان فيه من الفضائل والمحاسن فهي أصلاً موجودة في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ.

لذا فإن الأبرأ للذمة والأدرأ للمفاسد والابتداع والأبعد عن الفتنة والافتراق نبذ هذا المسمى اسماً ورسماً، إذ لو كان معتمداً على الكتاب والسنة فما وجه استقلاليته بهذا الاسم الذي لا يعرف حتى أكابر القوم من أين أتى وما مصدره. وإذا كنا قد عجزنا عن محاكمة التاريخ الذي اصطلح عبر قرون عديدة على استعمال هذه اللفظة وكنا عاجزين أيضاً عن إيقاف استمرار استخدام هذا المصطلح في المستقبل فلن نكون عاجزين عن الصدع بالحق والدعوة إلى نبذ هذا الاسم وما انطوى عليه من الانحرافات.

ولن نكون مخطئين حينما ندعوا الأمة إلى جمع كلمتها وتقوية وحدتها بصدق عودتها إلى كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وترك الفرقة والخلاف والتسمي بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان مما لا يصر عليه ولا يركن إليه إلاَّ جاهل أو صاحب هوى.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي والله أسأل أن يعفو عن زللي وأن يغفر لي خطئي وأن ينفعني بما كتبت يوم فقري وحاجتي. ورحم الله الشيخ عبدالقادر الجيلاني ورفع درجته في الخالدين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

الفهـــــارس

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

١ـ الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق بشير عون، الطبعة الثالثة، دمشق، دار البيان ١٤١١ هـ.
٢ـ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبو يعلى الفراء، الطبعة الأولى، مكتبة الإمام الذهبي ١٤١٠ هـ.
٣ـ اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية ١٤٠٨ هـ.
٤ـ أحكام أهل الملل، أحمد بن محمد الخلال، تحقيق سيد كردي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤ هـ.
٥ـ أدب الطلب ومنتهى الأرب، الشوكاني، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض.
٦ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، تحقيق أسعد تميم، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٧ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩ـ أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠ هـ.
١٠ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض ١٤٠٣ هـ.

١١ـ الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠ م.
١٢ـ أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي، من مطبوعات دار الإفتاء ١٣٩٩ هـ.
١٣ـ الاعتصام، إبراهم بن موسى الشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، الخبر ١٤١٢ هـ.
١٤ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ترتيب محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤ هـ.
١٥ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨١ هـ.
١٦ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق عصام فارس ومحمد الزغلي.
١٧ـ الأوراد القادرية، جمع محمد سالم بواب، الطبعة الثانية، دار الألباب، دمشق ١٤١٣ هـ.
١٨ـ أهوال القبور، ابن رجب الحنبلي، تحقيق بشير عون، الطبعة الأولى، دار البيان، دمشق ١٤١٢ هـ.
١٩ـ الإيمان، ابن منده، تحقيق د/علي ناصر فقيهي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ.

حرف الباء

٢٠ـ بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، علي بن يوسف الشطنوفي، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٢١ـ البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، بيروت ١٤٠٨ هـ.

حرف التاء

٢٢ـ تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٣ـ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٤ـ تاريخ المعتزلة والجهمية، جمال الدين القاسمي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ.

٢٥ـ تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨ هـ.

٢٦ـ التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ.

٢٧ـ التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي، تحقيق بشير عون، الطبعة الثالثة، دار البيان، بيروت ١٤١٣ هـ.

٢٨ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، دار الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ.

٢٩ـ تذكرة الحفاظ، الإمام الذهبي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٠ـ التصوف المقارن، محمد غلاب، مكتبة نهضة مصر، الفجالة.

٣١ـ تعظيم قدر الصلاة، المروزي، تحقيق د/عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤٠٦ هـ.

٣٢ـ التعريفات، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣ هـ.

٣٣ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
٣٤ـ تفسير القرآن العظيم، الحافظ بن كثير، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٣٥ـ التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق د/عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٦ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث.
٣٧ـ تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق ١٤٠٦ هـ.
٣٨ـ تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩ـ التمهيد، للباقلاني، تحقيق المكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧ م.
٤٠ـ التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.
٤١ـ تنزيه الشريعة، ابن عراق الكناني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ.
٤٢ـ التوحيد، ابن منده، تحقيق د. علي ناصر فقيهي، الطبعة الثانية، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ٤١٤هـ.
٤٣ـ التوحيد، ابن خزيمة، تعليق محمد الهراس، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨ هـ.
٤٤ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر، دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، الهند ١٣٢٥ هـ.
٤٥ـ تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩٧ هـ.

حرف الجيم

٤٦ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٨ هـ.
٤٧ـ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٣ هـ.
٤٨ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ هـ.
٤٩ـ الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٣٧٢ هـ.
٥٠ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٧ هـ.
٥١ـ جنة المريد، سيدي محمد الكتني، مخطوط بالآلة الكاتبة، القادرية في موريتانيا، رسالة ماجستير.

حرف الحاء

٥٢ـ الحجة في بيان المحجة، إسماعيل الأصبهاني، تحقيق د/محمد ربيع المدخلي، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض ١٤١١ هـ.
٥٣ـ حادي الأرواح، ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
٥٤ـ الحسبة، ابن تيمية، تحقيق صلاح عزام، الطبعة الأولى، دار الشعب، بيروت ١٩٧٦ م.
٥٥ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، بيروت، دار الكتب العلمية.

حرف الخاء

٥٦ـ خلق أفعال العباد، الإمام البخاري، تحقيق د/عبد الرحمن عميرة، الطبعة الثانية، دار عكاظ، جدة.

حرف الدال

٥٧ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق د/رشاد محمد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١ هـ.
٥٨ـ الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، الشوكاني، مكتبة الصحابة، الكويت.
٥٩ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ.
٦٠ـ الدر المنثور، الإمام السيوطي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ.
٦١ـ دراسات في التصوف، إحسان إلـهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

حرف الذال

٦٢ـ ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، تصحيح محمد حامد فقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٢هـ.

حرف الراء

٦٣ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، الطبعة

الرابعة، دار القلم، الكويت ١٤٠٧ هـ.
٦٤ـ الرد على بشر المريسي، الإمام الدارمي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٥٨ هـ.
٦٥ـ الرد على الجهمية، الإمام الدارمي، ضمن عقائد السلف، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١ م.
٦٦ـ الرد على المنطقيين، ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، لاهور ١٣٩٦هـ
٦٧ـ رسالة إلى أهل الثغر، أبي الحسن الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٩ هـ.
٦٨ـ الرسالة القشيرية، القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، دار الكتب الحديثة، مصر.
٦٩ـ روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٧٠ـ رياض الصالحين مع نزهة المتقين، الإمام النووي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ.

حرف الزاى

٧١ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢ هـ

حرف السين

٧٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
٧٣ـ السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق د/محمد سعيد القحطاني، الطبعة الثانية، رمادي للنشر، الدمام ١٤١٤ هـ.

٧٤ـ السنة، ابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٠ هـ.
٧٥ـ السنة، للخلال، تحقيق د/عطية الزهراني، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض ١٤١٠ هـ.
٧٦ـ سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت الدعاس، الطبعة الأولى دار الحديث، سورية ١٣٩٣ هـ.
٧٧ـ سنن الترمذي، تعليق إبراهم عطوة، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٧٨ـ سنن الدارمي، تحقيق فؤاد زمرلي وخالد السبع، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
٧٩ـ سنن ابن ماجة، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ.
٨٠ـ سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦ هـ.

حرف الشين

٨١ـ شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد الدقاق، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤ هـ.
٨٢ـ شذرات الذهب، بن العماد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٩ هـ.
٨٣ـ الشريعة، للآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.
٨٤ـ شرح أصول أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق د/ أحمد سعد

حمدان، الطبعة الثالثة، دار طيبة، الرياض ١٤١٥ هـ.
٨٥ـ شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت.
٨٦ـ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٨ هـ.
٨٧ـ الشرح والإبانة، ابن بطة العكبري، تحقيق د. رضا نعسان، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ.
٨٨ـ شرح الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق د/عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ هـ.
٨٩ـ شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠ هـ.
٩٠ـ شرح السنة، للبربهاري، تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار بن القيم، الدمام ١٤٠٨ هـ.
٩١ـ شرح حديث النزول، ابن تيمية، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت.
٩٢ـ شرح الفقه الأكبر، للملا علي قاري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.
٩٣ـ شفاء العليل، ابن القيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.

حرف الصاد

٩٤ـ الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ.
٩٥ـ صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، الطبعة الثانية، المكتب

الإسلامي، بيروت ١٤٠٦ هـ.
٩٦ـ صحيح الترمذي، للألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨ هـ.
٩٧ـ صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٢ هـ.
٩٨ـ الصفات، للدارقطني، تحقيق د/علي ناصر فقيهي. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٩٩ـ صفة الصفوة، ابن الجوزي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٤١٢ هـ.
١٠٠ـ الصلة بين التصوف والتشيع، د/كامل شيبي، بيروت ١٩٨٢ م.
١٠١ـ الصواعق المرسلة، لابن القيم، تحقيق علي دخيل الله، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض ١٤٠٨ هـ.

حرف الضاد

١٠٢ـ ضعيف سنن بن ماجة، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٠٣ـ الضياء المستبين في كرامات محمد فاضل بن مامين، محمد فاضل ابن الحبيب، مخطوط خاص.

حرف الطاء

١٠٤ـ طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
١٠٥ـ طبقات بن سعد، دار صادر، بيروت.
١٠٦ـ الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، المكتبة التوفيقية،

القاهرة.
١٠٧ـ طريق الهجرتين، لابن القيم، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٥ هـ

حرف العين

١٠٨ـ العبودية، لابن تيمية، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٥٩ هـ.
١٠٩ـ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، إسماعيل الصابوني، تحقيق نبيل السبكي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.
١١٠ـ عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، الطبعة الخامسة، دار الكتب السلفية، القاهرة ١٤٠٥ هـ.
١١١ـ العلو للعلي الغفار، الإمام الذهبي، الطبعة الثانية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ.

حرف الغين

١١٢ـ الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني، دار الألباب، دمشق.

حرف الفاء

١١٣ـ فتاوى بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين.
١١٤ـ فتح الباري، بن حجر العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، دار الريان للتراث ١٤٠٩ هـ.
١١٥ـ فتح القدير، الشوكاني، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي،

مصر ١٣٨٣ هـ.
١١٦ـ فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني، جمع محمد سالم بواب، الطبعة الثانية، دار الألباب، دمشق ١٤١٣ هـ.
١١٧ـ الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٧٩ م.
١١٨ـ الفتوحات المكية، لابن عربي، دار صادر، بيروت.
١١٩ـ الفتوى الحموية، ابن تيمية، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٣ هـ.
١٢٠ـ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
١٢١ـ الفكر الصوفي، عبد الرحمن عبد الخالق، الطبعة الخامسة، دار الحرمين للطباعة، القاهرة ١٤١٤ هـ.
١٢٢ـ الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع إسماعيل القادري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.

حرف القاف

١٢٣ـ القاموس المحيط، الفيروزأبادي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ.
١٢٤ـ القادرية في موريتانيا، رسالة ماجستير، محمد الداه أحمد، جامعة أم القرى ١٤١٢ هـ.
١٢٥ـ قلادة الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر، محمد يحيى التادفي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٥ هـ.
١٢٦ـ قوت القلوب، لأبي طالب المكي، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية، القاهرة ١٣٥١ هـ.

حرف الكاف

١٢٧ـ الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن الأثير، دار صادر، بيروت.
١٢٨ـ كرامات أولياء الله، للالكائي، تحقيق د/أحمد سعد حمدان، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض ١٤١٥ هـ.
١٢٩ـ الكشاف، للزمخشري، ترتيب مصطفى حسين أحمد، الطبعة الثالثة، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
١٣٠ـ الكوكب الوقاد، الشيخ سيدي المختار الكتني، مطبعة حجرية دكار ١٣٩٢ هـ.

حرف اللام

١٣١ـ لسان العرب، لابن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت ١٤١٠ هـ.
١٣٢ـ لطائف المعارف، لابن رجب، مطبعة دار الجيل، بيروت.
١٣٣ـ اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، دار الكتب الحديثة، مصر ١٣٨٠ هـ.
١٣٤ـ لوامع الأنوار، للسفاريني، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١١ هـ.

حرف الميم

١٣٥ـ مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٣٦ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ هـ.
١٣٧ـ المحلى، لابن حزم، مكتبة الجمهورية، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
١٣٨ـ مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن قدامة المقدسي، مطبعة الحلبي وشركاه، القاهرة ١٤١٣ هـ.
١٣٩ـ مختار الصحاح، محمد الرازي، مكتبة لبنان ١٩٩٢ م.
١٤٠ـ مختصر الصواعق المرسلة، اختصره محمد الموصلي، دار الندوة، بيروت ١٤٠٥ هـ.
١٤١ـ مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٢ هـ.
١٤٢ـ مدارس بغداد في العصر العباسي، عماد عبد السلام رؤوف، بغداد ١٣٨٦ هـ.
١٤٣ـ المدرسة الشاذلية الحديثة، د/عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
١٤٤ـ مسائل الإمام أحمد، رواية عبد الله بن أحمد، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠١ هـ.
١٤٥ـ مسائل الإمام أحمد لابن هانيء، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت.
١٤٦ـ المسند، الإمام أحمد بن حمنبل، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
١٤٧ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد، عبد الإله الأحمدي، الطبعة الأولى، دار طيبة ١٤١٢ هـ.
١٤٨ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤٩ـ معارج القبول، حافظ الحكمي، الطبعة الأولى، دار بن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ١٤١٠ هـ.
١٥٠ـ معالم السنن، الإمام الخطابي، دار الدعوة، تركيا ١٤٠١ هـ.
١٥١ـ معجم الطبراني الكبير، للطبراني، الطبعة الأولى، مطبعة الوطن، بغداد ١٤٠٠ هـ.
١٥٢ـ معجم ألفاظ الصوفية، د/حسن الشرقاوي، الطبعة الثانية، مؤسسة مختار، القاهرة ١٩٩٢ م.
١٥٣ـ معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة ١٤١٣ هـ.
١٥٤ـ المعجم الوسيط، د/إبراهيم أنيس ورفاقه، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٩٢ هـ.
١٥٥ـ المغني، لابن قدامة، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٥٦ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، دار المعرفة، بيروت.
١٥٧ـ مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥٨ـ مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١ هـ.
١٥٩ـ مقدمة ابن خلدون، دار المصحف بالقاهرة.
١٦٠ـ الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
١٦١ـ منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، د/محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦ هـ.
١٦٢ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، مصورة عن طبعة

حيدر أباد ١٣٥٧ هـ.
١٦٣ـ المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن الأيجي، مطبعة عالم الكتب، بيروت.
١٦٤ـ الموضوعات، ابن الجوزي، الطبعة الثانية، مكتبة بن تيمية، القاهرة ١٤٠٧ هـ.
١٦٥ـ الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

حرف النون

١٦٦ـ النبوات، لابن تيمية، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ
١٦٧ـ النونية لابن القيم، شرح محمد خليل هراس، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ.
١٦٨ـ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت.
١٦٩ـ نيل الأوطار، الشوكاني، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣ م.

حرف الواو

١٧٠ـ الوابل الصيب، ابن القيم، تحقيق مصطفى العدوي، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث ١٤١٠ هـ.
١٧١ـ ولاية الله والطريق إليها، إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة

حرف الهاء

١٧٢ـ هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤ م.
١٧٣ـ هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ماجد الكيلاني، الطبعة الأولى، الدار السعودية للنشر، جدة ١٤٠٥ هـ.